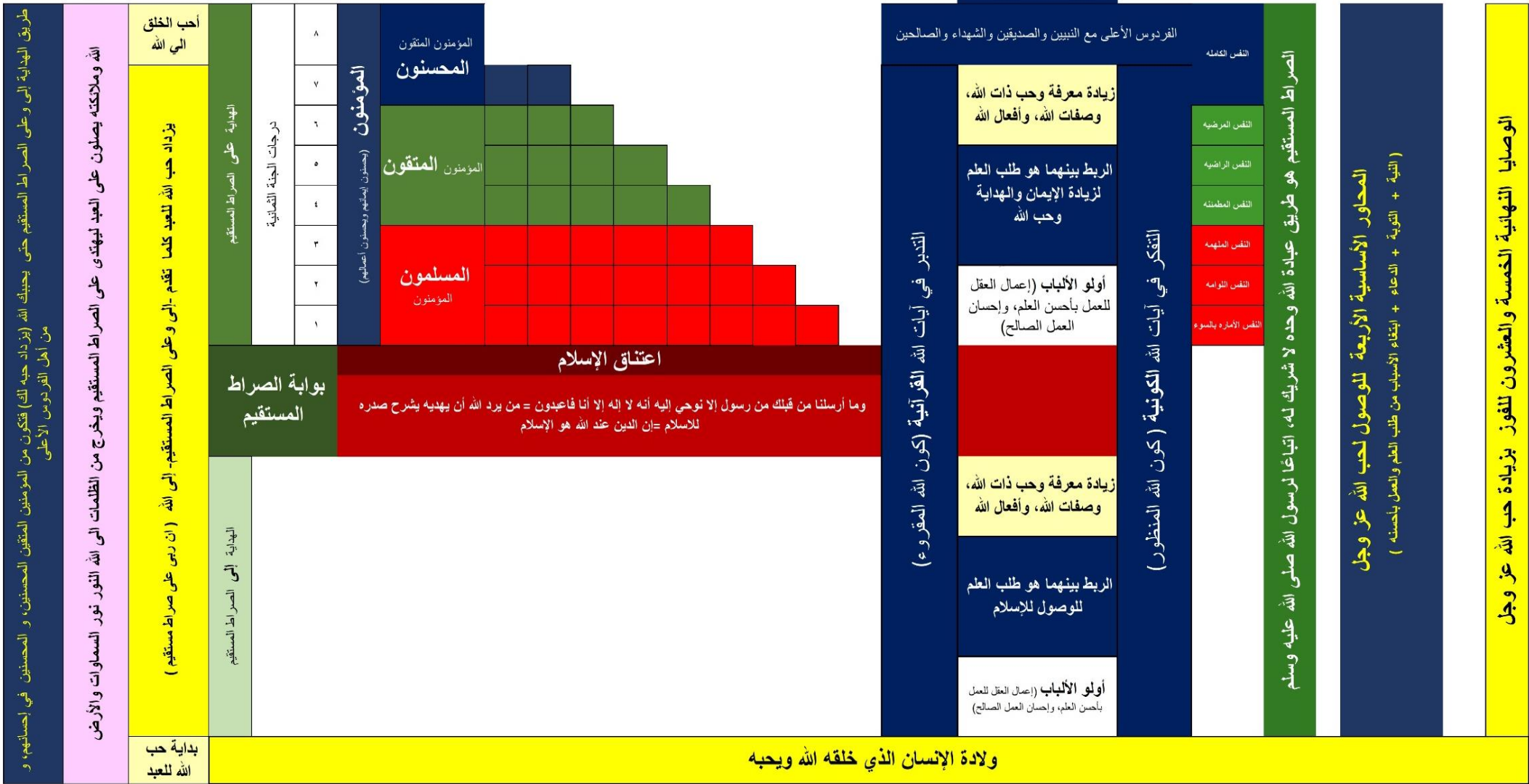


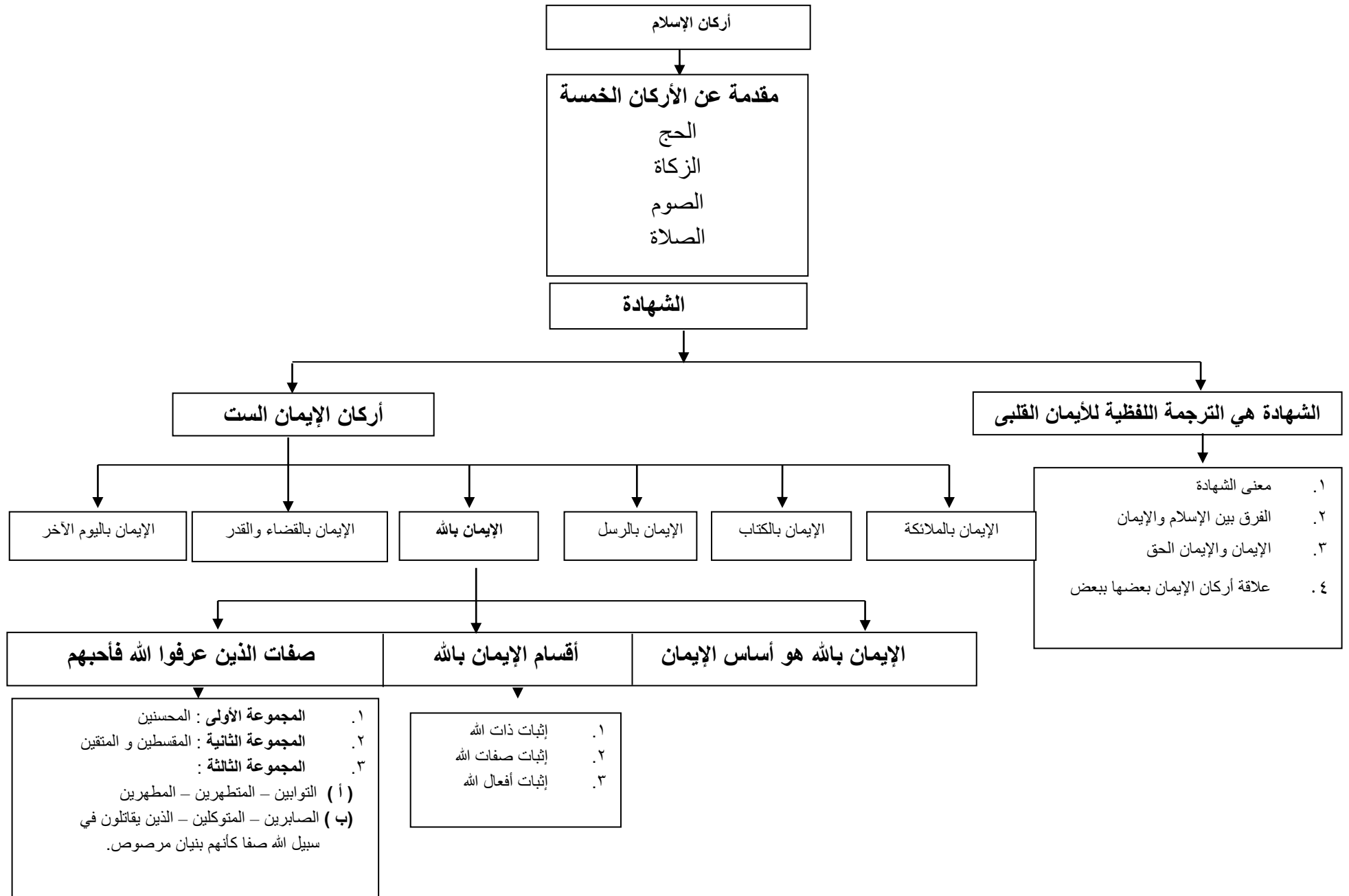
طريق الهداية للفوز بالمزيد من حب الله عزوجل على الصراط المستقيم حتى الفردوس الأعلى



فهرس الكتاب

٤	مقدمة عن الكتاب:	□
٧	تعريف بالصراط المستقيم:	□
٨	الصراط المستقيم هو الطريق الأقصر والأوحد لله عز وجل.	❖
١٠	الهداية للصراط المستقيم هدايتان هداية إلى الصراط وهداية على الصراط المستقيم.	❖
١١	الهداية هدية من الله يهديها لمن أحب من الخلق.	❖
١٣	ما هي الأسباب التي يجب أن يتبعها العبد حتى يفوز باستجابة الله لدعائه (اهدنا الصراط المستقيم)؟	❖
١٤	في مرحلة الهداية إلى الصراط المستقيم (العلم - العمل - الصبر - الإنابة).	❖
١٦	في مرحلة الهداية على الصراط المستقيم.	❖
٢٩	أنواع الهدايات والهداية المطلوبة هي هداية الله.	❖
٣٥	المرحلة الأولى من الهداية (الهداية إلى الصراط المستقيم):	□
٣٥	الحقائق العلمية.	❖
٣٦	الخالق يعلن عن نفسه لخلقه.	❖
٣٦	آخر الرسائل السماوية.	❖
٣٧	الهداية إلى الصراط المستقيم وإلى الإسلام.	❖
٣٩	المرحلة الثانية من الهداية (الهداية على الصراط المستقيم):	□
٤٠	مقدمة عن الأركان الخمسة.	❖
٤٤	أولاً: الحج.	❖
٤٩	ثانياً: الزكاة.	❖
٦٧	ثالثاً: الصوم.	❖
٧٨	رابعاً: الصلاة.	❖
٩٤	خامساً: الشهادة.	❖
٩٤	(١) الشهادة هي الترجمة اللفظية للإيمان القلبي.	
٩٥	(٢) أركان الإيمان الست.	
٩٨	أ. الإيمان بالملائكة	
١٠٠	ب. الإيمان بالكتب	
١٠٠	الإيمان بالرسول	
١٠٣	د. الإيمان بالله: -	
١٠٣	- الإيمان بالله هو أساس الإيمان	
١٠٨	- أقسام الإيمان بالله	
١٤٩	- صفات الذين عرفوا الله فأحبهم	
٩٨	هـ. الإيمان بالقضاء والقدر	
٩٨	و. الإيمان باليوم الآخر	
١٧٨	خاتمة الكتاب:	□

المرحلة الثانية من الهداية (الهداية على الصراط المستقيم)



بأسماء الله الرحمن الحسنى نفتح هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الشهيد
بسم الله الرحمن الحق
بسم الله الرحمن الوكيل
بسم الله الرحمن القوي
بسم الله الرحمن المتين
بسم الله الرحمن الولي
بسم الله الرحمن الحميد
بسم الله الرحمن المحصي
بسم الله الرحمن المبدئ
بسم الله الرحمن المعيد
بسم الله الرحمن المحيي
بسم الله الرحمن المميت
بسم الله الرحمن الحي
بسم الله الرحمن القيوم
بسم الله الرحمن الواجد
بسم الله الرحمن الماجد
بسم الله الرحمن الواحد
بسم الله الرحمن الصمد
بسم الله الرحمن القادر
بسم الله الرحمن المقتدر
بسم الله الرحمن المقدم
بسم الله الرحمن المؤخر
بسم الله الرحمن الأول
بسم الله الرحمن الآخر
بسم الله الرحمن الظاهر
بسم الله الرحمن الباطن
بسم الله الرحمن الوالي
بسم الله الرحمن المتعال
بسم الله الرحمن البر
بسم الله الرحمن التواب
بسم الله الرحمن المنتقم
بسم الله الرحمن العفو
بسم الله الرحمن الرءوف
بسم الله الرحمن مالك الملك
بسم الله الرحمن ذو الجلال والإكرام
بسم الله الرحمن المقسط
بسم الله الرحمن الجامع
بسم الله الرحمن الغني
بسم الله الرحمن المغني
بسم الله الرحمن المانع
بسم الله الرحمن الضار
بسم الله الرحمن النافع
بسم الله الرحمن النور
بسم الله الرحمن الهادي
بسم الله الرحمن البديع
بسم الله الرحمن الباقي
بسم الله الرحمن الوارث
بسم الله الرحمن الرشيد
بسم الله الرحمن الصبور

بسم الله الرحمن الذي لا اله الا هو
بسم الله الرحمن الرحمن
بسم الله الرحمن الرحيم
بسم الله الرحمن الملك
بسم الله الرحمن القدوس
بسم الله الرحمن السلام
بسم الله الرحمن المؤمن
بسم الله الرحمن المهيمن
بسم الله الرحمن العزيز
بسم الله الرحمن الجبار
بسم الله الرحمن المتكبر
بسم الله الرحمن الخالق
بسم الله الرحمن البارئ
بسم الله الرحمن المصور
بسم الله الرحمن الغفار
بسم الله الرحمن القهار
بسم الله الرحمن الوهاب
بسم الله الرحمن الرزاق
بسم الله الرحمن الفتاح
بسم الله الرحمن العليم
بسم الله الرحمن القابض
بسم الله الرحمن الباسط
بسم الله الرحمن الخافض
بسم الله الرحمن الرافع
بسم الله الرحمن المعز
بسم الله الرحمن المذل
بسم الله الرحمن السميع
بسم الله الرحمن البصير
بسم الله الرحمن الحكم
بسم الله الرحمن العدل
بسم الله الرحمن اللطيف
بسم الله الرحمن الخبير
بسم الله الرحمن الحليم
بسم الله الرحمن العظيم
بسم الله الرحمن الغفور
بسم الله الرحمن الشكور
بسم الله الرحمن العلي
بسم الله الرحمن الكبير
بسم الله الرحمن الحفيظ
بسم الله الرحمن المقيت
بسم الله الرحمن الحسيب
بسم الله الرحمن الجليل
بسم الله الرحمن الكريم
بسم الله الرحمن الرقيب
بسم الله الرحمن المجيب
بسم الله الرحمن الواسع
بسم الله الرحمن الحكيم
بسم الله الرحمن الودود
بسم الله الرحمن المجيد
بسم الله الرحمن الباعث

بسم الله آمنا بالله وتوكلنا على الله بأسمائه الحسنى

ونستفتح بما استفتح الله به كتابه العزيز وهي فاتحة كتاب الله فحري أن تكون فاتحة كل كتاب.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ ٥ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧ ﴾

(الفاتحة ١-٧)

❖ مقدمة من الكاتب:

- جاءت فكرة هذا الكتاب في يوم الأحد ٢٤ يناير ١٩٩٩ الموافق ٧ شوال ١٤١٩ هـ بعد استشارة الله تعالى بدأت في كتابة بعض الأفكار وذلك لتحديد أهدافه وصورة إخراجة وأسلوب كتابته واللغات التي يظهر بها في نفس الوقت (العربية، الفرنسية، الإنجليزية) مع نشره بعد إجازة مجمع البحوث الإسلامية له في شبكة الاتصالات الدولية الإنترنت حتى يمكن لغير المسلمين ولغير ناطقي العربية في العالم كله الاستفادة منه عسى الله أن يشرح الصدور به لطريق الله المستقيم.
- حيث أن نية المرء خير من عمله لذلك كان استحضار نية كتابة هذا الكتاب من الأولويات التي يجب تحديدها قبل الشروع في هذا العمل الكبير.
- ننوي بكتابة هذا الكتاب، توصيل العلم الذي رزقني الله إياه إلى أكبر عدد من الناس مسلمين وغير مسلمين عسى الله أن يجعل من هذا العمل علم ينتفع به بعد ما تنقضي أعمارنا في هذه الدنيا القصيرة.

❖ موضوع الكتاب:

موضوع الكتاب يدور حول كيفية معرفة الطريق إلى الله عز وجل بصورة واضحة دقيقة متسلسلة مستندة في كل ما فيها على كتاب الله وعلى سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم

يبدأ الكتاب التعرف على النفس البشرية والوصول إليها ثم التدبر والتفكير للوصول بالعقل للإيمان بأن لهذا الكون اله واحد لا شريك له ثم نطق الشهادة ودخول الإسلام و أداء أركانه الخمس، يصاحب ذلك الحديث عن معنى الإيمان بالغيب وأركانه ودرجاته. يتضمن هذا الحديث التعرف على القرآن الكريم وعلى الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – ثم يأتي الحديث عن درجات القرب من الله وكيفية الهداية وتحقيقها وسبل الفوز بجنة الله ثم بحبه وترقي النفوس من الأمارة إلى اللوامة إلى المطمئنة.

نتحدث أيضا عن تعلم كتاب الله وسنة رسوله ومنه فهم التشريع والحلال والحرام ومفهوم العمل الصالح وأكل الطيبات ودور الإنسان في هذه الدنيا كما أراد الله – عز وجل – نتناول أيضا الصلاح والفساد في الأرض والتشريعات القرآنية التي تحكمها وتحكم العلاقات بين الناس على جميع المستويات بهدف نشر السلام والحب بين المسلمين لتكون يد كل إنسان على وجه الأرض يد تبني وتصلح وتساعد وتعلم وتنصر الحق وتعطف على اليتيم وتطعم المسكين وتدخل السعادة على الحزين وتكشف الكرب عن المكروب وتؤمن كل خائف وتطرد شياطين الإنس والجن من بيننا.

يتناول الحديث أيضا مفاهيم الحق والفضل والإحسان وأثره في إنشاء المجتمع الإنساني المثالي الصالح المصلح والذي يحارب كل صور الفساد والإفساد.

ننتقل بهذا الحديث إلى انتهاء الدنيا وقيام الساعة ثم الجمع والحساب والجنة والنار حتى يؤتى بالموت على صورة كبش فيذبح على الصراط ويقال: **(يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت)** وهكذا ينتهي اليوم الآخر وتبدأ حياة الخلود.

منهج الكتاب:

- هدف الكتاب هو تعريف القارئ بالطريق إلى الله عز وجل وهو الطريق الأقصر والأوحد وهو بتعبير القرآن الكريم – الصراط المستقيم.
- **الجزء الأول** من هذا الطريق حديث موجه لكل إنسان لا يعرف عن هذا الطريق وعن الإسلام أي شيء فيكون المنهج فيه الإقناع للعقل والمنطق والحقائق العلمية في كل الاستدلالات بحيث تصل بهذا الإنسان إلى الاقتناع بمعنى الإيمان ونطق شهادة التوحيد بكل ما تعنيه هذه الشهادة من معاني وهكذا يتحول الإنسان من مخلوق إلى عبد مسلم لله خالقه.
- هذا الجزء من الكتاب يأخذ بيد القارئ ويسير به إلى الصراط المستقيم مدخل الطريق إلى الله الذي ينتهي بدخول الصراط المستقيم ألا وهو الإسلام.
- **الجزء الثاني** من الكتاب يخاطب القارئ الذي نطق بالشهادة وأمن بالإيمانيات الست وأصبح مسلماً مؤمناً بكل ما جاء في كتاب الله تعالى وهنا يكون الاستدلال في كل ما يكتب على القرآن العظيم وعلى سنة رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم - وهما مصدرا التشريع الإسلامي الذي هو دين الله لكل الخلق ولم يتغير ولا دين سواه.

فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿١٦﴾

(آل عمران ۰۱۹)

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ ﴿٦٥﴾

(الأنبياء ٢٥٠)

وان تعددت الشرائع السماوية والكتب فالأصل واحد كالأم التي تعددت أولادها.

هذا الجزء الذي يعرف المسلم طريقه إلى الله لن يكون إلا تفسير لسورة الفاتحة التي افتتح الله بها كتابه والتي هي أم القرآن وهى السبع المثاني والتي توضح طريق الله والصراط المستقيم من أوله إلى آخره فنفسر القرآن بالقرآن وهذا هو أصدق التفسير وسيعجب القارئ الكريم في أن هذه السورة المكونة من سبع آيات جمعت كل هذه المعاني في حروفها وبين كلماتها والتي يكررها المصلي سبعة عشرة مرة على الأقل في اليوم والليلة في صلواته.



النية والقصد من قراءة هذا الكتاب:

يجب علي القارئ أن يستحضر نية قراءته لهذا الكتاب ويجعلها لله تعالى طلبا للحق والحقيقة حتى يتعرف علي طريق الله حينئذ يستطيع أن يحدد أين هو من هذا الطريق وما تبقى له فيه ليجدد النية والتوبة النصوح ويشد الرحال مكملا رحلته لله عز وجل طمعا في الفوز برحمته وجنته وحبه مستعينا بما تعلمه في هذه السطور ومسترشدا بما وعى منها عسى الله أن يجعلكم يوما من عباده الصالحين العارفين المقربين فيرحمنا الله بكم كما غفر الله للإمام مالك بفضل بكاء المتعلم بين يديه من خشيه الله تعالى.

في ختام هذه المقدمة، نسأل الله العلي القدير أن يجزي عنا علمائنا ومعلمينا خير الجزاء وكذلك كل من عاوننا ولو بأقل الجهد وأن يتجاوز عن أي ذلل أو خطأ غير مقصود وأن يجعله سبحانه وتعالى عملا خالصا لوجهه الكريم سببا في هداية الناس إلى الله وإلى طريقه وإلى كتابه العزيز وإلى التأسى برسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - فانه سبحانه وتعالى نعم المولى ونعم النصير.

الجزء الأول

تعريفهم بالصراط المستقيم

- ❖ الصراط المستقيم هو الطريق الأقصر والأوحد لله عز وجل.
- ❖ الهداية للصراط المستقيم هدايتان هداية إلى الصراط وهداية على الصراط المستقيم.
- ❖ الهداية هدية من الله ادخرها لمن أحب من الخلق .
- ❖ ما هي الأسباب التي يجب أن يتبعها العبد حتى يفوز باستجابة الله لدعائه (اهدنا الصراط المستقيم) ؟
- ١- في مرحلة الهداية إلى الصراط المستقيم .
(العلم - العمل - الصبر - الإنابة)
- ٢- في مرحلة الهداية على الصراط المستقيم .
- ❖ أنواع الهدايات والهداية المطلوبة هي هداية الله .

تعريفه بالصراط المستقيم

الصراط المستقيم هو طريق الله

الصراط المستقيم هو الطريق الأقصر والأبعد

- الصراط من "صراط" أي ابتلع ويسمى الطريق صراطاً عندما يكون مستقيماً فيصغر حجم المتحرك عليه كلما بعد كأنما يبتلعه الطريق.
- "المستقيم" الذي لا اعوجاج فيه والخط المستقيم هو أقصر الخطوط التي تصل بين نقطتين.
- "الصراط المستقيم" هو طريق مستقيم لا عوج فيه يصل بأقصر الطرق بين القاصد والمقصود.
- "الصراط المستقيم" طريق تعرف للقارئ بالآلف واللام كما يقول القائل (الكتاب) فيسأل السائل أي كتاب؟ فيرد المسئول: كتاب أحمد فيكون التعريف بالإضافة، فإذا سألنا القرآن الكريم ما هو (الصراط المستقيم)؟ هذا الطريق المعرف في فاتحة الكتاب ولم نقرأ عنه شيئاً بعد تجد إجابته في

قول الله تعالى: ﴿ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ لَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ۝٥٣ ﴾

(الشورى ٥٣)

فأضيف إلى كلمة الصراط (الله) وعلماً بذلك أنه طريق الله المستقيم أي الطريق الأقصر الذي يصل العبد إلى الله جل جلاله ومن هنا نفهم أهمية الدعاء في (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) في فاتحة الكتاب فهو

طلب المصلي من الله عز وجل أن يهديه إلى طريقه الموصل لجلاله ولرحمته ولجنته ولحبه.

- نبهنا القرآن الكريم إلى أن هذا الطريق هو الموصل لله ولا طريق غيره.

فقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ ۚ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٥٢ ﴾

(الأنعام ١٥٣)

- فالطرق والسبل متعددة ولكن لا طريق يصل الخلق إلى خالقهم سوى الصراط المستقيم وذلك منذ خلق الله الخلق ولذلك ذكر الله أنه هدى موسى وهارون الصراط المستقيم..

فقال الله تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝١٨ ﴾

(الصافات ١٨)

وقال الله تعالى كذلك عن خاتم المرسلين - صلى الله عليه وسلم:

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا

مُسْتَقِيمًا ۝١ ﴾

(الفتح ١-٢٠٠)

وقال لنبيه عن إخوانه الأنبياء السابقين كذلك: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۚ

وَأُولَٰئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ۝١٨ ﴾

(الزمر ١٨)

وكل هذه الآيات توضح أن الصراط المستقيم، ليس طريقاً جديداً مبتدعاً من النبي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه منذ أن خلق الله الخلق الصراط المستقيم الطريق الأوحد والأقصر إلى الخالق الواحد الأحد ولا طريق سواه وعليه سار جميع الأنبياء داعين الناس إليه على مر التاريخ وليس إلى غيره وجاء رسول الله خاتماً للمرسلين مكماً لهم على هذا الطريق داعياً المسلمين إليه.

فالدين واحد لأن الخالق واحد ومرسله واحد ومن هنا نفهم

قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ٢٥﴾

(الأنبياء ٢٥)

فهذه هي الجملة التي كررها جميع المرسلين للخلق على مر الأزمنة وكانت دعوتهم للناس واحدة إلى دين الله وهو الإسلام، ولكن ما علاقة الإسلام بالصراط المستقيم؟

لنقرأ قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَعِدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَكِّرُونَ ﴿١٣٦﴾

(الأنعام ١٢٥-١٢٦)

ومن هنا نفهم أن الصراط المستقيم هو الطريق الأوحد والأقصر لله وهو طريق الإسلام وباب دخول هذا الطريق هو شهادة ألا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

المداية للصراط المستقيم هدايتان

أ) المداية إلى الصراط المستقيم:

طلب الهداية إلى الصراط المستقيم هو طلب هداية دلالة من الله للوصول إلى باب هذا الطريق وهو الجزء الذي يعتمد فيه الإنسان على عقله وتدبره في الكون للوصول إلى حقيقة أن لهذا الكون اله واحد لا شريك له فيقف على باب الإسلام (الصراط المستقيم) ويشهد الشهادة فيدفع الباب ويدخل في الطريق وبالتالي ينجو من ذنب الشرك الذي لا يغفر عند الله .

فيقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ

أَفْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ۝٤٨﴾

(النساء ٤٨)

يأمر الله عز وجل يوم القيامة أن أخرجوا من النار من ذكرني في موقف أو خافني في مقام فلا يكتب الخلود في النار لرجل آمن بالله رباً ورضى بالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً .

ب) المداية على الصراط المستقيم:

إذا نطق الإنسان الشهادة ودخل الإسلام اغتسل وكتبت له ولادة جديدة حقيقية فالحياة هي حياة الأرواح والقلوب. **يقول الله تعالى:** ﴿ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۝٥١﴾

(الحج ٥٦)

بذلك يكون المسلم قد عرف الطريق الأوحى والأقصر الذي يصل إلى خالقه جل وعلا ولكن بقي عليه أن يسير عليه بل أن يتسابق فيه مقبلاً على الله تعالى قبل أن يفاجئه الموت ولذلك فهو يحتاج إلى أن يطلب من المولى عز وجل أن يهديه على الصراط المستقيم وأن يبتغي الأسباب اللازمة لذلك.

ومن العجيب أن الدعاء الذي أمرنا أن ندعو به في صلاتنا وعند قراءتنا لفاتحة الكتاب (اهدنا الصراط المستقيم) ولم يفصل بين (اهدنا) و (الصراط) بأي من الحرفين (إلى) أو (على) ليشمل طلب الهداية على الهديتين (الهداية إلى الصراط المستقيم) وكذلك (الهداية على الصراط المستقيم) وهنا يسأل سائل: (إن كان القارئ للقرآن والمصلي مسلم فلما يحتاج إلى الهداية الأولى التي تصل الإنسان إلى الإسلام ؟)

نجيب أن الإيمان عمل من أعمال القلب فقد يذنب المسلم ذنباً أو يتلفظ بكلمة تخرجه عن ملة الإسلام وهو لا يدري فيحتاج حينئذ إلى هذه الهداية.

فورد في الحديث الصحيح:

قال رسول الله ﷺ (وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكُتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ) (رواه احمد)

وجاء تحذير القرآن الكريم للمسلم من أن يموت على غير الإسلام وذلك يبين أن هذا الأمر قد يحدث للمسلم فيجب أن يتقيه.

فيقول الله تعالى: ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئِ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة ١٣٢)

(البقرة ١٣٢)

وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتجديد الإيمان فقال رسول الله ﷺ : (جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ

وَكَيْفَ تُجَدِّدُ إِيمَانَنَا قَالَ أَكْثَرُوا مِنْ قَوْلٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) (رواه احمد)

كما نبه أنه في آخر الزمان ستعم الفتن فقال رسول الله ﷺ : (بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ

الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُؤْمِسِي كَافِرًا أَوْ يُؤْمِسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا) (رواه مسلم)

المداية هدية من الله تعالى احدها لمن أحبه من الخلق:

- إذا تدبرنا الفعل (اهدنا) وجدناه في القرآن الكريم فعل متعدى إلى مفعول واحد فقط.

كقول الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكِنَّا وَلَآ أَلِيمُنَّ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الشورى ٥٢)

(الشورى ٥٢)

وعندما بحثنا عن إعراب (الصراط) وجدنا إعرابها أنها مفعول ثان وأن (نا) مفعول أول وهذا الأمر استرعى منا الانتباه وجعلنا نبحث عن قراءة أخرى فوجدنا قراءة شاذة لابن حزم بدلا من (اهدنا) من الهداية وجدنا (أهدنا) من الإهداء وهذا الفعل بالفعل متعدى لمفعولين خلاف فعل (اهدنا).

مثال: (أهدى احمد عليا كتابا) فعليا مفعول به أول وكتابا مفعول به ثان.

- من هنا كان فهمنا لطلب الهداية من الله أنه طلبا لهديه ويجري حكمها حكم الهدية كما يلي:

١. الهدية يعطيها المهدي في الوقت الذي شاء بالقدر الذي شاء دون أن يحاسب من المهدي إليه وكذلك الهداية ينعم الله بها تفضلا على خلقه متى شاء وكيفما شاء فلا يملكها إلا الله، فلا يهديها إلا الله

فقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (٥٦)

(القصص ٥٦)

فالبعض قرأ الأولى (تهدي) بمعنى الهداية والثانية (يهدي) بمعنى إهداء الهداية كهدية.

٢. الهدية لا يأخذها صاحبها بعد ما أعطاها وكذلك الهداية

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴾ (٣٧)

(الزمر ٣٧)

٣. الهدية لا يمكن تقديرها لأن قيمتها في أنها هدية وبصعب الشكر عليها كما أن الهدية لا تهدى وكذلك الهداية هي أتمن ما يمكن أن يتحصل عليه العبد في هذه الدنيا ولذلك فرض الله علينا أن نطلبها في فاتحه الكتاب سبعة عشر مرة في اليوم والليله لأنه علم أننا سنغفل عن طلبها لجهلنا بأهميتها فلا قيمة للإنسان بدونها كما أن الهداية لا تهدى فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الذي هداه الله لم يستطع أن يهدي عمه عبد المطلب وتوفى وهو على غير الإسلام.

٤. الهدية لا يعطيها المهدي إلا لمن أحب ولذلك كانت الهداية من الله للعبد دلالة حب لهذا العبد ودلالة أن الله يريد الخير له.

هداية الله احقرها الله لنوعية من الناس:

النوع الأول: (المصطفين) ذوي الحظ العظيم

فيقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران ٣٣)

اختار الله واصطفى خلقا خصهم بالاختيار وأعطى لهم الهداية وهم الأنبياء والمرسلين وجعلهم أئمة يدعون إلى الصراط المستقيم ويسرون عليها ليتخذهم الناس قدوة لهم وهؤلاء ذو حظ عظيم.

ويقول الله تعالى ﴿ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (فصلت ٣٥)

فالذين اجتباهم الله إليهم هم أصحاب الحظ العظيم الذين وعدهم الجنة.

النوع الثاني: (المنيبين) الذين صبروا

فيقول الله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ (الشورى ١٣)

(الشورى ١٣)

المنيبين هم الذين ينيبون إلى الله ويصبروا على ذلك أي يسبروا في طريقه إليه مثابرين مخالفين هواهم وشهواتهم فيجتهدوا ويجاهدوا في ابتغاء الأسباب للحصول على الهداية بجانب دعائهم المخلص في كل صلاة فيستجيب الله لهم إذا رأى صدقهم وإخلاصهم و يدخلهم الجنة التي عرفها لهم.

إن لم تكن من الذين اصطفاهم الله تعالى فلنكن من الذين ينيبون إليه ويسبروا على الطريق المستقيم ولكن كيف لنا ذلك؟

كيف نفوز بالهداية إلى وعلى الصراط المستقيم؟

إذا أراد العبد شيئا من الله فعليه أمران:

١. أن يطلبه من الله بدعاء مخلص متكرر واثق من إجابة الله تعالى.

٢. أن يبتغي الأسباب لتحقيق هذا المطلب.

فمثلا إذا أراد العبد من الله أن يشفيه من مرض فعليه أن يجتهد بالدعاء بصدق وعليه أن يذهب للطبيب وأن يستعين بالدواء واتقا أن الطبيب والدواء يعالجان لا يشفيان وأن الشفاء سيأتي من الله عز وجل في الوقت الذي حدده فلا يتعجل ولا يترك الدعاء.

فيقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ ﴿٥٠﴾

(الشعراء ٥٨٠)

فقال رسول الله ﷺ : (لَا يَزَالُ الْعَبْدُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَسْتَعْجِلُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ دَعَوْتُ رَبِّي فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِي). (رواه أحمد)

فليطبق ذلك على أهم شيء وأتمن شيء يحتاجه العبد من الله وهو الهداية:

١. فليدعو الله بإخلاص في كل صلاه وخارجها (اهدنا الصراط المستقيم)

٢. أن يبتغي الأسباب التي تؤدي إلى أن يتحصل على هذه الهداية.

ما هي الأسباب التي يجب أن يبتغيها العبد حتى يفوز باستجابة الله لدعائه (اهدنا الصراط المستقيم)؟

هذه الأسباب وضحتها الآيات وتتلخص فيما يلي:

١. طلب العلم ليتبين ويرى ويعرف الصراط المستقيم فلا يعمل بدون علم فيضل.
٢. العمل بهذا العلم بعد ما أضاء الله له العلم من الكتاب والسنة طريقه إلى وعلى الصراط المستقيم بالعلم ، تحرك على الصراط مقبلا على الله عاملاً بما تعلمه.
٣. الصبر على كل قضاء وعلى ما يلاقه العبد وهو في طريقه لله من تعب أو نصب أو بلاء أو أذى الناس وظلمهم.
٤. الإنابة والرجوع إلى الله - عز وجل - بعد كل معصية تخرجك عن الطريق إذا غلبك الشيطان وحاد بك عن طريق الله فسارع بالعودة إليه وقم من كبوتك أكثر قوة وعد إلى الله فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له والله يغفر الذنوب جميعا ويبدلها للتائب حسنات والله يحب التوابين ويحب المتطهرين وتذكر دائما أنه مهما عظمت ذنوبك فلن تعظم على رحمة الله ومهما كثرت لن تخرجك من حلم الله فجعل جلاله من لا تنفعه الطاعات ولا تضره المعاصي.

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴿٧﴾

(الفاتحة ٠٠٦-٠٠٧)

﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود لأنهم علموا ولم يعملوا بما علموا ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ﴿٧﴾ هم النصارى إذ أنهم ضلوا لأنهم عملوا بغير تعلم.

نخلص من ذلك أن من أراد الهداية فعليه أن يدعو الله أن يهديه الصراط المستقيم ثم أن يبتغي الأسباب الموصلة لهذه الهداية والتي تتلخص في أربع:

(علم وعمل وصبر وإنابه).

(١) العلم بالكتاب والسنة. (٢) العمل الصالح المبني على العلم والذي أساسه الإخلاص.

(٣) الصبر على القضاء. (٤) الإنابة بعد البعد والغفلة والمعصية.

هل تتغير الأسباب التي يجب ابتغانها في كل مرحلة من مراحل الهداية؟

المرحلة الأولى : المداية إلى الصراط المستقيم (الإسلام)

(١) العلم العلم الذي يجب على الإنسان أن يطلبه ليصل إلى طريق الحق هو كل علم يتعرف من خلاله على نفسه وعلى كل ما حوله من خلق الله (الإنسان - الحيوان - النبات - الجماد).
أول أمر من الله نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم (اقرأ)، أي دعوة إلى العلم.

ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝﴾

(آل عمران ١٩٠-١٩١)

(٢) العمل هو إعمال العقل للتعرف على الحقائق بالتدبر والتفكير للإجابة على هذه الأسئلة:

١. هل لهذا الكون بكل ما فيه فاعل ؟
٢. هل يمكن أن يكون أكثر من فاعل ؟
٣. من هو هذا الخالق ؟
٤. لما خلق الخلق ؟

(٣) الصبر عن الشهوات وعن الملهيات التي تصرفه عن البحث عن طريق الله فيصبر على طلب العلم وعلى تفرغ الوقت للتدبر والبحث ولا تلهيه الدنيا بملهياتها وشهواتها.

(٤) الانابه إلى الخالق بعد كل عمل يلهي عن البحث عن طريق الحقائق إذا ذل العبد في سبل الشهوات أو غرق في الملذات أو جمع المال أو الدنيا أو الأولاد في أي طريق يؤخر وصوله للحقيقة فالإنسان في هذه المرحلة يحتاج إلى الوصول لإجابة الأسئلة السابقة في أسرع وقت قبل ما ينتهي أجله فروحه تحتاج هذه الإجابات أكثر من حاجة جسده للأكسجين ليحيا.
يعيش بدون ما يعلم لما يعيش ولمن يعيش ؟ كيف يعيش وهو لا يعلم كيف يعيش ؟

فإذا فرط الإنسان في وقته وأضاعه في إشباع الشهوات والملذات دون أن يصل إلى إجابة التساؤلات بجد واجتهاد وإخلاص فقد حان الوقت لأن ينيب إلى طريق البحث وإلى نفسه ولا ينسأها. لنضرب مثالا حتى يسهل للقارئ فهم المقصود :

إذا فرضنا أنك سافرت سفرا في الصحراء وانقطع عنك المال والزاد والدابة والأهل. فأخذت تبحث عن طعام أو شراب إذ كاد الموت أن يهلكك. ولكن انقطع عنك الأمل واستسلمت للموت إذ لا ماء ولا طعام على مد البصر وبدأت الغيبوبة تتسلل إلى جسدك حتى غبت عن هذه الدنيا فظننت أنك قد توفيت وفجأة وجدت عينيك تفتحان ونفسك يعود إليك وأمامك مائدة عليها كل أصناف الطعام والشراب في هذه الصحراء الفقراء ماذا ستفعل ؟

من المتوقع أنك ستقبل على هذا الطعام والشراب بكل شراهة وسعادة لتطفي ظمأك وتطعم جسدك الجائع ولكن عندما تشبع ألا يجدر بك أن تتساءل سؤالا هاما كان أجدر بك أن تجيب عليه قبل ما تأكل أو

تشرب وهو: (من أتى إليك بهذا الطعام أو الشراب في هذه الصحراء القفراء ؟) فان كان من أتى إليك بهذا الطعام عدوا لم تأكله خوفا من أن يكون فيه الضرر لك وان كان حبيب شكرته عليه وعلمت ثمنه قبل أن تأكله ولكن أن يأكل ويشرب وينسى أن يتساءل هذا السؤال أو يتناسى فهذا أمر غير منطقي ولا يكون من إنسان له عقل راجح ولا يقبل إلا من حيوان تحركه الغرائز التي لا يحكمها عقل فلا يعنيه من الطعام إلا أن يأكله ومن الشراب إلا أن يشربه كذلك الإنسان الذي أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ثم وجد نفسه في هذه الدنيا بجسد، بعينين، وشفقتين ويدين ورجلين وعقل وكون سخر لخدمته بنباته وحيواناته وجماداته حتى الشمس لا تشرق إلا له والليل لا يأتي إلا ليسكن والنجوم ليعلم عدد السنين والحساب فالنعم لا تعد ولا تحصى.

بعد ما تنعم الإنسان بكل هذه النعم ألا يجب عليه أن يجتهد حتى يجد إجابة التساؤلات ليتعرف على الحقائق ولا يتباطأ في ذلك وإلا فاجأه الموت وهو في غفلته فضاعت دنياه وأخراه فأله عز وجل رحمته شملت كل شيء وكل أحد يؤمن به ولكن كيف لعبد أن ينكر وجوده ولا يعطى من عقله ولا من حياته وقتا ليفكر وليتدبر وليتعلم وليكون إنسانا بما ميزه الله به من عقل راجح !!؟

كيف يغفر الله لعبد لا يطلب منه المغفرة وكيف يدخل عبد جنته وهو لا يريد لها ولا يطلبها ؟ من هنا كانت أهمية مسارعة العبد إلى الوصول بعقله من خلال تدبره وتفكره إلى الله الواحد الأحد ليخرج من دائرة الذنب الذي لا يغتفر وهو أن الإنسان الذي لا يستخدم عقله وبصره وسمعه فيكون أقرب للحيوان منه للإنسان فلا يعنيه إلا إشباع شهوات الجسد والروح لا وجود لها.

فيقول الله تعالى:

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧﴾

(ق ٣٧)

ويقول الله تعالى: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا

كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٢٥﴾

(الأنعام ١٢٥)

المرحلة الثابتة: المداية على الصراط المستقيم

في هذه المرحلة ابتغاء الأسباب للمسلم ليتحصل على إجابة الله لدعائه (اهدنا الصراط المستقيم) لها أبعاد جديدة إذ أن المسلم في هذه المرحلة يسعى إلى أن يقترب من خالقه جل وعلا وأن ينفذ أوامره وأن يجتنب نواهيه.

أ - طلب العلم:

مصدر العلم الرئيسي هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم : قال رسول الله ﷺ : (إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الْآخَرِ كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِزَّتِي أَهْلُ بَيْتِي وَلَنْ يَفْرَقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَنَنْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُقُونِي فِيهِمَا) (رواه الترمذي)

يجب على المسلم أن يطلب العلم دون توقف فما زال المرء عالما ما دام في طلب العلم فان ظن أنه علم فقد جهل فهو بمثابة المصباح والنور الذي يحمله السالك في طريق الله ليضيء له خطواته فيرى أمامه ولا يتخبط في ظلمات الجهل فطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ومن عبد الله على جهل فكأنما عصاه وحذرنا الله عز وجل من أمة عملت دون علم فضلت طريقها طريق ربها.

قال رسول الله ﷺ : (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ) (رواه الترمذي)

يقول الله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ۚ ﴾

(الزمر ٠٠٩)

يقول الله تعالى :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ ۚ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝ ﴾

(فاطر ٠٢٨)

يقول الله تعالى: ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ ﴾

(العلق ٠٠١-٠٠٥)

عندما أراد الله أن يخلق له خليفة في الأرض اعترضت الملائكة خوفا من أن يفسد في الأرض فقال الله لهم إني أعلم ما لا تعلمون وعلم آدم الأسماء كلها فكان العلم ما ميز آدم ولهذا العلم أسجد له الملائكة.

إن شئت اقرأ قول الله تعالى في (سورة البقرة آية ٣٠-٣٣):

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَّبِعُكُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَتَتْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

(البقرة ٣٠-٣٣)

فبغير طلب العلم لا سبيل للإنسان أن يكون خليفة الله على الأرض فيصلحها بل سيكون كالأعمى والأصم الذي يتخبط بهله فيفسد كل ما في يديه.

لقد عبر القرآن الكريم عن هذا العمل الذي يجب أن يفرزه العلم بكتاب الله وسنة رسوله ألا وهو (العمل الصالح)

فيقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧﴾﴾

(الكهف ١٧)

وتجد كثير من آيات القرآن الكريم أتبعته (آمنوا) بقوله (عملوا الصالحات).

أي أن يكون مصدر العمل الصالح هو الإيمان بالله والرغبة في طاعته فيما أمر به وسمى العمل صالحا لأنه يصلح الكون وهذا هو دور خليفة الله على الأرض ولذلك خلق الله الإنسان على الأرض ليسكنها ويعمرها ويصلح ما فسد فيها ويبقي على ما صلح صالحا فيحارب الفساد والظلم والبغي بجميع أشكاله فيعيش الناس كلهم آمنين على أرواحهم وأموالهم وأولادهم في سلام مع ربهم وفي سلام مع أنفسهم وفي سلام مع غيرهم من المخلوقات بداية من البشر.

من المهم إعادة الإشارة إلى أهمية تزكية النفس وتطهيرها قبل ما تتلقى العلم وقبل العمل إذ يجب أن تكون النفس صالحة في نفسها حتى تستطيع أن تأتي بالأعمال الصالحة التي تصلح بها غيرها وبغير صلاح النفس لا مجال للإصلاح لأنها هي الفاعل ولذلك كان الإيمان سابقا للعمل الصالح – فدخل الإيمان في قلب المسلم هو علامة صلاح النفس وقدرتها على العمل الصالح.

فيقول الله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾

(الحجرات ١٤)

يقول الله تعالى لرسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

(المؤمنون ٥١)

فكان للعلماء وقفه عند هذه الآية يوضحون أن بين الإيمان والعمل الصالح عملا يجب أن يكون وهو أكل الطيبات أي أن يكون المسلم رزقه من حلال فلا سبيل لمؤمن أن يأتي بأي عمل صالح إن كان يتحصل علي ماله الذي ينفق منه على طعامه وشرابه وكسوته وأهله من غير السبل المباحة المشروعة المقبولة فكيف لسارق أن يتصدق أو يعتمر أو يحج من مال حرام فليته لم يسرق ولم يتصدق فالله طيب لا يقبل إلا طيبا.

القاعدة الشرعية تبين أن (درء المفاصد مقدم على جلب المصالح).

من المهم توضيح أن حل المال وحرمة تتحدد من وسيلة تحصل المسلم على ماله وإن كانت الوسيلة مشروعاً فالمال حلال بصرف النظر عن نظافة الوعاء.

مثلاً: مهندس بنى لرجل بيتاً وأخذ أجره على هذا العمل ثم اكتشف بعد ذلك أن هذا الرجل يسرق الناس فهل المال الذي تحصل عليه هذا المهندس حلال أم حرام؟

الاجابة هو أن المال عندما كان في جيب هذا السارق كان حراماً لأنه تحصل عليه بسبيل غير مشروع فلما انتقل المال في جيب المهندس صار حلالاً لأنه تحصل عليه بسبيل مشروع بالرغم من أنه كان حراماً في جيب السارق.

فالعبرة في الحل والحرمة بوسيلة التحصل على المال وليس بمصدر المال.

من علامات التقوى التشدد في طلب الرزق الحلال الذي لا شك في حله فإن شك المسلم في المال تركه.

فيقول النبي ﷺ: (لَا يَرْبُو حَمٌّ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتْ النَّارُ أُولَى بِهِ) (رواه الترمذي)

ويقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْاً أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظُ

شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦١﴾

(التحريم ٠٠٦)

وكانت الصحابية تقول لزوجها عند خروجه كل صباح طالباً للرزق.

(يا عبد الله اتق الله فينا ولا تدخل علينا رزقاً حراماً فإننا نصبر على جوع الدنيا ولكن لا نصبر على نار جهنم يوم القيامة).

ويجب أن يحرص المسلم ألا يأكل طعاماً لغيره إن شك في مصدره أو في حل مال صاحبه.

قال رسول الله ﷺ: (لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ) (رواه الترمذي)

ومما سبق يتضح لنا أهمية أكل الطيبات وتحري الرزق الحلال الخالص الذي لا شك فيه وهو أول الأعمال الصالحة التي يجتهد المسلم فيها قبل ما يفكر في الإقدام على أي عمل صالح يرجو به مرضاة الله جل وعلا.

يجب ألا تنسى أخي القارئ أن العمل الصالح هو برهان ودليل الإيمان ودليل الشكر ودليل الصبر وهو الوسيلة التي يعبر بها الإنسان عما في قلبه من خير أو شر فالإناء بما فيه ينضح فإن كان فيه الخير ظهر الخير على جوارح وسلوك العبد وإن كان فيه الشر ظهر الشر على جوارح وسلوك العبد وأول هذه الجوارح هي اللسان فيظهر طهر ونقاوة قلب الإنسان بما يتكلم به فاللسان مغرفة القلب ولذلك كثر في القرآن الكريم استعمال فعل (قالوا).

نية المرء خير من عمله:

بعدما يتعلم المسلم يجب أن ينوى العمل فإذا نوى الخير فلم يعمل به كتبت له حسنة كاملة فإن عمله كتبت له عشر حسنات وإن نوى شراً فلم يفعله إذ أنه راجع ضميره كتبت له حسنة فإن فعل السيئة كتبت له سيئة واحدة.

طلب العلم تتعدد وسائله كالكتب والشرائط ولكن الأهم من ذلك هو منهج التعلم وأهمية وجود معلم أو شيخ للمسلم يتبعه ويتعلم منه دون أن يحول ذلك دون أن يستمع من غيره ويشترط ألا يكون هذا الشيخ أو المعلم يأخذ أجراً على تعليمه لك فذلك كان الأنبياء يقولون لأقوامهم (لا نسألكم عليه أجراً).

من الجدير بالذكر أن طلب العلم يجب أن ينصب على كتاب الله تعالى الذي تكفل الله بحفظه فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلقه تنبأنا لكل شيء وتفصيلا لكل شيء وكذلك سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم.

وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ ﴿٣٨﴾

(الأنعام ٣٨)

فالله أوضح فيه جميع الأمور ثم فصل كل أمر بينه وجاءت بعد ذلك السنة الشريفة ترجمة وشرح وتطبيق لما يكون مبهما ويحتاج إيضاح أكثر تفصيلا وليعلم المتعلم أن سادتنا العلماء قد استقوا جميع العلوم الإسلامية من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لذلك كل يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم وهكذا قال إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس.

يجب على المتعلم أن يعلم أن الدين اتباع ولا ابتداع فيه فكل قول في العلم يجب أن يستند على دليله من الكتاب والسنة.

يقول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿١٢٩﴾

(آل عمران ١٦٤)

ويقول الله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿١٢٩﴾

(البقرة ١٢٩)

نلاحظ من الآيتين ما يلي:

١. أن الذكر أفضل (قراءة القرآن الكريم) وأوله (لا اله إلا الله) وخيره الدعاء (الحمد لله رب العالمين) ممهدا دائما للعلم وسابقا له لذلك الأمر بتلاوة آيات القرآن الكريم ولو بغير فهم أمر تعبدية هدفه تطهير النفس وتركيتها وإعدادها قبل تلقي العلم فيجب تنظيف الإناء قبل وضع اللبن فيه وإلا فسد اللبن. ولذلك يجب أن يكون القلب طاهرا وتكون النفس مزكاة قبل تلقي العلم.
٢. نلاحظ اختلاف الترتيب فسيدنا إبراهيم ظن أن ترتيب الهداية هو كالاتي: تلاوة الآيات، تعلم الآيات والحكمة فتحدث التزكية للنفوس. فصحح الله ذلك الترتيب في الآيات الأولى وعلمه أن التزكية تحصل للمسلم بتلاوته الآيات ولو بغير علم ثم بعدما تعد القلوب لاستقبال نور علم كتاب الله وسنة رسوله يتعلم المسلم الكتاب والحكمة. فالتزكية بعد تلاوة الآيات وقبل تلقي العلم.

نخلص من هذا إلى ما يلي:

١. يجب على المسلم أن يسعى لطلب العلم من كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم والكتب والمراجع الشارحة لها.

٢. أول العلوم هي العلوم التي يتعلم منها المسلم الذكر:

تعلم تلاوة القرآن **يقول الله تعالى:** ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٦﴾﴾

(البقرة ١٢١)

تعلم جميع أنواع الذكر **يقول الله تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾
(الأحزاب ٤١-٤٣)

يتعلم كيفية الصلاة وكل ما يتعلق بها لأنه سبيل إعداد القلوب لاستقبال العلم فهو وسيلة تركية النفوس.

٣. السير في طريق الله بغير علم كالسائر في طريق مظلم بغير مصباح لا سبيل له في التقدم على هذا الطريق ومن عبد الله على جهل فكأنما عصاه.

٤. يجب أن يتبع المسلم أولويات طلب العلوم المختلفة من كتاب الله الذي له مقاصد ثلاثة:

- التوحيد . . . التعريف بالله وبصفاته وأفعاله وأسمائه.
- القصص . . . التعريف بالغيبيات التي تكون عقيدة المؤمن.
- الأحكام والتشريعات والأوامر والنواهي . . . أعمال الجسد.

ب- العمل بهذا العلم:

- يجب على كل متعلم أن يعلم أنه لا قيمة للعلم إن لم يتبعه عمل بهذا العلم بل سيصير العلم حينئذ حجة عليه وما غضب الله على اليهود إلا لأنهم علموا ولم يعملوا بما تعلموه وقالوا سمعنا وعصينا والصراف المستقيم قوامه العلم ثم العمل بهذا العلم ثم تعليمه إلى غيرك.
- ويجب الإشارة إلى أنه يجب أن يكون المسلم قدوة فيما يأمر به غيره.

ويقول الله تعالى: ﴿*أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾﴾

(البقرة ٤٤)

- الوقوف على طلب العلم كمن أمسك المصباح فأضاء له طريقه ولكنه لم يتحرك ولم ينتفع بهذا النور بل ظل على ما كان عليه فمثله كمثل الحمار يحمل أسفارا أي يحمل كتباً على ظهره ليس له من هذه الكتب سوى حملها الثقيل على ظهره ولا ينتفع بما فيها من علوم نفيسة.

من المهم التحذير من أن يكون العلم بغير عمل فيكون حينئذ فتنه على صاحبه فرب قارئ للقرآن، القرآن يلعبه فطلب العلم أول طريق الغواية وفرح العالم بعلمه قد يجعله من الذين تسعر بهم النار يوم القيامة إذ تعلم العلم ليقال عالم.

لذلك يجب التأكيد على أن العلم يجب أن يظل دائما وسيلة المسلم للعمل الصالح الذي يرضي الله عز وجل والذي يخلو من الشرك والنفاق. لذلك قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ

إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ) (رواه مسلم)

فنظرة الله للقلب لما فيه من عقيدة ونية وللعمل لما فيه من إخلاص واتباع لشرع الله.

فكل عمل صالح ليكون مقبولا عند الله يجب أن تتوافر فيه الشروط الآتية:-

١. أن يكون فاعله مؤمنا يأتي هذا الفعل إيمانا بأمر الله وطمعا في ثوابه وليس اقتناعا بالأمر (إيمانا واحتسابا)

كما قال رسول الله ﷺ: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) (رواه البخاري)

أن يكون الفاعل مطعمه وملبسه ورزقه يطلبه من حلال.

٢. أن يكون العمل خالصا لوجه الله تعالى والله حده وليس لأحد معه.

فيقول الله تعالى في الحديث القدسي:

(أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكَ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ) (رواه مسلم)

فالنية والتوجه يكون لله وحده كاملا فالشرك كالحبر يأتي في اللبن قطره فيفسده.

٣. أن يكون العمل موافقا لكتاب الله ولسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فلا يقبل من المسلم أن يصلي الفجر مثلا أربع ركعات فالزيادة في الدين كالنقصان فيه ولا مجال للزيادة في الفعل إلا بنص مثلا لذلك.

الوضوء فلا مانع من إسباغ الوضوء فيزيد المتوضأ في غسله للعضو على ما نص عليه القرآن لنص

حديث الرسول - قال رسول الله ﷺ: (تَبَلُّغُ الْحِلْيَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوُضُوءُ) (رواه مسلم)

قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ

فَلْيُفْعَلْ) (رواه مسلم)

٤. التخلي قبل التحلي فيجب على المسلم أن يجتنب المعاصي والفواحش ما ظهر منها وما بطن قبل ما يجتهد

في نوافل الطاعات فيجب أن يبتعد عما يبعده عن الله قبل ما يجتهد فيما يقربه إلى الله فيجتنب موجبات غضبه قبل ما يرجو منه رحمته وحيه.

٥. لا تقبل النوافل حتى تستوفي الفرائض فمثلا إذا أراد المسلم أن يصلي الصبح بعد طلوع الشمس فعليه أن يبدأ بالفريضة ثم السنة خلافاً لو صلى الصبح قبل شروق الشمس فانه يصلي السنة ثم الفريضة.

٦. أن يكون الفاعل مختارا مميذا بالغا عاقلا ورفع الله عن الأمة الخطأ أي كل فعل بغير قصد والنسيان وما استكروها عليه ولم يرفع عن المسلم الجهل إذ لا يعد الجهل عذرا مقبولا.

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٧٣)

(البقرة ١٧٣)

يقول الله تعالى: ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٦)

(النحل ١٠٦)

جـ الصبر على قضاء الله أثناء السير على الصراط المستقيم:

الصبر نصف الإيمان والصوم نصف الصبر والمعنى بالصبر:

١. الصبر على طلب العلم.
٢. الصبر على العمل الصالح المبني على العلم (على الطاعات وعن المعاصي).
٣. الصبر على أذى الناس.
٤. الصبر عن كل قضاء يقضيه الله على العبد.

ويقول الله تعالى: ﴿ وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٥٥)

(البقرة ١٥٥)

فالصبر عن تعجيله كل ما أحببت تأخيرها أو تأخيرها كل ما أحببت تعجيله وتركك مرادك لمراد الله.

قال رسول الله ﷺ: (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ

فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) (رواه مسلم)

وقد جعل الله جزاء الصبر دخول الجنة بغير حساب:

يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١٠)

(الزمر ١٠)

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول عندما تصيبه مصيبة:

(أحمد الله على ثلاثة:

١. أنها جاءت في دنياي ولم تأت في ديني.
٢. أنها جاءت على قدر ما جاءت ولم تزد.
٣. أن الله ادخر لي عليها أجرا.

ولا يكون العبد في معية الله إلا في وقت الصبر

يقول الله تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ (١٨)

(الطور ٤٨)

فالابتلاء يأتي ليرقي العبد في طريقه إلى الله فهي كالبوابات على الصراط المستقيم كلما أراد العبد أن يعبر بوابة ليزداد قربا من الله — امتحنه الله وابتلاه — فان صبر عبر الباب ونال القرب ولذلك كان أشد الناس ابتلاءً الأملئ فالأملئ.

في وقت الشدة والكرب يتعلم المسلم العبادة الخالصة والاستعانة الخالصة (إياك نعبد وإياك نستعين) فلا يخلص الدعاء ويخرج من القلب بغير تصنع إلا في حالة الكروب والبلاء.

الصبر في السعي في طريق الله – الصراط المستقيم – يعبر عن رضى العبد عن كل قضاء لله فيما أعطى فيشكر وفيما منع فيصبر ولا يتمنى سوى رضاء الله عنه.

فلا يرضى العبد عن الله إلا إذا رضى الله عن العبد ويقدر الرضا يكون الرضا (رضي الله عنهم ورضوا عنه).

أثبت الله في كتابه حبه للصابرين (إن الله يحب الصابرين) فلا أمل لأن يدخل أحد الجنة بغير ما يبتلى فيصبر.

فيقول الله تعالى: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا دُوحٌ عَظِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

(فصلت ٠٣٥)

ويقول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ

وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّا نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢٦﴾﴾

(البقرة ٢١٤)

السعي في طريق الله إلى الله محفوف بالمكارة والنار حفت بالشهوات وعلى المسلم أن يستعين بالصبر والصلاة فالصبر بالتصبر ولهذا كان الأنبياء يطلبون الصبر من الله .

ويقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّثْ أَفْئَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾

(البقرة ٢٥٠)

والله عز وجل كان يربط على قلب المبتلى ليصبر كما فعل مع أم موسى وأصحاب الكهف **ويقول تعالى:** ﴿وَأَصْبَحَ

فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِعًا إِن كَادَتْ لَتُبْدَى بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٨﴾﴾

(القصص ٠١٠)

يقول الله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا

شَطَطًا ﴿٢٩﴾﴾

(الكهف ٠١٤)

ففي وقت الابتلاء يجب على المسلم أن يستعين بالله ويدعوه باسم (الصبور) ويسأله أن يربط على قلبه وأن يسارع ويقول: (إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبي واخلف على خيرا منها).

الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – وهو أماننا على الصراط المستقيم رأى جميع أنواع الابتلاء كالسب والقذف والادعاء عليه بالكذب وابتلاه الله بمكر المنافقين وأذى الكفار وابتلاه الله في عرضه في أحب زوجاته إليه (حادثة الإفك) وابتلاه الله بالمرض والحمى وابتلاه الله بفقدان الولد فمات جميع أولاده حال حياته عدا فاطمة الزهراء وابتلاه الله بكيد الزوجات وما كان منه صلى الله عليه وسلم إلا أن صبر الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه وقال: (من عظمت عليه مصيبتة فليذكر مصيبتة في)

كان من أدب الرضا والصبر للأنبياء أنهم لا يطلبون كشف البلاء فما هو ذا النون عليه السلام وهو في بطن الحوت يدعو لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين وما هو أيوب عليه السلام في مرضه يدعو أي مسني الضر و أنت أرحم الراحمين فهم يستحيون من الله أن يطلبوا شيئا بعينه فعلمه بحالهم يغنيهم عن سؤاله فهم يفوضون ربهم أن يختار لهم الخير (اللهم خير لي واختر لي واختر لي الخير حيثما كان ثم رضني به).

د- الإنابة إلى الله في السير على الصراط المستقيم:

١) الإنابة بعد المعصية:

الزلل والمعصية من المسلم حاصلة لا محالة.

قال رسول الله ﷺ (لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ) (رواه مسلم)

الله عز وجل يعلم أن المسلم قد يخرج عن طريقه ولكن يتفاضل المسلمون في سرعة الإنابة والرجوع إلى طريق الله بالاستغفار والتوبة النصوح- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٧٧ ﴾

(النساء ٠١٧)

قال الله تعالى: ﴿ *وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ﴾

(آل عمران ١٣٣)

أثبت الله حبه للتوابين والمتطهرين - قال الله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَظْهَرْنَ فَإِذَا تَظَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ۝٢٢٢ ﴾

(البقرة ٢٢٢)

بل أثبت أيضا حبه جل وعلا للمطهرين الذين يحبون أن يتطهروا.

قال الله تعالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ۝١٧٨ ﴾

(التوبة ١٠٨)

المعصية كالوسخ الذي يأتي على الثوب فيلزم الإسراع بتنظيفه وإلا لصق بالثوب وصعب تنظيفه فالمعصية وسخ القلوب فإذا زاد علا القلب بذلك الران حتى غطاه بسواده وحجب القلب عن نور الله.

قال الله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٤ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ﴾

(المطففين ١٤-١٥)

إن من أخطر المعاصي، التقاعس عن ابتغاء الأسباب للحصول على الهداية بل التقاعس عن الدعاء نفسه.

قال الله تعالى: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾

فإذا انخرط العبد في دنياه وشهواته وأزواجه وأولاده وأعماله وجب عليه أن يفيق قبل ما يفاجأه الموت وهو في غفلته فليحاسب نفسه قبل أن يحاسب.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾

(التوبة ٥٢)

قال الله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾

(المنافقون ٩)

الإنابة إلى الله تقتضي عدة أمور أهمها:

- الندم عن المعصية والمخالفة ندما صادقا فكأنما ضاقت عليهم أنفسهم وضاقت الأرض بما رحبت وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه.
- الإقلاع عنها فوراً دون أدنى تباطؤ.
- العزم على عدم الرجوع إليها ويكره ذلك كما يكره أن يقذف في النار.
- رد المظالم والحقوق إلى أهلها والتحلل من أهل المظالم.

قال رسول الله ﷺ (اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (رواه مسلم)

من المهم الإشارة إلى أن أكثر المعاصي تبعدك عن الله هي التي تظلم فيها الإنسان أو الحيوان أو أي مخلوق آخر لأنها تفسد الأرض تليها المعاصي التي يظلم فيها المسلم نفسه ولا يتعدى الظلم إلى الغير إذ أن ذلك يفسد صلاح النفس فيحجبها عن ربها ويجعلها غير قادرة على الإصلاح.

ولقد سميت كبائر المعاصي كبائر وموبقات.

قال الله تعالى: ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾

(النساء ٣١)

قال رسول الله ﷺ (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ قَالَ الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالسَّحَرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ) (

رواه البخاري)

ونلاحظ أن هذه المعاصي كلها من المعاصي التي فيها ظلم للغير وتفسد الأرض ولذلك صارت من الموبقات وكبائر الذنوب.

قال رسول الله ﷺ (الصَّلَاةُ الْحُمُسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا لَمْ تُغَشَّ الْكَبَائِرُ) (رواه مسلم)

يجب أن نعلم أنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار فالإصرار على المعصية مهما كانت صغيرة تجعلها كبيرة فان استحل ما حرم الله خرج من الإسلام ورحمة الله وسعت كل شيء والله يقبل التوبة من كل ذنب ما لم يصِر عليه العبد.

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥٣)

(الزمر ٥٣)

أعظم الذنوب أن يستعظم العبد ذنبه أن يغفره الله له.

٢) الإتابة في كل الأمور وقبل جميع الأعمال (الاستعانة بالله) (إياك نعبد وإياك نستعين).

الرجوع إلى الله يجب أن يكون في كل أمور الحياة فلا يبدأ عملاً بغير اسم الله، ففي الحديث:

قال رسول الله ﷺ (كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ بِاسْمِ اللَّهِ فَهُوَ أَقْطَعُ) (رواه ابن ماجه)

أي يجب أن يبدأ المسلم كل عمل باسم الله والحمد لله ويستعين بالله من الشيطان الرجيم كي يجنبه الشيطان أن يشاركه عمله أو رزقه أو زوجته وهذا هو معنى البركة فإذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله ثم عند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء فالعمل الذي يبدأ بذكر الله يبتعد منه الشيطان وبالتالي تحل فيه البركة أما الغافل عن الاستعانة بالله قبل الأعمال فيشاركه الشيطان فيها وتنزع منها البركة.

قال الله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مَنِ اسْتَضَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (٦٤)

(الإسراء ٦٤)

فالرجل إذا أراد أن يجامع زوجته عليه أن يقول:

(بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا).

وهكذا لا يشاركه الشيطان في جماعه لزوجته فان رزقوا ولدا من ليلتهم لم يقربه الشيطان، فتحل البركة في هذه الذرية إذ ليس للشيطان فيها نصيب.

من هنا تظهر أهمية تعلم الأذكار المقيدة والغير مقيدة.

- الأذكار المقيدة: هي الأذكار التي علمنا إياها النبي الكريم عند كل فعل فهو دعاء بعينه

قبل الفعل وبعده.

مثال: دعاء الطعام

* قبل الطعام: "بسم الله، اللهم بارك لنا فيما رزقنا، وارزقنا خيرا منه وقنا عذاب النار."

* بعد الطعام: "الحمد لله الذي أطعنا وسقانا وجعلنا مسلمين."

- الأذكار الغير مقيدة: هي الغير مقيدة بوقت بعينه أو فعل بعينه وان كانت لها أوقات استحباب.

مثال: * الصلاة والسلام على رسول الله – أفضل يوم هو يوم الجمعة.

* الاستغفار – أفضل الأوقات هو وقت السحر.

* التسبيح والتهليل والتكبير – أفضل وقت قبل طلوع الشمس وقبل غروبها.

كما يشرع الانابه إلى شرع الله قبل أي فعل فالأحكام خمسة:

٢. مسنون

١. فريضة

٤. مكروه

٣. مباح

٥. حرام

فان كان الفعل الذي تريد القيام به فريضة أو مسنون أقدمت عليه وصححت النية سائلا المولى عز وجل أن يتقبله منك أما إن كان مكروها أو حراما وجب أن تجتنبه وتتركه فوراً وأن تتباعد عنه وألا تتبع خطوات الشيطان.

فالمفروض والمسنون أعمال خير محض تصلح نفس المسلم وتصلح المجتمع أما المكروه والحرام فهي أعمال شر محض تفسد نفس المسلم وتفسد المجتمع لذا يجب تركها.

أما المباح من العمل فهو ليس بالخير المحض أو الشر المطلق واختلاف العقول فيه جائز وكل الآراء صواب تحتل الخطأ أو خطأ تحتل الصواب فيجب ألا يتشدد أحد منا فيها برأي ويفرضه على غيره فالمباح قد يكون خيراً لأحد الناس وشراً لغيره أو خيراً له في وقت وشراً له في وقت آخر لذلك وجبت الاستشارة والاستخارة فإذا عزمت فتوكل على الله وسله التوفيق والسداد وأن ينبت من هذا العمل الخير له وللناس في الدنيا والآخرة.

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (٣٦)

(الأحزاب ٠٣٦)

في الحديث: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ) (رواه البخاري)

ولهذا شرعت الاستخارة في كل أمر مباح.

قال رسول الله ﷺ (إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لْيَقُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ اللَّهُمَّ إِن كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ (ويسمى حاجته) خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَأَقْدِرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاقْدِرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي قَالَ وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ) (رواه البخاري)

كان الصحابي يقول أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا الآية من القرآن الكريم لذلك وجب التقيد بنص الدعاء دون أدنى تعديل وكان صلى الله عليه وسلم يستخير الله في كل أموره.

وعلى المسلم إذا أراد أن يقدم على فعل مباح أن يصلي ركعتين من غير الفريضة ويدعو بالدعاء وتأتيه إجابة الاستخارة إما برؤيا أو بانشرح صدر أو انقباض أو بتيسير أو تعسير للأمر وعليه أن يكرر الاستخارة حتى إذا جاء الوقت يعزم ويتوكل على الله ويسأله السداد والتوفيق والرشاد.

من المهم الإشارة أنه من المهم تعلم أسماء الله الحسنى التسعة والتسعون فمن أحصاها دخل الجنة

يقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠)

(الأعراف ١٨٠)

لذلك عند بداية أي فعل يستعين المسلم باسم الله المناسب للفعل الذي يقدم على فعله فان كان سيحكم بين الناس فليقل (بسم الله الرحمن العدل المقسط الحق) فيستعين باسم أو أكثر من أسماء الله فان رزقه الله خيرا فليقل (الحمد لله الرحمن الوهاب الرزاق الكريم) مثلا.

نخلص مما سبق أن الإنابة إلى الله على الصراط المستقيم هي:-

١. الرجوع إلى الله بعد كل معصية في أسرع وقت بتوبة نصوحة.
٢. الرجوع إلى الله في كل أمر فان كان مفروضا أو مسنونا فعلناه وان كان حراما أو مكروها تركناه.
٣. الرجوع إلى الله في الأمر المباح بالاستخارة والاستشارة فإذا عزم فتوكل على الله.
٤. الاستعانة بالأسماء الحسنى في كل فعل.
٥. تعلم الأذكار المقيدة والغير مقيدة قبل الأفعال وبعدها وذلك الإرجاع النفسي بالتذكرة إلى خالقها كلما نست وغرقت في دنياها وملذاتها وملهياتها.

يقول الله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَذَكُرَ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ۝﴾
(الكهف ٠٢٤)

يقول الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ۝﴾
(الذاريات ٠٥٥)

وتذكر بأنه إذا أردت أن تجنب الشيطان أفعالك فلا يشاركك فيها فتحل البركة فعليك ببديها وختمها دائما باسم الله والحمد لله.

أهمية الدعاء أثناء السير إلى الصراط والسير على الصراط المستقيم وحتميتها.

١- طلب الهداية في المرحلة الأولى من الهداية إلى الطريق:

يجب أن يتوجه الإنسان الجاد في البحث عن خالقه وعن سبب وجوده في هذه الدنيا إلى القوة التي أوجدته سائلا إياها أيا كان اسمها أو ماهيتها أن تدله عليها وتعينه للوصول للحقيقة.

هذا التوجه يكون بأي أسلوب وبأي لغة ولكنه يدل أصدق الدليل على صدق هذا الإنسان في الوصول للطريق الصحيح والوصول إلى الحقيقة الكبرى فلا سبيل للإنسان للوصول إليها بغير عون وتوفيق القوة التي أوجدته ولا مانع من أن يتوجه إليها تأملا: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ أو بأي أسلوب آخر يعبر عما في داخله من حيرة.

يجب على الإنسان أن يطلب معونة غيره من البشر الذين سلكوا هذه الطرق والأخذ عن خبراتهم وطلب النصيح والعلم من أهل العلم والمتخصصين وان كانوا لا يملكون الهداية لهم. وأمثال من يمكن الرجوع لهم الأنبياء والمرسلين ودراسة قصصهم ودعوتهم للناس وكيف انتهت قصصهم.

أنواع الهدايا:

١. هداية الفطرة
٢. هداية الحواس
٣. هداية العقل
٤. هداية العلماء
٥. هداية الأنبياء
٦. هداية الله

(١) هداية الفطرة:

هي هداية أودعها الله في كل الكائنات الحية بما فيه النبات فيها تعلمت الجذور أن تمتص المياه من باطن الأرض وبها تتحرك الزهرة لتواجه الشمس أينما تحركت وبها تتحرك الشمس وتجري لمستقر لها وتدور الكواكب في مداراتها وتدور الأرض حول نفسها مرة كل ٢٤ ساعة وتتم دورة كاملة حول الشمس كل ٣٦٥ يوم.

(٢) هداية الحواس:

هي الهداية التي توفرها الحواس للحيوان والإنسان فبالعين يبصر وبالأذن يسمع وباللسان يتحدث وبالجلد يحس وبالأنف يشم ويتعرف على الروائح. هذه الحواس هي التي تميز به الحيوان عن النبات فجمع الحيوان هدايتي الفطرة والحواس ليتلمس حياته على هذه الأرض.

٣) هداية العقل:

هذه الهداية هي الهداية التي ميزت الإنسان عن الحيوان والنبات فالحيوان ليس له هذا العقل الذي يستطيع به أن يصحح أخطاء الحواس.

فالكلب عندما ينظر في صفحة الماء ينبج إذ أنه رأى صورة كلب أمامه فهذا خطأ للحواس يصححه عقل الإنسان الذي تغذى بالعلم وعلم أن هذه الصورة ليست إلا انعكاس للضوء وأنه لا يوجد كلب تحت الماء.

بالإضافة أن للحواس أخطاء فإن لها حدود إدراك فمثلا لا يستطيع الإنسان أن يستمع إلا لعدد معين من الذبذبات في الثانية إذا خرج الصوت عن هذه الحدود خرجت عن قدره إدراك الأذان ولا تكون مسموعة.

وكذلك الرؤية فهناك أحجام شديدة في الصغر لا تستطيع العين أن ترى فيها.

ومن هنا كانت أهمية العقل للإنسان فمن أهمله شابه الحيوان ومن استخدمه في فهم الحقائق دون الوقوف على هداية الحواس رقى في إنسانيته وبشريته.

٤) هداية العلماء:

العلم هو الذي يصفل العقل وبانعدام العلم يكون العقل كالكوب الفارغ وكالسيارة بغير موتور. ومن هنا كانت أهمية اهتمام كل إنسان بعقله بتغذيته بالعلوم المختلفة واستغلال الحواس للتدبر والتفكر وجمع الصور والمعلومات والبيانات لتغذية العقل وتدريبه على تحليلها وفهمها.

أوضح الله تعالى أن يخشاه العلماء ووصفهم بأنهم (أولوا الألباب).

أي أصحاب العقول أي الذين لهم عقول يعقلون بها ولهم آذان يسمعون بها ولهم أعين يبصرون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور. وهؤلاء العلماء هم ورثة الأنبياء وهم الذين يعلمون الناس ويهدونهم الطريق في غيبة الأنبياء والمرسلين.

ولكن هداية العلماء تقتصر على كونها هداية دلالة وتعليم فحسب قد لا يكون فيها القدوة إذ أن العلماء غير معصومين من الخطأ فيقتصر دورهم على الدلالة على الخير والحق فحسب وان لم يفعلوه وان أخطأوا وخالفوا فهم في النهاية بشر ومن هنا كانت الحاجة إلى هداية أعظم وهي هداية الأنبياء والمرسلين التي تزيد على هداية العلماء بالقدوة والأسوة الحسنة.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۖ﴾ (الأحزاب ٢١)

٥) هداية الأنبياء:

الأنبياء والمرسلين اصطفاهم الله برسالاته وبكلامه ويتلقون العلم والغيب من الله عز وجل من خلال الوحي أو من وراء حجاب أو يرسل رسول من ملائكته إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيوحي بإذنه ما يشاء. فيقوم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بتبليغ كلام الله - عز وجل - للناس كاملاً غير منقوص ويطبقه على نفسه فيكون الأسوة الحسنة للناس فيتبعوه فيهدوا .

يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۖ﴾ (الأحزاب ٢١)

وهذه هي هداية الرسل هداية دلالة وإرشاد وتوجيه وقودة للخير.

يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾

(الشورى ٥٢)

بالرغم من قوة هذه الهداية إلا أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا يستطيع أن يملك إعطاء الهداية لأقرب الناس إليه .

يقول تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾

(القصص ٥٦)

لقد ضرب الله مثلاً للذين كفروا ابن سيدنا نوح - عليه السلام - وامرأة لوط - عليه السلام - لم يملك الأب الرسول أو الزوج الرسول إعطاء الهداية للابن أو الزوجة و هذه هي حدود هداية الرسل أنها تقتصر على كونها هداية دلالة إلى طريق الله - عز وجل .

٦) هداية الله:

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُوهُ إِلَى الْهُدَىٰ امْتَثِلْنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾

(الأنعام ٧١)

ويقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾

(آل عمران ٧٣)

أي أن الهداية الكاملة إنما هي هداية الله فليست هداية دلالة على الطريق ولكنها أيضا هداية توفيق وإعانة وتوجيه مستمر حتى يتحصل المسلم على الهداية الكاملة ويصل إلى ربه جل وعلا. فقد بدل الإنسان على الخير ولكن لا يتبعه وحينئذ لا قيمة لهذه الهداية لهذا الإنسان أما هداية الله فهي هداية إلى الصراط المستقيم وهداية على الصراط المستقيم بالتالي هي هداية كاملة غير منقوصة.

ومن الدعاء المأثور: (اللهم خذ بأيدينا إليك أخذ الكرام عليك أعنا إذا استقمنا وقومنا إذا اعوجبنا).

وهذه الهداية المعنية في دعاء كل مصلي في فاتحة الكتاب ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾

(الفاتحة ٠٠٦)

فهداية الله هي التي يطلبون فلا عجب في ذلك إذ أنها الهداية الكاملة التي تهدي وتتجي وتضع العبد تحت عين خالقه جل وعلا.

في المرحلة الأولى من الهداية (الهداية إلى الصراط) يستعين العبد بكل أنواع الهدايات عدا هداية الله إذ أنه لم يصل إليه بعد ولكنه بعد ما يسلم فيسأل الله هداية الله الكاملة فالهدي هدى الله وهدى الله هو الهدي.

٢- طلب الهداية في المرحلة الثانية من الهداية (الهداية على الصراط)

دعاء العبد ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

(الفاتحة ٠٠٦)

في صلاته على الأقل ١٧ مره في اليوم والليلة يبين أهمية هذا الدعاء وتكراره.

فالصلاة عماد الدين والركن الركين بعد الشهادة والفريضة الوحيدة التي فرضت في السماء وأول ما يحاسب المرء يوم القيامة على صلاته فان صلحت أفلح وأنجح وان خابت فقد خاب وخسر والصلاة مفردها الركعة وللركعة أركان لا تقوم الركعة إلا بها أهمها قراءة الفاتحة.

قال رسول الله ﷺ: (لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ) (رواه البخاري)

ومن هنا ارتبطت أهمية الصلاة بقراءة الفاتحة التي إذا تدبرناها وجدناها دعاء ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

(الفاتحة ٠٠٦)

وكان الله عز وجل أراد بالصلاة أن يفرض على المسلم قراءة الفاتحة والدعاء بهذا الدعاء ١٧٠ مره في اليوم والليلة ثم خفف إلى ١٧ مره وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن التلفظ بهذا الدعاء والدعاء به أمر غاية في الخطورة والأهمية والحيوية إذ لا يسقط عنه الدعاء بهذا الدعاء حتى يموت وحتى وهو في سكرات الموت أما المرأة فتتقطع عنها في أيام حيضها فعد ذلك لها نقصان في الدين. لذلك يجب الحرص على طلب الهداية من الله عالمين أننا نطلب هداية الله الكاملة إذ لا يملكها إلا هو ولا ننقطع عن ذلك حتى آخر أنفاسنا في هذه الدنيا فليس هناك هداية قصوى ولذلك كان أهدى الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم – يطلبها حتى مات ووصانا بها أيما توصية. إذا كنا نريد أن يهدينا الله الصراط المستقيم فيجب أن نحرص على مواصلة الدعاء وابتغاء الأسباب دون توقف ابدأ وهكذا يتجلى الله علينا بهدائه وبنوره بفضلته وكرمه هدية لنا بغير استحقاق منا.

منذ أن خلق الله الخلق سار علي هذا الصراط المستقيم ودعى إليه جميع المرسلين وآخرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فالصراط المستقيم هو دين الله الواحد منذ الأزل وهو الإسلام.

الهداية التي تطلب مرحلتين:

١. هداية إلى الصراط المستقيم إلى الإسلام

٢. هداية على الصراط المستقيم - علي الإسلام .

وهذا الطلب هو ما تعنيه الآية ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

(الفاتحة ٠٠٦)

في فاتحة الكتاب هذا الدعاء الذي فرضه الله على المسلم وفرض الدعاء به سبعة عشر مره في اليوم والليله طمعا في هداية الله وهى الهداية الحقيقية الكاملة.

الدعاء لا يكفي بغير ابتغاء الأسباب حتى يجيبه الله دعاءه فيهديه الصراط المستقيم كما هدى الأنبياء جميعهم كسيدنا موسى وهارون ومحمد – عليهم الصلاة والسلام.

وهذه الأسباب تتلخص فيما يلي :-

١. طلب العلم بدءا بتعلم الذكر ثم الكتاب والسنة.
٢. العمل بهذا العلم وهو العمل الصالح الذي أساسه أكل الطيبات و ابتغاء الرزق الحلال البعيد عن الشبهات.
٣. الصبر على البلاء والرضا بالقضاء و القدر خيره و شره حلوه و مره.
٤. الإنابة إلى الله بعد المعصية والاستعانة بأسمائه الحسنی قبل كل فعل.

فإذا قرن المسلم دعائه المخلص بابتغاء الأسباب أجابه الله دعائه.

إن هذه الهداية مستمرة غير متقطعة ولا نهاية لطريق الله إن ربى على صراط مستقيم فيها سيترقى العبد ويزداد قربا من خالقه وتزكوا نفسه من نفس أماره إلى نفس لوامة إلى نفس مطمئنة حتى يأتيها داعي الله فتحب وتشتاق إلى لقاء الله فينادى الله عليها:

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۖ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۖ وَأَدْخُلِي

جَنَّتِي ۖ﴾

(الفجر ٢٧-٣٠)

الجزء الثاني

المرحلة الأولى من المداية

(المداية إلى الصراط المستقيم)

❖ مقدمه.

❖ بعض الحقائق العقلية.

❖ الخالق يعلن عن نفسه لخلقه.

❖ آخر الرسائل السماوية.

❖ الهداية إلى الصراط المستقيم.

المرحلة الأولى من المداية

المداية إلى الصراط المستقيم إلى الإسلام

مقدمة:

الحديث موجه إلى كل إنسان أيا كانت ملته أو جنسيته أو أفكاره. أطلب منك أيها القارئ العزيز أن تجلس أمام امرأة ترى فيها نفسك وكان الرائي شخص آخر وأنت تقرأ هذه السطور. يجب على كل منا أن يصل إلى نفسه من قبل ما يبحث عن أي شيء آخر "وفى أنفسكم أفلا تبصرون؟" الإنسان على هذه الأرض نفس تتركب من روح وجسد يمثل ثوب الروح أما علاقة الروح بالجسد في النفس البشرية كعلاقة موتور السيارة بهيكل السيارة أو كعلاقة ربان السفينة بالسفينة أو كعلاقة الفارس بفروسه الذي يركبه. فالجسد له شهوات وغرائز حيوانية والروح تحاول أن تخضع هذا الجسد تبعاً لعقيديتها وميولها وأهدافها.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

(الأعراف ١٧٩)

إذا نظرت فيمن تراه في المرأة لوجدت أنك أنت تنتظر لجسد قد لا تتعرف عليه وهذا أول شعور يجب أن تدركه من أنت؟ ومدى مسؤوليتك عن هذا الإنسان الكامل الذي تراه أمامك؟ وكيف تتعرف عليه وكيف تحركه؟ قد يتغير شكل هذا الرجل الذي تراه في المرأة وستظل أنت كما أنت.

إذا راقبت هذا الإنسان لوجدته يأكل ويشرب وينام ويتنفس يحتاج ليل ليسكن فيه فإذا بشمس تغيب وقمر يسطع ثم يستيقظ فيحتاج إلى نهار فإذا بشمس تشرق وتوفر له نهاراً تتغير حرارته ويتغير ضوؤه من ساعة إلى ساعة وإذا أراد أن يخرج فضلاته ليس عليه سوى أن يقصد خلاء وإذا بالفضلات تخرج من جسده دون أن يعلم كيف ولا لماذا.

إذا جرح فإذا بالدماء تسيل ثم تتجلط ثم يغطي الجلد طبقة جديدة من القشر ثم ينبت جلد جديد في الليل يتقلب الجسد وكان أحداً يقلبه وهو نائم وهو لا يعلم لما يتقلب وإذا بالطب يخبرنا بحاجة الجسد لهذه الحركة فإذا ظل الجسد ساعات طويلة دون حركة يصاب الجسد بمرض قرحة الفراش.

بل هذا الإنسان عندما كان طفلاً رضيعاً وجد له راعيان أب وأم يسهران على راحته وينفقان عليه ويضحيان بكل غال من أجل سعادته. . ينعم بالأطعمة والأشربة المختلفة الألوان والأشكال والأذواق وكلما سأل شيئاً وجده متوفراً فالنبات مسخر له والحيوان مسخر لخدمته والكون كله يتكامل مع سائر المخلوقات الأخرى ليعلم هذا الإنسان.

أليس بجدير بهذا الإنسان أن يسأل نفسه: متى فعل كل ذلك له؟ ومن أوجده؟ ولم أوجده في هذه الدنيا ولم يحيا ثم يموت؟ يشبه في ذلك الرجل الذي استيقظ في الصحراء ووجد مائدة الطعام وقد سبق الحديث سابقاً عن هذا المثال.

إذا لم يسأل هذا الإنسان الذي تراه في المرأة نفسه تلك الأسئلة من نفسه فعليك أنت أن تسأله إياها.

حقائق عقلية لا خلاف عليها:

العقل السليم سيقر بغير تردد أن كل هذا الملكوت من بشر وحيوانات ونباتات وغابات وأمواج وأبحار وأفلاك وأقمار ونجوم وكل متحرك وساكن كل شيء يدل أن له فاعل فالأثر يدل على أنه من إنسان في هذا المكان فكيف بكل ما تراه الأعين كيف لا يدل على خالق وفاعل. لا يمكن الاستخفاف بالعقول والادعاء أن كل هذا أوجدته الصدفة.

يجب وجود فاعل أو قوة كبيرة أو عدة قوى أين كانت هي التي فعلت وتعمل.

إذا تدبرت تكامل هذا الكون مع نفسه ومع الإنسان واتفاهه لخدمته الإنسان وكل شيء يتحرك طبق لنواميس محددة له منذ القدم لا تتغير ولا تتبدل، فعلى مر السنين لم نعلم أن الشمس أشرقت يوماً من المغرب أو أنها أبت أن تغرب أو أن القمر لم يظهر أو أن الأمواج توقفت أو أن الأكسجين قل في الجو فمات الناس أو أن الماء تبخر كله فلم يجد الناس ما يشربونه. فالكل يتبع نظام واحد لا يتبدل ولا يتغير و من المذهل أن الإنسان بالرغم من قلة حجمه وقوته قد يسخر له كل شيء

لخدمته و لذا تجد الجمل يجره طفل صغير ويجلس حتى يركبه أما الذبابة الصغيرة يعجز الإنسان أن يمسك بها وتنغص عليه نومه!! سبحان من سخر الجمل فأطاع ولم يأمر الذبابة فلم تخضع للإنسان . من ناحية أخرى عندما ندرس كيف تقوم الحشرات بتلقيح النباتات ترى كيف يتكامل عالم النبات مع عالم الحيوان. وعندما ترى البقرة تقبل أن تنبح والخيول يقبل أن يركب من الإنسان والبحر يحمل سفنه والهواء يحمل طائراته التي تبلغ آلاف الأطنان. هذا التكامل وهذا التسخير يدل على أن القوة الخالقة لكل هذا بما فيه الإنسان هي قوة واحدة وإرادة واحدة لهدف أوحده ولا يمكن أن تكون عدة قوى ولا عدة آلهة ، إذا لبغى كل على الآخر ولما رأينا هذا التكامل وهذا النظام البديع ولما لاحظنا هذه النواميس الثابتة التي تحكم هذا الملكوت منذ قدم الزمان فهي لم تتبدل ولم تتغير بالرغم من أن الناس تموت ويحيا آخرون.

من هذا كله يتبين لنا أنه يجب أن يكون لهذا الكون ولهذا الإنسان خالق ذو قوة جبارة حكيم بديع واحد لا شريك له.

ولكن السؤال: أين هذا الخالق؟ إلى هذا الحد يقف العقل وينتظر من هذه القوة أن تعلن عن نفسها ليتعرف عليها ويسألها: لم أوجدته في هذه الدنيا وكيف يستطيع أن يستخدم كل هذه النعم لبلوغ هذا الهدف الذي خلقت من أجله؟

– الخالق يعلن عن نفسه لخلقه:

إذا درسنا التاريخ وجدنا على اختلاف الأزمنة رجال تأتي للناس وتقول أنها مرسله من الخالق وهؤلاء الرجال مؤيدون بمعجزات تخرق نواميس الكون أيدهم بها الخالق الواحد ليثبتوا للناس صدقهم ولا يطلبون من الناس أجرا على دعوتهم. رسالة جميع هؤلاء الرسل تتلخص في جملة واحدة: (لا اله إلا الله فاعبدوه) وقد جاء بعض هؤلاء المرسلين بكتب سماوية فيها كلام الله للبشر يخبرهم أن بعد الموت بعث وحساب على كل صغيرة وكبيرة اقترفها العبد في دنياه فمن آمن وأطاع وأصلح ثقلت موازينه ودخل الجنة وأما من كفر وعصى وأفسد خفت موازينه ودخل نارا لا يموت فيها ولا يحيا .

العجيب في هذا الأمر أن الراسل دائما واحد لا يتغير والرسالة واحدة لا تتغير مع تغير الأزمنة والأماكن التي يبعث فيها هؤلاء المرسلين.

جدير بالإنسان أن يقبل على هذه الرسائل السماوية ليتعرف على خالقه وليدرس كلماته وليتبع رسله وبخاصة أن التاريخ أثبت أن الذين اتبعوا الرسل كانوا هم المفلحون والمنتصرون دائما وأن الذين خالفوهم كانوا هم الخاسرين.

– آخر الرسالات السماوية:

منذ أكثر من أربعة عشرة قرنا بعث محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وهو في سن الأربعين من عمره وجاءه الوحي من الله عز وجل ونزل عليه قرآنا متفرقا على مدى عمر دعوته ثلاثة وعشرون عاما ثلاثة عشرة عاما في مكة ثم هاجر إلى المدينة حيث أنشأ أول مجتمع مسلم وعاش فيها عشرة أعوام حتى وافته المنية وهو في سن الثالثة والستون من عمره. ولد يتيما وعاش زاهدا ومات صلى الله عليه وسلم فقيرا ودرعه مرهون لليهودي.

هذا الرجل اشتهر بين قومه بالصدق والأمانة وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب تلا قرآنا أعجز العرب بالإتيان بآية من مثله بالرغم من اشتهارهم بالفصاحة. وهذا القرآن الكريم آخر الكتب السماوية قد تكفل الله بحفظه إلى قيام الساعة فإذا بهذا القرآن بعد أربع عشر قرنا من الزمان لم يتغير فيه حرف واحد فالقرآن الذي تجده في الصين مطابقاً للقرآن الذي تجده في مصر هو نفسه ما تجده في جنوب إفريقيا تمام التطابق.

هذا القرآن الكريم تحدث عن معجزات علمية في زمان لم تكن التكنولوجيا الحديثة قد ظهرت فيه – فتحدث عن كروية الأرض واستخدام لفظ (يكور الليل على النهار) في زمن ظن الناس فيه أن الأرض منبسطة – كما تناول القرآن مراحل نمو الجنين في بطن أمه من نطفه إلى علقه إلى مضغة إلى عظام وغير ذلك من الدلالات العلمية التي تؤكد أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون من عند غير الخالق لهذا الملكوت.

لقد كسر القرآن حاجز الزمان والمكان فتحدث عن أشياء حدثت في الماضي منذ خلق الخليقة ثم في الحاضر ثم في المستقبل وبين ماذا سيحدث عند نهاية الحياة والحساب والصحف المنشورة والجنة والنار. كما أن هذا القرآن كسر حاجز المكان فتحدث عن أشياء حدثت وتحدث وستحدث في أماكن متفرقة لا يتسنى لأحد أن يكون في جميع تلك الأماكن باختلاف الأمكنة في وقت واحد. بل كسر حاجز

النفس البشرية وتحدث عما كان يقوله الكفار لنفوسهم وما كانوا يسرون من أقوال وأفعال ولم يستطيعوا أن ينكروا ذلك بل أوضح أن أحدهم سيموت على الكفر وفعل مات على ذلك.

تنبأ هذا القرآن بنتيجة حرب بين الفرس والروم وكانت أقوى قوتين في هذا الوقت وحدث بالفعل ما ذكره القرآن تغلبت الروم على الفرس ثم انتصر الروم على الفرس بعد بضع سنوات.

يقول الله تعالى : ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿١﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٢﴾ ﴾

(الروم ٠٠٢-٠٠٣)

بل بعض آيات القرآن جاءت تخاطب النبي محمد صلى الله عليه وسلم تلومه وتوجهه وتفصح عما يسره في نفسه وتحذره من أن يكتنم كلام الله. فكيف يكون هو كاتب لهذا الكلام وكيف له أن يأتي بهذا العلم الخارق وهو أمي لم يقرأ ولم يكتب ولم يقرأ الشعر يوما!!

اجتهد هذا الرجل الصالح مع أصحابه وضرب المثال بالخلق العظيم مع العدو قبل الصديق وكان مضرب المثل في الصدق والأمانة والرقّة والألفة والرفق مع الصغير والكبير ومع الغنى والفقير. عندما توفي هذا الرجل الصالح كان قد دخل الإسلام ملايين القلوب ونشأ أول مجتمع إسلامي قرآني في المدينة وتبين للجميع أنه كان على الحق وأن من خالفه على الباطل لكن أصبح الإسلام اليوم أكبر دين يتبعه أكثر من مليار ومائتين مليون مسلم كلهم يعبدون الله ولا يشركوا به شيئا منهجهم القرآن الكريم وسنة نبيه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

دعي هذا الرجل الناس للإيمان بجميع الرسل السابقين وأخبر أنه خاتمهم ولا نبي بعده ودعى الناس للإيمان بكتب الله السماوية جميعها التي لم تحرف وإلى القرآن الكريم الذي هو مهيمنا على الكتاب كله والذي هو صالح لكل زمان ومكان – لن تمسه يد تحريف حتى قيام الساعة فلا رسالة ولا كتاب بعد القرآن الكريم وبالتالي دعي الناس لما دعي إليه جميع الرسل السابقين وأكد أن جميعهم أرسلهم الخالق الواحد بنفس الدين ونفس العقيدة التي تتلخص في إيمانيات ست .

١. الإيمان بالله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

٢. الإيمان بالملائكة وهم مخلوقات من نور لا يستطيعون إلا الطاعة.

٣. الإيمان بجميع الكتب السماوية قبل تحريفها.

٤. الإيمان بجميع الرسل السابقين وأولوا العزم منهم:

(نوح – إبراهيم – موسى – عيسى – محمد) عليهم الصلاة والسلام.

٥. الإيمان بيوم الحساب وهو يوم الدين بعد بعث الناس من قبورهم.

٦. الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره وحلوه ومره.

كما أكد هذا الرسول الكريم أن عيسى عليه السلام رسول عظيم وأنه معجزة في خلقه ، يشبه خلقه مثل خلق آدم بغير أب ولا أم وخلق حواء من أب بغير أم فكذلك كان عيسى من أم وبغير أب فهو ليس ابنا لله وليس لله ولد ولا صاحبه فكيف يكون عيسى إليها وكان طفلا رضيعا يحتاج إلى من يسهر على خدمته وهو نفسه لم يدعى أبدا أنه ابن لله – وأنه عليه السلام أمده الله بمعجزات خارقة كسائر الرسل ليدلل للناس على صدقه فيتبعوه. كما أكد أن الله أخبرنا أن عيسى – عليه السلام لم يقتل ولم يصلب وأنه مرفوع في السماء إلى وقت معلوم ينزل فيه إلى الأرض ويكون مسلما ويموت ويدفن بجانب قبر النبي محمد – صلى الله عليه وسلم.

وفى النهاية دعي هذا الرجل الصالح – محمد بن عبد الله – الناس للإيمان بالإيمانيات الست شهادة لا إله إلا الله – محمد رسول الله ودخول دين الله الإسلام والتسليم لخالقهم الواحد الأحد. كما أعلن أنه لا إكراه في الدين فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وأن الذي لا يؤمن بقلبه وأسلم بلسانه فذاك المنافق لا يخادع الله وهو في الدرك الأسفل من النار. وأخبرنا أن الله عز وجل بين أنه من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء.

بعد كل ما سمعت ماذا ستتصح صديقك الذي تراه في المرأة أن يفعل؟ إذا نصحته أن يؤمن وأن يتبع هذه الهداية وأن يدخل الإسلام فإنما تدعوه لأن يكون أمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر – يأكل الطيبات – ويتجنب الخبائث صالحا مصلحا تقيا ورعا ودودا محبا لغيره يؤثرهم على نفسه يدفع بالتالي هي أحسن السينة ويدعو الناس للخير ويعمل الصالحات لا ينتظر أجرا إلا من خالقه، محافظا على جسده وعقله وزوجته وأولاده وصحته وماله محترما لقدسيتها دماء وأموال وأعراض الناس وخواطرهم، معين لكل مظلوم، نجاة لكل مكروب، رحمة مهداه كما كان هذا الرجل الصالح محمد بن عبد الله – صلى الله عليه وسلم. إن دخل الإسلام صار إنسانا عاقلا له هدف يعلم كيف يعيش ولما يعيش وكيف يفكر وكيف يختار وكيف يكون نافعا لنفسه ولغيره.

أما إذا نصحته أن يصم آذانه عن كل هذا فأنت تريد أن يكمل حياته تائها غافلا يتخبط في شهواته مع شياطين الإنس والجن بغير هدف وبغير منهج وبغير قدوة وبغير مثل أو قيم يحسن إذا أحسن الناس ويسئ إذا أساءوا. إنسان بغير رب كالروح بغير أصل. فيجب أن يغلق عينيه ويصم آذانه عن آيات الله في الكون فلا يعمل عقلا ولا يتفكر في شئ ولا يتدبر بل تقتصر حياته على أن يأكل ويشرب وينام ويتزوج وينجب مثابها للدواب.

إن أسلم وأفترض انه لم يجد حسابا ولا جنة ولا نار فاز بأن عاش سعيدا صالحا مصلحا ذو ذكرى طيبة بين الناس ولم يخسر شيئا أما إن كفر فسيحيا في جميع الحالات حياة ضنكا مكروها من الناس مفسدا في الأرض وستتبعه لعنة الناس بعد موته لأولاده من بعده وذلك إن كان على الحق. أما إذا كان على الباطل وترك نداء خالقه له واختار الكفر على الإيمان فالويل كل الويل له في حساب عسير فيحشر يوم القيامة أعمى قال رب لم جعلتني أعمى وقد كنت بصيرا فيقال له كذلك أتت آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى فالיום عمل بلا حساب وغدا حساب بلا عمل. ثم ستتقبله نار جهنم السوداء التي وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد نار مظلمة لها شقيق وزفير أعدها الله من سبع دركات لا يموت فيها الإنسان ولا يحيا أعدها الله للكافرين والمنافقين الذين اختاروا الكفر على الإيمان فالله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كما أن هؤلاء الكافرون هم المفسدون أهل الظلم والفسق والفجور في الأرض. ولن يدخل أحد منهم النار حتى يعلم أن النار أولى به من الجنة وأنه يستحقها بما اقترفت يده.

إن كنت تريد لصاحبك الخير، فستأمره أن يسارع إلى الله ويفر إليه ويرتمي في أحضان دينه وشرعه يتوب من كل ما سبق ويشهد شهادة الإسلام ويغتسل لولادته الجديدة فقد حيا قلبه في هذه اللحظة.

فيقول تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

(الأنعام)

(١٢٢)

فالإسلام يحو ما قبله فهذا باب الصراط المستقيم قد فتح أمامك وقد دخلت الإسلام بشهادتك أنه لا اله إلا الله وبأن محمدا رسول الله وصرت مسلما لله فهنيئا لك الإسلام وقد استجاب الله لك، دعاك وهداك إلى الصراط المستقيم وشرح صدرك للإسلام.

الآن وقد وقفت على بداية الطريق إلى الله فادعو الله أن يهديك على الصراط المستقيم ويهديك إليه صراطا مستقيما.

وبهذا ينتهي الجزء الأول من الهداية وهي الهداية إلى الصراط المستقيم – الإسلام.

الجزء الثالث

المرحلة الثانية من الهداية (الهداية علي الصراط المستقيم)

- ❖ مقدمة .
- ❖ أركان الإسلام .
- ❖ الهدف من أركان الإسلام .
- ❖ الأهمية النسبية للأركان الخمسة .

المرحلة الثانية من الهداية الهداية على الصراط المستقيم

— مقدمة —

أتوجه بكلمتي لمن ولد على الإسلام أي أن والده كان مسلماً فكتب في شهادة ميلاده أنه مسلم ولم يقف مع نفسه ووقفه يتساءل لم هو مسلم؟

الإسلام أساسه الإيمان ولا يجب على الإنسان أن يتبع والديه دون أن يعمل عقلاً ودون أن يبحث ويتعلم. لقد عاب القرآن الكريم على الكافرين أنهم رفضوا الاستماع لرسولهم فقط رفضاً لترك ما كان عليه آبائهم وأجدادهم وإن تبين لهم أنهم كانوا على ضلال. الله عز وجل يأمر الإنسان أن يبحث عن الحقيقة فيتعلم ويعمل عقله ليصل إلى الحق الذي هو أقرب للإنسان من والديه وأجداده وعشيرته. مما سبق يجب على كل إنسان عندما يبلغ الحلم أن يبحث عن الحقيقة وأن يعلن إسلامه لأنه اقتنع بأنه الطريق الصحيح وأن فيه خيره وخير البشرية وليس ليكون مقلداً أو تابعا لأجداده بعمى.

يقول الله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾

(الحجرات ١٠٤)

طريق الله لا يبدأ من منتصفه ولكن يجب على الإنسان أن يبدأ من أوله كما بدأنا هذا الكتاب بالحديث عن المرحلة الأولى من الهداية وهي الهداية إلى الصراط المستقيم وهي مرحلة مهمة جداً لمن ولد على الإسلام وللمسلم أيضاً طوال حياته.

يقول رسول الله ﷺ (جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ نُجَدِّدُ إِيمَانَنَا قَالَ أَكْثَرُوا مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) (رواه

احمد)

— أركان الإسلام —

بعد ما وجدت في قلب الإنسان بذرة الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر وبعد ما ترجم هذا الإيمان الذي لا يراه إلا الله بشهادته أنه لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله بلسانه أمام نفسه وأمام الناس فقد دخل الإسلام وصار على أول الطريق إلى الله على الصراط المستقيم.

الإنسان بنطقه الشهادة دخل الإسلام ولكن لا يكون مسلماً إلا إذا أقام أركانه والتزم بحدوده وحافظ على إيمانه.

قال رسول الله ﷺ (بني الإسلام على خمسٍ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج وصوم رمضان) .. (رواه البخاري)

بين الحديث أن الإسلام ليس هذه الخمس بل شبه الإسلام بالبناء الذي له أركان أي أساسات يقوم عليها. فأساسات هذا الإسلام هي هذه الخمس أما الإسلام فهو البناء وبالتالي هذه الخمس أساسية لوجود الإسلام ولكنها ليست الهدف وليست كافيه فلا مبنًى بغير أساسات و لكن لا قيمة للأساسات بدون المبنى.

الأركان الخمسة ليست إلا وسائل للوصول إلى غرس التقوى في قلب الإنسان فيكون مسلماً لله في جميع أوقاته بين كل صلاة وصلاة وما بين صيام وصيام مراقباً لله في سره وعلايته يحل الحلال ويحرم الحرام ويقيم شرع الله من كتابه وسنة نبيه على نفسه وعلى من يعول.

فيقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾

(البقرة ١٨٣)

يقول الله تعالى: ﴿الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحُجَّ فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحُجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِن خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَتَتَّقُونَ يَأْتُوا فِي الْآلَبِ ﴿١٩٧﴾﴾

(البقرة ١٩٧)

قال رسول الله ﷺ (مَنْ لَمْ يَدْعُ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدْعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ) (رواه البخاري)

قال الله تعالى ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾

(الحج ٣٧)

قال رسول الله ﷺ : (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ) (رواه البخاري)

كل هذه النصوص القرآنية والنبوية وغيرها تعلم الإنسان الذي نطق الشهادة أن من دخل الإسلام وجب عليه أن يكمل بقية الأركان ويتقى الله ويطيعه في جميع أحواله في السراء والضراء، في السر والعلن وهكذا يكمل إسلامه والبداية تكون بإتمام أركان الإسلام بهذا الفهم.

علاقة الأركان الخمسة بعضها مع البعض:

نلاحظ أن الله عز وجل جعل من هذه الأركان وقفات دورية يقفها الإنسان مع نفسه يلقي فيها ربه ويجدد فيها إيمانه وتتغذى روحه وجسده بما يحتاجان إليه.

ومن هنا كانت أهمية التذكرة للإنسان فما سمي الإنسان إنساناً إلا لكثرة نسيانه فهذه الأركان تذكرة بالله وبإيمانه كل حين كي تعيده إلى حظيرة الإيمان والإسلام إذا كان قد شرد ولذلك كان التشديد على أهمية هذه الأركان فلا إسلام للإنسان إذا انعدم ركن من هذه فكيف لمبنى أن يقوم وينقصه أساس من أساسياته الخمس؟!

نظام التذكرة بالله لتجديد الإيمان والإسلام:

يقيد في اليوم واللييلة الإنسان خمس مرات على الأقل وكانوا خمسون صلاة ثم خففوا لخمس بثواب خمسين.

فاذا افترضنا الإنسان ينام ستة ساعات ونصف في اليوم واللييلة فهذا يعنى أن توزيع الصلوات في المتوسط كل ثلاث ساعات ونصف خلاف النوافل.

(كان الأصل صلاة كل عشرون دقيقة في المتوسط في حالة خمسين صلاة)

يقيد الإنسان بركن هام آخر كل ١١ شهر بشهر رمضان المعظم لفريضة الصوم ولأداء زكاة ماله.

يقيد الإنسان بفريضة الحج مرة في العمر إن وجدت الاستطاعة.

هكذا نرى أن أركان الإسلام وضعت نظاماً دورياً محكماً لتذكرة المسلم في يومه وفي عامه وفي حياته، فكل ثلاثة ساعات ونصف يصلى لبضع دقائق ويقف بين يد خالقه يصلح ما فسد من جسده وروحه وعمله من جراء

عمله في الدنيا.

وفي كل عام يضيف على هذه الصلاة صوم لحوالي ١٢ ساعة يوميا ويستمر ذلك مدة شهر كامل متصل وكذلك يخرج زكاة ماله كل عام. وفي العمر مرة يضيف إلى الصلاة والزكاة والصيام حج لعدة أيام متصلة يترك فيها وطنه وأهله وماله ويذهب مرتديا كفته في جمع غفير من المسلمين من مختلف بقاع الأرض.

يقول الله في الحديث القدسي:

(ما تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوَّافِلِ حَتَّى أَجِبَهُ فَإِذَا أَجَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَنَصْرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا). (رواه البخاري)

ركن الشهادة يكرره المسلم عند كل أذان وعند كل صلاة. ولذلك قال رسول الله ﷺ :-(الصَّلَاةُ الْحَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ) (رواه مسلم)

قال رسول الله ﷺ : (أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوُمُهَا وَإِنْ قَلَّ) (رواه مسلم)

ومدح القرآن الكريم المواظبين على الصلاة ولا ينسوها.

فقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٢١﴾﴾

(المعارج ٠٣٤)

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

(المعارج ٠٢٣)

وقال الله تعالى: ﴿قَوْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٢﴾﴾

(الماعون ٠٠٤-٠٠٥)

يجب التأكيد أنه ليس هناك ركن يغنى عن آخر ولكنها جميعها تتكامل وكل من هذه الأركان له فعله وأثره وإصلاحه في النفس البشرية والذي حدد ذلك النظام هو خالق النفس والأعلم بها. والله المثل الأعلى فان الطبيب الذي يصف الأدوية للمريض وأوقاتها لا يجادل المريض فيها أو في أوقاتها أو في إمكانية ترك أحدها. ولذلك لا يجب الفصل بين الأركان الخمسة فجميعها تتكامل كوسائل متعددة تخاطب جوانب مختلفة في الإنسان لتصل إلى إدخال التقوى إلى قلبه فينصلح ما بينه وبين ربه فينصلح ما بينه وبين نفسه فينصلح ما بينه وبين الناس ويصير قادرا على العمل الصالح المصلح في هذا الكون.

بالتدبر في فرضية هذه الأركان ودوريتها نجد أن هذه الأركان تزداد أهميتها النسبية كلما زاد احتياج الإنسان لها وفي فترات أكثر تقاربا وعدم وجود أعذار لإسقاطها. نلاحظ من ذلك أن ترتيب الأهمية النسبية كالاتي:-

١. الشهادة التي لا عذر لعدم ذكرها وتكررها في كل صلاة مرة أو مرتين وتقدمها على سائر الأركان الأخرى لدخول الإسلام.

٢. الصلاة التي لا تسقط عن الرجل أبدا حتى وهو في فراش الموت فان لم يستطع أن يصلى واقفا فإنما صلى جالسا أو مضجعا أو نائما والمرأة تسقط عنها فقط في أيام حيضها .

٣. الصوم يسقط في حالة وجود أعذار شرعية كذلك الزكاة تسقط عن الفقير الذي لم يملك النصاب لمدة عام.

٤. الحج فريضة مفروضة للذي له استطاعه بدنيه ومالية فقط أما غيره فلا حج عليه-أما القادر فيجب أن يسارع لأداء هذا الركن ولا يتهاون فيه.

قال رسول الله ﷺ : (مَنْ مَلَكَ زَادًا وَرَاحِلَةً تُبَلِّغُهُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ وَلَمْ يَحْجْ فَلَا عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا) (رواه الترمذي)

مما سبق يتبين لنا أن أهم هذه الأركان هي الصلاة والتي هي عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن

هدمها فقد هدم الدين ولا عذر لمسلم لإسقاطها خلاف الأركان الأخرى (ركن الشهادة متضمن داخل الصلاة).

ومن هنا نخلص أنه يجب على المسلم أن يتمسك بأداء الأركان الخمسة إذ هي أساس الإسلام وأركانه.

وستتناول فيما يلي كل ركن من هذه الأركان بشيء من التفصيل والبحث.

أولاً : الحج لبيت الله لمن استطاع إليه سبيلاً

معنى الحج

معنى الحج (القصد إلى معظم).

يقول الله تعالى: ﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾

(آل عمران ٩٧٠)

الإحرام

هو نية الدخول في حالة مخصوصة لأداء العمرة أو الحج يترك فيها الرجل المخيط ويلبس رداء و إزار ويترك الصيد وتقليم الأظافر وقص الشعر ومس الطيب وتغطية الرأس والكعب كما يترك الرفث والفسوق والجدال ولا يقرب أهله ولا يقترب معصية.

تحرم المرأة كذلك ولكن لا تترك المخيط.

التحلل من الإحرام يكون بقص جزء من الشعر للمرأة أما بالنسبة للرجل فالتقصير من شعر الرأس أو بالحلل والحلل أفضل.

يشرع الإحرام عند الميقات ويتحدد الميقات رجوعاً للجهة القادم منها الحاج قاصدا مكة فلكل جهة ميقاتها.

إذا مر الحاج أو المعتمر بالميقات قبل الإحرام وجب عليه دم.

من المهم الإشارة إلى استحباب إحداث الإحرام بعد صلاة مفروضة أو يصلي ركعتين بنية الإحرام بعد ما يغتسل ويلبس ثياب الإحرام ويمس من طيب بيته.

لا ينعقد الإحرام بالاغتسال أو بلبس الملابس ولكن ينعقد بالنية والتلفظ بها فيقول:

(اللهم أحرم لك شعري وبدني اللهم إني نويت العمرة (الحج). اللهم تقبله مني ويسره لي ثم يبدأ في التلبية فيقول: لبيك اللهم لبيك – لبيك لا شريك لك لبيك - إن الحمد والنعمة لك والملك - لا شريك لك).

ويسن له الإكثار من التلبية كلما تغير من حال إلى حال وتستمر حتى ينتهي من جميع المناسك.

العمرة

أركان العمرة:

(١) الإحرام عند الميقات.

(٢) الطواف بالبيت ٧ أشواط (يشترط له الوضوء).

(٣) السعي بين الصفا والمروة (٧ مرات).

ملحوظة: الحلق أو التقصير واجب وليس ركن عند الجمهور .

■ مسنونات العمرة ومستحباتها:

١. صلاة ركعتين في مقام إبراهيم سنة الطواف بعد الطواف بالبيت الحرام .
٢. صلاة ركعتين في حجر إسماعيل.
٣. شرب ماء زمزم قبل السعي والدعاء فماء زمزم لما شرب له.
٤. دخول المسجد الحرام من باب السلام
٥. كشف الكتف الأيمن (الاضطباع خلال الطواف في الثلاث الأشواط الأولى مع الإسراع في المشي).
٦. الإسراع في السعي للرجال في المكان ما بين الميئين.
٧. الدعاء حال الطواف بين الركن اليماني والحجر الأسود بدعاء (اللهم أنتا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار).

◀ الحج:

يقول الله تعالى: ﴿أَحْجَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾﴾

(البقرة ١٩٧)

■ أركان الحج:

١. الإحرام
 ٢. الوقوف بعرفة يوم التاسع من ذي الحجة .
 ٣. طواف الإفاضة سبعة أشواط ويسمى طواف الركن .
 ٤. سعى الحج.
- ملحوظة:** الحلق أو التقصير واجب وليس ركن عند الجمهور .

■ الاستطاعة في الحج:

يفرض الحج على كل من توفرت لديه القدرة المالية والجسدية بأي سبيل أُتِيَّ كان مادام سبيلا مشروعاً.
من الجدير بالذكر، الإشارة إلى أن حج الطفل دون البلوغ يحسب له ولكنه لا يسقط الفريضة.

□ القدرة المالية:

من ملك المال اللازم الذي يكفى لسفره وعودته ويكفى من تلزمه نفقتهم في هذه الفترة ولو كان هذا المال يمكن أن يجمعه بأن يبيع جزء من متعلقاته الشخصية أو من أثاث بيته مادامت أموراً يمكنه الاستغناء عنها والله عز وجل سيبدله خيراً مما ترك.

يقدم الشاب الحج على الزواج فالحج ركن والزواج سنة مؤكدة.
لا يجب على الزوج أن يتحمل مصروفات حج زوجته وان كان يستحب له ذلك إذ أنه مسئول عنها فإذا توفرت لها القدرة المالية وجب عليها الحج وإلا فلا يجب عليها.
وإن وجب عليها الحج توجب عليها المشاركة بالحج بمالها ويفضل أن تسافر مع زوجها أو مع محرم فإن لم يتيسر ذلك جاز لها الحج أن توافرت لها صحة أمانة .

□ القدرة الجسدية:

أن يكون صحيح البدن والصحة بحيث لا يكون عنده موانع صحية من الحج بنصيحة طبيب مسلم حاذق. أما إذا كان صحيحاً ولكن مشلولاً ويجد من يقوم على دفعة على كرسيه أو ما شابه ذلك فهذا سبيل ويفرض عليه الحج حينئذ ما دامت لديه القدرة المادية.

يجب أن يحرص المسلم على إسقاط هذه الفريضة مرة في العمر وإن كان يستحب تكرارها فهي ركن من أركان الإسلام لذلك قال رسول الله ﷺ :

(مَنْ مَلَكَ زَادًا وَرَاحِلَةً تُبَلِّغُهُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ وَلَمْ يَحْجْ فَلَا عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا) (رواه الترمذي)

فلا يجب أن يتراخى المسلم ويؤجل أداء الفريضة فأينما توفرت له القدرة فعليه أن يسارع إلى أدائها قبل ما يشغل أو يذهب ماله أو صحته أو تأتية منيته.

ملحوظة:

١. يجوز لمن حج لنفسه أن يحج عن غيره إن كان من يحج عنه غير قادر حياً كان أو كان ميتاً.
٢. أفضل للذي حج حج الفريضة أن يتصدق بمال الحج بدلاً من أن يتنفل بالحج وحين تشتاق نفسه للحج مرة أخرى فليستخر الله عز وجل في أن يحج في عامه وإن يتصدق سائلاً المولى عز وجل أن يشرح صدره لما يحبه ويرضاه.

■ نصائح هامة للحاج:

١. يجب أن يشغل الحاج لسانه فقط بالذكر وقراءة القرآن ويتجنب مجالس الجدل واللهو.
٢. على الحاج أن يشغل وقته بخدمة الحاج وسقايتهم وإطعامهم وبذل الخير لهم وإكرامهم وجمع الناس على ذلك فمثلاً أن يجمعوا مالا في منى ويشتروا ثلاثيات اللبن ويوزعوها على الحاج الفقراء المقيمين تحت الكباري في هذا الحر الشديد.
٣. التواضع ونسيان الذات والانخراط مع أضعف الناس وأفقرهم.
٤. التعرف على إخوانك المسلمين من جميع بقاع الأرض بقدر الإمكان.
٥. استشعار دائم أنك لابس لكفناك منتظر لمنيتك.
٦. إحداث التوبة النصوحة والبكاء على معاصيك سرها وعلايتها.
٧. رد المظالم إلى أهلها وإصلاح ما بينك وبين الناس.
٨. الإقلاع عن المعاصي والذنوب التي اعتدت عليها قبل الحج وعدم التقصير في الأوامر الشرعية التي كنت تقصر فيها سابقاً.
٩. حلق الرأس وإذعان النفس على قبول ذلك حبا لله وبداية لعمر جديد أمر الله فيها مقدم على النفس والهوى.
١٠. الإحسان وإدخال السرور والفرحة لأكبر عدد من الناس ولا سيما الأقربون وكذلك فك كرب المكروب وتخفيف آلام المتألم وبذل العلم والوقت والمال للناس وإيثارهم على نفسك.
١١. اجعل لك برنامج لقراءة القرآن ولمجالس العلم وللعمل الصالح ولخدمة المسلمين ولقيام الليل والتسبيح والتفكير ولا تترك وقتاً فارغاً للشيطان.
١٢. احرص على أن يتقبل الله منك حجك حتى تعود إلى وطنك كيوم ولدتك أمك وآية ذلك أن حالك مع الله بعد الحج يكون أفضل من حالك قبل الحج.
١٣. أصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا.

١٤. زيارة النبي- صلى الله عليه وسلم أمر واجب على الحاج إلا أنه ليس من أعمال الحج، فمن أهمله فكأنما جفاه - صلى الله عليه وسلم.

١٥. يجب استغلال الحج كمؤتمر عالمي للمسلمين يجمعهم ليتعارفوا ويتعرف كل منهم على أحوال إخوانهم في البلدان المختلفة ويبحثوا أوجه التكامل والتكافل الاجتماعي والاقتصادي في المجالات المختلفة وإيجاد قنوات اتصال وصدقات بين المسلمين في أنحاء العالم بعضهم مع البعض حتى يكون كل في حاجة أخيه فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه.

■ من أنوار الحج:

- من وجد قلبه قد اشتاق للحج فليستبشر أن الملك قد دعاه إلى بيته ولا يأذن الله لأحد من الخلق أن يدخل بيته إلا من أحبه وأحب أن يكرمه لذلك ادع الله أن يقبلك ضيفا وأن يكون راضيا عنك رضاءً لا سخط بعده أبدا. وكن دائما غير متأكد إذا كان سيكتب لك هذا الشرف أم لا حتى آخر دقيقة. فما أعظمه شرفا بأن يدعوك الملك إلى بيته وتذهب إليه وقد دعاك منذ أيام سيدنا إبراهيم عندما بنى البيت فقال له:

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾

- (الحج ٢٧)

فهو آذان كآذان الصلاة يقوم على الحج حي على مغفرة الذنوب حي للقاء الله في بيته.

- الطواف بالبيت يقوم مقام ركعتي تحية المسجد في المسجد الحرام ويشترط لصحة الطواف ما يشترط للصلاة من الوضوء وطهارة البدن والملبس والمكان.
- الحجر الأسود هو يمين الله في الأرض يشهد لمقبلة يوم القيامة فاجتهد أن تقبله بشرط ألا تزامح أو تؤذى غيرك وإلا فالأفضل الإشارة إليه بشيء ثم تقبيل هذا الشيء وهذا أفضل من المزامحة والإيذاء.
- الصلاة داخل حجر إسماعيل هي كالصلاة داخل الكعبة إذ أن أساساتها كانت تشمل حجر إسماعيل لذلك لا يجوز الطواف من داخل حجر إسماعيل بل يجب أن يكون الطواف من وراء حجر إسماعيل.
- تذكر أن طوافك عبادة وصلاة اشغل نفسك خلالها بالذكر والدعاء وقراءة القرآن وأعلم أنها تعظيما لشعائر الله ولكن اعلم أن الحجر الأسود لا ينفع ولا يضر ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب.
- ماء زمزم لما شرب له فاشربه وأدع الله قبل الشرب حتى تشعر أنك قد امتلأت ضلوعك من ماء زمزم.
- احرص على صلاة ركعتين في مقام إبراهيم يظهر فيه أثر قدم سيدنا إبراهيم وهو بينى البيت مع إسماعيل وتذكر تفجر عين زمزم تحت قدم إسماعيل عليه السلام عندما كانت أمه هاجر تسعى بين الصفا والمروة تبحث له عن ماء أو عن منجد حتى لا يموت عطشا.

- سعى الحاج بين الصفا والمروة هو محاكاة لما فعلته السيدة هاجر وكذلك إشارتنا للبيت بعد كل شوط تجاه الكعبة هو محاكاة لها عندما كانت تنتظر إلى حيث كان إسماعيل راقدًا لتطمئن عليه وهي تبحث له عن ماء وعندما انقطع رجائها بالناس اكتمل رجاؤها بالله وتوجهها إليه سبحانه وتعالى وذلك في الشوط السابع لها على المروة وحينئذ فقط رأت بئر زمزم يتفجر من تحت أقدام سيدنا إسماعيل فكان الخير من هذا البئر فوجدت القبائل وتجمعت الناس حولها ونشأت الحياة وأصبح الناس يأتون إلى هذا المكان ليستقروا فيه حتى أمر الله إبراهيم ببناء بيته على مقربة من هذا البئر المبارك وأقام قواعده ثم أمره أن يؤذن في الناس ليأتوا للحج في بيت الله ولم يكن هناك أحداً ليسمع هذا الأذان إلا أن الله أسمع الخلق وهم في عالم الذر فعندما يولدون يأتون ليلوا نداء ربهم ويقولون له: (لبيك اللهم لبيك)

هذه الأمور يجب أن يعلمها الحاج ويتدبر الحكم والعبر حتى يكون لحجة روح ولجهده معنى فيعظم له الأجر من الله عز وجل.

نسأل الله العلي القدير أن يكتب لنا جميعا الحج إلى بيته مرة بعد مرة وأن يقبلنا في وفده وأن يمتعنا بزيارة نبيه - صلى الله عليه وسلم في المدينة وبشرقنا بلقائه والسلام عليه والوقوف بين يديه انه سبحانه سميع قريب مجيب الدعوات.

هذه نبذة سريعة عن فريضة الحج والعمرة ويرجى من القارئ الكريم قراءة سورة الحج في كتاب الله والاضطلاع على تفسير آياتها ومدارسة كتب الفقه لأية مسائل فقهيته تخص الحج مع الأخذ دائما بالأحوط كلما تيسر له ذلك والأخذ بالأسر في حالة أن يكون يحتاج إلى التيسير فما كان من شئ يسأل عنه النبي في الحج إلا ويقول (افعل ولا حرج) فلا تحمل نفسك ما لا تطيق وكذلك وجب عليك مراعاة من يرافقونك وعليك أن تقدر طاقتهم وتحملهم وأذكر دائما أن الله يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر فالسنة هو ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم في حجه الذي كان حجا واحدا وهذا هو الكمال وكتب الفقه تبين لك الحد الأدنى من الأفعال المقبولة ليكون حجك صحيحا فاجتهد بينهما قدرا طاقتك طامعا في الكمال ولكن ليس على حساب غيرك من المرافقين أو المسلمين.

قال رسول الله ﷺ : (مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ). (رواه احمد)

معنى الزكاة:

- **المعنى اللغوي:** - هو الطهارة فالزكاة تطهر المال وتطهر نفس صاحبه.

قال الله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

﴿ ١٣ ﴾

(التوبة ١٠٣)

الزكاة هي الزيادة والنماء والبركة فالزكاة تزيد المال الذي تخرج منه وتبارك فيما تبقى منه.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبٍّ لَّا يَرْبُؤُا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُؤُا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾

﴿ ٣١ ﴾

(الروم ٠٣٩)

- **المعنى الشرعي:** - الزكاة تمليك مال عينه الشرع لمستحقه مع قطع المنفعة عن المملك من كل وجه.

- الزكاة هي حق واجب لله تعالى في مال معين إلى أصناف معينة من المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۖ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾

(المعارج ٠٢٤-٠٢٥)

مقدمة عن الزكاة:

فرضت الزكاة بمكة في أول الإسلام مطلقا دون تحديد وفي السنة الثانية من الهجرة فرض مقدارها من كل نوع من أنواع المال.

قال الله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾

(البقرة ٠٤٣)

مانع الزكاة إنكارا لفرضيتها كفر وجهل وفسق وهو هلاك للمال في الدنيا وعذابا لصاحبه يوم يلقي الله تعالى-

قال الله تعالى: ﴿ *يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْباطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن

سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

يَوْمَ يُخْتِىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كُنْتُمْ لَأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾

(التوبة ٠٣٤-٠٣٥)

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا

بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

(آل عمران ١٨٠)

أهمية قرن الزكاة بالصلاة في ٨٢ آية:

قرن الله تعالى في كتابه الأمر بالزكاة مع الأمر بالصلاة وكذلك في وصف المؤمنين صفة (يؤتون الزكاة) مقرونة بوصف (يقيمون الصلاة).

كقول الله تعالى ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧١)

(التوبة ٧١)

إن الصلاة والزكاة يمثلان ويجسدان تسليم المسلم لنفسه وماله لله عز وجل.

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٣)

(التوبة ١١١)

فهذا هو ثمن الجنة أن يبيع المسلم نفسه وماله لله ليشترى الجنة واقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هو تسليم الثمن لصاحب السلعة، ألا أن سلعة الله غالية ألا أن سلعة الله الجنة. فتسليم النفس يتجسد في الصلاة لله تعالى بقيام وركوع وسجود وتسليم المال لله تعالى يكون بإخراج زكاة ماله.

إن هدف الشرع هو جعل المسلم خليفة الله على الأرض يصلح فيها ولا يتسنى له ذلك بغير أن يكون هو ذاته صالحا فلا يعطى الشيء إلا ماله فلا معنى لإصلاح الصالح إن لم يصلح ولا سبيل لوجود مصلح دون أن يكون صالح ولذلك كانت الصلاة هي سبيل إصلاح نفس المسلم وإصلاح حاله مع ربه حتى يكون قادرا على أن يصلح ما بينه وبين الناس والذي يتجسد بإخراج زكاة ماله. وكلما زاد صلاح المسلم كلما زاد إصلاحه فكلما أخلص المسلم في صلاته لله تعالى كلما زاد صلاح نفسه وبالتالي زادت زكاته ونفقاته لغيره إذ أصبح أكثر قدره على الإصلاح إلى أن يصل إلى درجة المتقين الذي يصفهم الله في كتابه فيقول:

﴿ أَلَمْ ۙ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ۙ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ ۙ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ ۙ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ ۙ ﴾

(البقرة ٠٠١-٠٠٥)

ولذلك نلاحظ أن الأمر بإقامة الصلاة وليس بالصلاة فقط أي أن المصلي يبني علاقة مع الله تزيد بكل ركعة يركعها فيعلو البناء ويقترب المسلم من خالقه. ثم نلاحظ قول الله تعالى:

﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ ۙ ﴾

(الأنفال ٠٠٣)

فوصف هؤلاء بأنهم ينفقون من كل أنواع رزق الله لهم وليس فقط في المال كما لم يذكر الزكاة إذ أن الزكاة ليست إلا الحد الأدنى للنفقة أما المتقين فمع صلاتهم تعلقو وتسمو صلتهم ببارئهم فتصلح نفوسهم وتنزكى فتزداد نفقاتهم لغيرهم وتتعدى الحد الأدنى للنفقة (الزكاة) وبالتالي يزداد إصلاحهم في الكون مع زيادة التقوى في قلوبهم ومن هنا يظهر وجه آخر لأهمية قرن الصلاة بالزكاة. لذلك إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، غاية من غايات التمكين في الأرض. **يقول تعالى:**

﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (الحج ٤١)

تعريف الزكاة:

■ **على من تجب:**

تجب الزكاة على الفور على المسلم الحر المالك للنصاب في أي نوع من أنواع المال (الذهب، الفضة، الزروع، الثمار، عروض التجارة والسوائم والمعادن والركائز) الذي تجب فيه الزكاة بشرطين:-

١. أن يكون النصاب فاضلاً عن الحاجات الضرورية التي لا غنى للمرء عنها:

(المطعم – الملبس – المركبة – آلات المصانع – أثاث البيت).

٢. أن يحول عليه الحول الهجري ويستثنى من ذلك زكاة الزروع والثمار التي تجب يوم الحصاد.

يقول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ

وَالزُّمَانَ مُمْتَشِبَهَا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ كُلًّا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (١٦)

﴿

(الأنعام ١٤١)

من المهم الإشارة إلى نصاب الذهب ٢٠ مثقال = ٩٦ جرام ونصاب الفضة ٢٠٠ درهم = ٦٢٤ جم ويحسب

بسعر الجرام ليوم حساب الزكاة ومقدار الزكاة ٥, ٢% (ربع العشر).

ملحوظة: يجب الزكاة في مال الطفل الرضيع وإن كان يتيماً ويخرجها عنه وليه الشرعي.

■ **كيف يتم احتساب الزكاة:**

١. يتم تحديد تاريخ هجري محدد يتم إخراج فيه الزكاة واحتسابها كل عام هجري.

٢. يحرص المسلم على إنهاء جميع مديونيته وتحصيل جميع مالياه قبل هذا التاريخ.

٣. يتم حصر الأموال التي يملكها في البنوك وتحويل العملات الأجنبية إلى العملة المحلية في تاريخ حساب الزكاة وكذلك اعتبار أسعار الذهب والفضة في هذا التاريخ لتحديد مقدار النصاب.

٤. يقوم باحتساب ٥, ٢% من إجمالي المبلغ الأقل بالمقارنة برقم العام الهجري السابق.

٥. يقوم بتوزيع هذا المال فوراً على الأصناف المستحقة للزكاة من المسلمين وهم:-

(١) الفقراء.

(٢) المساكين الذين لا يملكون شيئاً.

(٣) العاملين على تجميع الزكاة وتوزيعها.

٤) المؤلفة قلوبهم والذين دخلوا الإسلام حديثاً ويحتاجون إلى مال.

٥) لإعتاق رقاب العبيد.

٦) المدينون وليس لهم أي شئ يباع ليؤدوا ديونهم (الغارمين).

٧) للإنفاق على تجهيز الجيوش الإسلامية لمحاربة المغيرين (في سبيل الله).

٨) ابن السبيل الذي انقطع عن بلده واحتاج إلى مال وان كان غنيا في وطنه.

٦. إذا كان المسلم يريد دفع الزكاة على دفعات شهرية فعليه أن يدفع الزكاة مقدما قبل تاريخ استحقاقها بمبالغ يتم تدوينها شهريا وعندما يحول الحول ويحتسب الزكاة يخصم منها ما تم إخراجها مقدما ويقوم بإخراج ما تبقى فورا.

٧. يجب على المسلم أن ينوي إخراج زكاة ماله وهو يخرجها لأن الزكاة عبادة تجب فيها النية ولا تصح الزكاة لغير المسلم وان كانت الصدقة تصح للمسلم ولغير المسلم.

٨. المسلم يسن له أن يدعو بعد إخراج زكاته (ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم).

١- زكاة عروض التجارة:

كل مسلم يعمل بالتجارة يقوم بتأمين البضاعة التي لديه بمخازنه بسعر يوم حساب الزكاة فان كانت أرضا أو عقارا بنية التجارة تم تثمينه في تاريخ حساب الزكاة وإخراج زكاته وهو ٢,٥% من إجمالي ثمن العقار أو ثمن البضاعة.

إذا تملك المسلم أرضا أو عقارا بغير نية الاتجار لا يخرج هذه الزكاة إلا أنه حين يبيعه هذه الأرض أو هذا العقار يخرج ٢,٥% من ثمن البيع زكاة تجب فور البيع ولمرة واحدة خلاف لو كانت نيته الاتجار لخرجت كل عام هجري.

٢- زكاة الزروع والثمار:

تشمل كل ما استنبت بالبذر وكل ما يؤكل مما تحمله الأشجار أو النجوم (هي ما لا ساق لها من النباتات).

تجب الزكاة فور الحصاد من الزروع والثمار نفسها بالنسبة للزارع وليس المالك فيجب عليه إخراج عشر المحصول ١٠% إن كانت الأرض تسقى من غير آلة ولا مؤن من السماء بغير فلاحة و ٥% فقط إذا كانت الأرض ينفق عليها من حرث ومبيدات وخلافه من المصروفات وتسقى بالآلة مثل الساقية ونحوها ففي الحديث قال رسول الله ﷺ : (فِيمَا سَقَتْ السَّمَاءُ وَالْعُيُونُ أَوْ كَانَ عَثَرِيَّ الْعُشْرُ وَمَا سَقَى بِالنَّضْحِ نِصْفُ الْعُشْرِ). (رواه الترمذي)

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي حَمِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾

(البقرة ٢٦٧)

لم يختلف العلماء في وجوب زكاة الزروع والثمار ولكن اختلفوا في الأصناف التي تجب فيها وتختار أحوطهم وهو مذهب الأحناف فقالوا: أن الزكاة واجبة في كل ما أنبتته الأرض واستثنى فقط الحطب والبوص والحشيش والشجر الذي لا ثمر له.

تجب الزكاة في الإبل والبقر والغنم ويشترط لوجوب الزكاة فيها:-

١. أن تبلغ النصاب.
٢. أن يحول عليها الحول.

• تعريف المعنى:

معنى الركاز هو اسم لما أخفاه الخالق أو المخلوق في الأرض.

المعدن مشتق من عدن في المكان أي أقام به إقامة وفي قول الله تعالى:

﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۖ﴾
(الرعد ٢٣)

فهي جنات عدن لأنها دار إقامة وخلود.

• تعريف معنى زكاة الركاز والمعدن:

كل ما يخرج من الأرض مما يخلق فيها من غيرها مما له قيمة مثل الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والياقوت. واشترط فيه أن يبلغ الخراج نصابا بنفسه أو بقيمته لكل ما يذوب بالنار كالذهب والفضة والحديد والنحاس أما المائع والجامد الذي لا يذوب بالنار كالياقوت فان الوجوب لا يتعلق به ولم يشترط فيه نصابا فأوجب الله تعالى فيه الخمس (٢٠%) في قليلة وكثيره. وتجب زكاته عند وجوده ومصرف هذه الزكاة هي نفس مصارف الزكاة الشرعية.

• الأصناف التي يحرم أن يأخذوا مال الزكاة:

١. الكفرة والملاحدة.
 ٢. بنو هاشم (آل على، آل عقيل، آل جعفر، آل العباسي، آل الحارث).
 ٣. الآباء، الأجداد، الأحفاد والأبناء فالزكاة لا تصح للأصول ولا للفروع إذ تجب نفقتهم.
 ٤. الزوجة من زوجها لأنها تلزمه نفقتها.
 ٥. بناء المساجد أو إصلاح الطرق أو تكفين الموتى وغير المصارف المحددة في الآية –
- فيقول الله تعالى ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾
- (التوبة ٦٠)

• ملحوظات عن الزكاة:

١. اليتيم من مصارف الزكاة وكذلك المريض إذا كانا فقيرين.
٢. يجب تملك المال للفقير فهذا حقه وليس للمتزكي أن يشتري بثمن الزكاة أقمشة أو أطعمه أو أدوية للفقير إلا أن يוכלه بذلك.
٣. القوى المكتسب لا يعطى من الزكاة مثله مثل الغنى إلا إذا كان من الأصناف المستحقين للزكاة.
٤. على المسلم أن يتولى تفريق زكاة ماله وتوصيلها إلى مستحقها بنفسه إذ أنها عبادة يثاب عليها ويجب عليه التحري لتوصيلها لمستحقها بغير من ولا أذى فتكون على أكمل وجه إذ أن الصدقة تقع في يد الله قبل ما تقع في يد الفقير فعليه أن يتتبع هذه الفريضة فيتحرى توصيلها على أفضل وجه لمستحقها الذين حددتهم الآيات دون تباطؤ أو أذى أو اشتراط على الفقير.
٥. يستحب إعطاء الصدقة للصالحين وللاقارب والجيران فالأقربون أولى بالمعروف.
٦. يجب أن ينوع المسلم في صدقاته بين السر والعلن وبالليل وبالنهار وفي سرانه وفي ضرانه وكذلك بين أنواع مصارف الزكاة.
٧. زكاة الفطر تجب على كل فرد من المسلمين صغيرا أو كبيرا ذكر أو أنثى وهى طهرة للصائم مما قد يكون وقع فيه من اللغو والرفث أثناء الصوم وتلزم المسلم الحر عن نفسه وعن من يلزمه نفقتهم.
- تجب زكاة الفطر في آخر رمضان قبل صلاة العيد وقدرها من كل شئ صاع والصاع ٤ أمداد المد خفته بكفي الرجل المعتدل الكفين ويستحب أن تكون قمحا أو شعيرا أو تمرا أو زببيا.
- لا تسقط بالتأخير بعد الوجوب بل تصير دينا في ذمته حتى تؤدى ولو لآخر العمر.
- مصرف زكاة الفطر للأصناف الثمانية التي حددتهم الآيات السابقة.
٨. من ملك نصابا من أي نوع من أنواع المال فباعه قبل الحول أو وهبه أو أ تلف جزء منه بقصد الفرار من الزكاة لم تسقط الزكاة عنه وتؤخذ منه في آخر الحول.
٩. هل في المال حقا سوى الزكاة ؟

• قال القرطبي: قول الله تعالى (وأنتى المال على حبه) استدل به من قال: أفي المال حقا سوى الزكاة ؟

• قال رسول الله ﷺ (إِنَّ فِي الْمَالِ حَقًّا سِوَى الزَّكَاةِ) (رواه الترمذي)

ثم تلا الآية:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ وَالرِّقَابَ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٧٧﴾﴾

(البقرة ١٧٧)

قال الله تعالى: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا أَتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧٨﴾﴾

(الحشر ٥٠٧)

• أي أن هذا التقسيم لنلا يكون المال متداولاً بين الأغنياء وخدمهم.

• ليس المضطر وحده هو الذي له الحق في ذلك ولكن كذلك أولوا القربى فهم أحق الناس بالصلة والبر

وقال الله تعالى: ﴿*وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا ۚ وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (النساء ٣٦)

وقال الله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۚ قَالَُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۚ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمَسْكِينِ ۚ﴾ (المدثر ٤٢-٤٤)

• قال رسول الله ﷺ : (مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ فَلْيُعِدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيُعِدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ) (رواه مسلم)

قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل.

• قال على رضي الله عنه: (إن الله تعالى فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفى فقراءهم فان جاعوا أو عروا وجهدوا فبصنع الأغنياء وحق على الله تعالى أن يحاسبهم يوم القيامة ويعذبهم عليه).

صدقة التطوع:

يقول الله تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْكَ سَعِ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ

(البقرة ٢٦١)

يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٦﴾﴾

(آل عمران ٩٢)

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَالِمٌ ﴿٩٢﴾﴾

(الحديد ٠٠٧)

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾

المال مال الله فالأغنياء وكلاء الله المستخلفين على المال والفقراء عيال الله فان منع وكلاء الله ماله عن عياله عذبهم ولن يبالي. ونلاحظ أن القرآن الكريم رتب الإيمان فطلب الرزق الحلال فالنفقة لله فالعمل الصالح، فكان أكل الطيبات بعد الإيمان وقبل العمل الصالح - يقول الله تعالى:

(المؤمنون ٥١)

﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

من فوائد الصدقات للمتصدق:

١. ينال المتصدق درجات الأبرار ويكتب له الأجر الكبير.
٢. الصدقة تطفي غضب الله وتدفع ميتة السوء.
٣. الصدقة تزيد في العمر ويذهب الله بها الكبر والفخر.
٤. تطهير وتزكية قلب المتصدق.
٥. صلاة الرسول - صلى الله عليه وسلم ودعائه له - يقول الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ

(التوبة ١٠٣)

بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٣﴾﴾

٦. يخلف الله عليه نفقته ويربيها له كما يربي أحدكم فلوه فتكون الصدقة كسرة الخبز كجبل أحد في الميزان يوم القيامة.

من أنواع الصدقات:

ليست الصدقة قاصرة على نوع معين من أعمال البر واليك أخي القارئ بعض أنواع الصدقات:

- (١) إعانة الملهوف
- (٢) عمل المعروف
- (٣) الإمساك عن الشر
- (٤) أن يعدل بين اثنين
- (٥) أن يعين الرجل على دابته فيحمله عليها
- (٦) يحمل لأحد متاعه
- (٧) يميظ الأذى عن الطريق
- (٨) الكلمة الطيبة
- (٩) يمشي إلى المسجد
- (١٠) الذكر
- (١١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- (١٢) تدل السائل والتائه
- (١٣) جماع الزوجة بزوجه
- (١٤) تبسمك في وجه أخيك
- (١٥) أن يغرس غرسا ويزرع زرعاً يأكل منه الناس.

•أولى الناس بالصدقة:

١. نفسك.
٢. أهل بيتك ومن تلزمك نفقتهم.
٣. الأهل والأقارب ثم الأقرب فالأقرب سواء كان قرب عمل أو سكن أو مواطنة.

•ملاحظات هامة عن الصدقة:

١. إذا من المتصدق على المتصدق عليه أو أذاه بكلام أو فعل أو رأي بصدقته فقد أبطلها.
٢. لا يقبل الله الصدقة إذا كانت من مال حرام فالله طيب لا يقبل إلا طيبا.
٣. قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ (المؤمنون ٥١)
٤. يجوز للزوجة أن تتصدق من مال زوجها إن أذن لها وإلا فلا.
٥. يجوز التصدق بكل المال بشرط أن يكون المتصدق قويا مكتسبا صابرا غير مدين ليس عنده من يجب الإنفاق عليه وإلا فيكره له ذلك. وقد تصدق عبد الرحمن بن عوف بكل ماله ٣ مرات وشاطر ماله مع الله ٧ مرات.
٥. تجوز الصدقة على المسكين واليتيم والأسير على الذمي والحربي.
٦. تجوز الصدقة على كل كبد رطبه أي على كل كائن حي ويروى أن امرأة بغيه من بغايا بنى إسرائيل دخلت الجنة لأنها سقت كلبا فشكر الله لها فغفر لها.
٧. يجب شكر المحسن فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله فمن صنع معكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا أن تكافئوه فادعوا له حتى تظنوا أنكم قد كافأتموه وقولوا له: جزاك الله خيرا.

•نصيحتان خاليتان

(١) النسيحة الأولى:

أعد لنفسك عملا يستمر لك أجره بعد وفاتك.

قال رسول الله ﷺ (إِذَا مَاتَ إِبْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ)

(رواه مسلم)

أعد لنفسك حال حياتك هذه الثلاث وتابع خيرهم وأوصى أولادك بالقيام بمتابعة هذه الأعمال على أتم وجه ولا تنتظر الموت لتكتب في وصيتك لأولادك أن يفعلوا لك كذا وكذا فعلوا أم لم يفعلوا.

(٢) النسيحة الثانية:

كل عام هجري وفي يوم حساب زكاتك أضف على زكاتك نسبة مئوية إضافية محتسبا هذه الزيادة صدقة وبالتالي تحسب زكاتك ٣% بدلا من ٥, ٢ % وفي السنة التالية لتكن ٤% وهكذا تزيد تدريجيا في نفقاتك لله عز وجل عام بعد عام فتكون حياتك هكذا تقربك من الله ومن جنته ورحمته وحجة لك لا عليك فأحب الأعمال إلى الله أئومها وان قلت ولا تكونن من الذين يغرهم الشيطان ويبعدهم عن الحصر والعد فيظنوا أنهم ينفقون الكثير وهو في حقيقته لا ينفق إلا القليل وإذا نسب ما ينفقه لرزق الله له لعلم قلته. وهذا لا يمنع أن الزكاة المفروضة على المسلم فقط ٥, ٢%.

أيهما أقرب إلى الله في حاله:

١. مسلم يخرج زكاة ماله وتبلغ عشرات الألوف من الجنيهات؟

٢. مسلم يخرج زكاة ماله وتبلغ فقط عشرات المئات من الجنيهات؟

مع العلم أن كلاهما على نفس الدرجة من الغنى.

- نلاحظ في فرضية الزكاة أنها تجب فقط على المال الذي مر عليه حول هجري كامل أما المال الذي لم يمر عليه حول فلا زكاة فيه. غرض الشرع ليس إنفاق الغنى من ماله كما يفهم كثير من الناس ولكن الغرض هو دفع الغنى لإنفاق ماله وعدم كنزه لفترة تصل إلى العام ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بعدم اكتناز المال حتى لا تأكله الزكاة وإنفاقه في مشروعات تنفع المجتمع وتوفر فرص عمل للشباب .
- من ناحية أخرى، فإن مال الزكاة سيوجه لأصناف الغير قادرة على الكسب أما كل مسلم قادر على الكسب سيجد عملاً صالحاً يسترزق منه رزقاً حلالاً طيباً يكفيه ويكفى أن يتزوج ويكون أسرة مسلمة وهذا أفضل من أن يتكفف الناس ويسألهم ويكون بذلك يد سفلين بدلاً من أن يكون يد علياً.
- فاهم حق للفقير على الغنى هو ألا يكثر ماله وأن ينفقه في إنشاء المشروعات المختلفة لتوفر له عملاً شريفاً يسترزق منه فهذا أفضل له ليخرج من فقره ويقتصر مال الزكاة على الغير قادرين على الكسب من اليتامى والأرامل والشيوخ الذين يتحمل المجتمع نفقاتهم. هذا الأمر يقلل الهوة والفرق بين الأغنياء والفقراء ويغرس العزة في قلب كل إنسان ليعمل بدلاً من أن يسأل ويكون عالة على غيره. من ناحية أخرى فإن ذلك يقوى الشريحة العاملة في المجتمع فيزيد إنتاجه ويرتفع بالتالي متوسط الدخل القومي للفرد إلى أن يصل المجتمع إلى درجة الكفاية فينتج كل ما يحتاج استهلاكه وينتقل إلى درجة تصدير فوائض إنتاجه إلى البلاد الأخرى. وهذا هو سبيل تقوية اقتصاد البلاد.

• أخطر شيء على المجتمع هو كثر المال وهذا هو نتائج الربو:

- إذا اتجه الناس لادخار أموالهم في بنوك وهي أوعية ادخارية وليست أوعية استثمارية طمعا في فائدة شهرية أو سنوية بعيدا عن التجارة ومشاركة الغير وعمل مشروعات قد تكلف الجهد الكبير ولا يضمن عائدها كما هو مضمون في حالة البنوك. إذا فعل الناس ذلك وهو ما حدث بالفعل – جنب هذا المال عن السوق فقلت المشروعات وبالتالي تقل فرص العمل ويقل الإنتاج فينخفض متوسط الدخل القومي للفرد ويزداد الفقر في المجتمع وتزداد الهوة بين الأغنياء والفقراء ويتكون جيش من شباب العاطلين الذين لا أمل لديهم في الخروج من فقرهم إذ لا فرص عمل لهم فيتجهون إلى جمع المال بالسرقة والغش ويتحولون إلى قنابل إفساد وتدمير في المجتمع بدلاً من الاستفادة بهم كقوى إنتاجية تبني وتصلح وتعمل الصالح من العمل. فالغنى يجب أن يعلم أنه لا يستثمر ماله ليزداد غنى أو لفكره يريد تنفيذها ولكن هذا الأمر واجب عليه في كل فضل مال عنده حتي يستثمره ولا يدخره ولا يكثره.

من هنا نرى خطورة الربى والتي ظهرت بوضوح في كتاب الله تعالى - إذ يقول: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ ثَبُتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾

(البقرة ٢٧٥-٢٧٩)

- فلم يعلن الله الحرب على أحد سوى على آكل الربى إذ أنه مفسد في المجتمع فسادا لا يساويه فساد.

فالأمر معلق بكنز المال وحجبه عن التداول وليس الحرمة في استغلال حاجة الفقير إذ أن أول ربى وضع في الإسلام هو ربى العباس بن عبد المطلب عم النبي - صلى الله عليه وسلم - وذلك في حجة الوداع. ولم يكن العباس يستغل الفقراء إذا جاءوا إليه ليأخذوا منه المال ولكن كان يأتيه التجار طوعية في رحلة الشتاء والصيف ليأخذوا منه المال فيعيده بعد رحلة الشتاء والصيف بالزيادة المتفق عليها لهذه المدة بصرف النظر عن المكسب أو الخسارة لا علاقة له بالتجارة نفسها.

وهذا هو عمل البنوك الحالية التي تأخذ أموال الناس فتقرضها إلى من يريد الاقتراض بفائدة أكبر من التي تعطيها للمدخرين ومن هنا تظهر نقاط الحرمة في هذا التعامل من عدة وجوه أهمها:

١. قيام البنك بالإقراض بفائدة ثابتة لا تتعلق بنوع المشروع ولا تشارك فيه بأي صورة من الصور أمر محرم لا شك فيه وهذا يفعله البنك بأموالك أنت التي ادخرتها عنده فأنت مشارك له في الإثم.

٢. أهم عنصر يعنى البنك في حالة الإقراض هو قدرة المقترض على السداد مع وجود أصول له يتحفظ عليها يضمن أموال البنك - أما نوعية المشروع الذي سيقوم المقترض بتنفيذه فهذا أمر لا يعنى البنك سوى جدواه الاقتصادية. فإذا أراد أحد الناس إنشاء أكبر ملهى ليلي وأكبر صالة للقفاز في الشرق الأوسط مثلاً وجاء إلى البنك بجميع الضمانات المطلوبة فلن يمتنع البنك عن الإقراض لأن هذا العمل مخالف لشرع الله. وبالتالي سنتشأ هذه الحانات بمالك أنت أيها المدخر في البنك وتكون مشاركا في الإثم والوزر لكل ما سيفعله من أفعال تغضب الله في هذه الأماكن التي أقل ما توصف أنها ملتقى شياطين الإنس والجن يظن كثير من الناس خطأ أن البنوك تستثمر أموالهم ولكن في حقيقة الأمر أنها تقرضها بربى لمن أراد أن يقترض سواء لعمل مشروع أو خلافه دون المشاركة في المشروع وكلما زادت مدة القرض كلما زادت الفائدة حتى وإن خسر المشروع وكم من بيوت خربت من جراء هذا الربى. إيرادات البنوك الأساسية من القروض التي تعطيها و فرق الفائدة التي تقرض به للمقترض عن الفائدة التي تعطيها لك.

• ما يجب علينا لتتوب من الربى:

- التوبة إلى الله من التعامل الربوى.
- تحويل جميع الودائع إلى حسابات جارية.
- احتساب كل ما جاء من فوائد على أصل رأسمال ربى ولك الحق في رأس مالك فقط أما كل فائدة جاءت على المال فهو ربى يجب التخلص منه في إنفاقه على منافع المسلمين كصرف الطرق وإنشاء المستشفيات وخلافه ولا يخرج صدقات فإله طيب لا يقبل إلا طيبا وإذا عظم مبلغ الربى فلا مانع من تقسيطه بشرط أن تكتبه دينا عليك في وصيتك وتسارع بأدائه.
- البحث في أقاربك أو أصدقائك لتشاركهم في مشاريعهم وتجارتهم وشركاتهم ولا مانع من أن تفكر مع صديقك في عمل مشروع ولتعد ثقتنا بعضنا في البعض وكن على يقين من أن الله سيبارك لكما.
- إذا لم يتيسر لك ذلك فاجتهد لشراء شقة لتؤجرها أو تشتري أرض ثم تبيعها لا حقا أو ما شابه ذلك.
- استبقى جزء من مالك نقدا في أحد البنوك وتفضل الإسلامية كحساب جارى لأية طوارئ تحتاج فيها إلى مال.

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُجْزَىٰ اللَّهُ النَّاسَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾

(التحریم ٠٠٨)

كن على يقين أن الرزق محدد لك من الأزل لن يزيد ولن ينقص وإنما يمتحن العبد في: من أين يكسبه؟ وفيما ينفقه؟ وهذا ما يجب أن يشغلك حتى يكون رزقك من حلال فتقبل منك نفقاتك وأعمالك الصالحة. وان أصررت على ما أنت عليه فأعلم أنك من الذين أعلن الله عليهم الحرب ورسوله ولا بركة لك في رزقك ولن يزيد.

يقول الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ۝﴾

(البقرة ٢٧٦)

الخلاصة:

إذا قضينا على الربى قضينا على كنز المال ودفعنا به للمشروعات النافعة للفرد والمجتمع وأنقذنا كل فقير من ذل الفقر وفتحنا له أبواب الرزق الحلال وصرنا بحق صالحين مصلحين خلفاء الله على الأرض كما استخلفنا فيها. أما الأموال التي كنزت ومر عليها حول كامل، فهذه أموال قد حجبت عن السوق، نعوض الفقراء بأن نخرج منها ٥, ٢% ويكون الأولى بهذه الزكاة الفئات الغير قادرة على الكسب الحلال من الأصناف الثمانية المحددة في الآيات سابقا أما الفقراء القادرين على الكسب فقد فتحنا لهم المشاريع النافعة التي فيها يجدون العمل الشريف والرزق الحلال.

وليثق كل منا أن الله يبارك في طاعته ويبسر لكل من سعى إلى مرضاته فمن تحرى الخير يعطه ولا يندم على طاعته لله أبدا ومن ترك شيئا لله أبدله الله خيرا منه والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

زكاة الوقت:

لعل من المعلوم لغالبية المسلمين أن الزكاة تتعلق بالمال ولكن الجديد أنها لا تقتصر على المال فحسب ولكنها تشمل أيضا وتعم كل ما أتاك الله عز وجل.

فيقول الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ^ط وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾

(القصص ٧٧)

فإن الله عز وجل أمر المسلم أن يستغل كل نعمة من نعم الله عليه كالصحة والوقت والأولاد والزوجة والمركبة والمسكن كوسيلة لإعداد زاد الآخرة وذلك بتسخيرها لنفع الناس وبذل الخير لهم وكذلك الحيوانات والنباتات ففي كل كبد رطب صدقة.

ثم أمر الله في الآية أن يكون للمسلم حظا من كل نعمة يتنعم هو بها وهذا هو نصيبه من الدنيا وجزء آخر يكون للبذل الكلي والكامل للغير وذلك هو الإحسان الذي تحدثت عنه الآية فكما أعطاك الله النعمة فأحسن إليك فعليك أن تعطى منها لغيرك وكذلك تكون قد أحسنت كما أحسن الله إليك بغير أن يصاحب هذا الإحسان من أو أذى أو مصلحة أو مقابل.

ورأس مال الإنسان حياته أي الوقت الذي أعطاه الله له خلال عمره الدنيوي. ولعل الوقت أهم من المال لأن لو إنعدم الوقت إنعدمت الحياة بأسرها ولا يستطيع الإنسان أن يعمل أي عمل أو أن ينجز أي شئ بغير وقت.

فإن كان الشارع الحكيم قد أوجب لنا حد أدنى للإتفاق من أنواع المال المختلفة.

١. ربع العشر (٢,٥%) _____ زكاة المال وعروض التجارة.
٢. نصف العشر (٥%) _____ زكاة الزروع التي فيها جهد ونفقه وفلاحه.
٣. العشر (١٠%) _____ زكاة الزروع التي لا يبذل فيها جهد أو نفقه.
٤. الخمس (٢٠%) _____ زكاة الركائز والمعادن.

فيجب أن يكون للمسلم حد أدنى من الوقت ينفقه ويبذله لغيره ولا يكون له فيه أدنى نصيب أو حظ أو منفعة وذلك في كل يوم بل كل ساعة من ساعات حياته وهذا الحد الأدنى يزداد تدريجيا كلما أراد العبد أن يزداد قربا من ربه عز وجل. فإن أردنا أن نحدد هذا الحد الأدنى فأنه سيكون كنصاب الزكاة يتراوح من ٢,٥% من الوقت حتى ٢٠%.

وجب علينا أن نفهم الحكمة من زيادة قدر الزكاة المفروضة في بعض أنواع المال عن غيرها، ولعلنا نلاحظ أنه كلما كانت النعمة من الله لا يبذل فيها المسلم الجهد والمال كلما زادت الزكاة عليها والعكس صحيح ويظهر ذلك جليا في زكاة الزروع فإذا اعتبرنا الوقت وجدنا أنه نعمة من الله لا يبذل فيها الإنسان أي جهد ليتحصل عليها أشبه ما تشبه الركائز والمعادن التي زكاتها الخمس (٢٠%).

ولذلك نرجح أن يكون الحد الأدنى من زكاة الوقت (٢٠%) من وقت المسلم ينفقه ويوجهه لنفع غيره ويحتفظ لنفسه ب ٨٠% وهذا حظه من الدنيا وكلما ازداد المؤمن في قرب من ربه كلما زاد هذا الوقت المسخر لرحمة وخير الآخرين.

ونرى أن هذا الوقت إذا قل عن ٢٠% فإن المسلم قد قصر في فريضة زكاة الوقت، فمن غير المعقول أن نحرص على النفقة من أنواع المال ونهمل النفقة من الوقت الذي هو أصل المال. والآيات كلها أمرت بإيتاء الزكاة دون تحديد لنوع الزكاة لعدم التخصيص وجاءت افتتاحية سورة البقرة في وصف المتقين.

بقول الله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٠﴾﴾

(البقرة ٣٠)

فجاءت النفقة على كل ما رزقك الله إياه.

ويقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ

وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾

(البقرة ٢٥٤)

ويقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدُنُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ

إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾

(البقرة ٢٧٢)

من ناحية أخرى فإن المسلم قد لا يملك نصاب الزكاة أو قد يملكه ولكن لا يمر عليه الحول فكيف ينفق وماذا ينفق إن لم يكن له حظ في النفقة من نعم أخرى من نعم الله عليه؟

هنا نؤكد أهمية التعامل مع الوقت كما نتعامل مع المال ونجعل حد أدنى من النفقة من هذا الوقت نعطيهِ للآخرين لا نقتل عنه ونعلم أن هذا فريضة علينا وليس تفضل.

إعطاء هذا الوقت للآخرين يكون بسبل مختلفة ومتعددة لقضاء حوائج المسلمين أو بذل النصيحة أو الزيارة أو مشاركتهم في أفراحهم أو في أحزانهم أو تعليمهم أو أي عمل يعود بالخير لغيرك ولو لحيوان أليف وأنت لا تنتفع من هذا العمل وهذا الوقت بأي صورة من الصور . . . ولعل الأفضل ألا يعلم أحد ما أنفقت وكيف أنفقت ولمن أنفقت هذا الوقت ويكون بالليل والنهار ويشمل أكبر قدر من المسلمين والناس بصفة عامة وكلما طال مدى تأثير ونفع هذا الخير كلما كان أعظم أجرا عند الله.

• كيفية بزكوى المسلم بوقتہ؟

- يجب أن يحسب المسلم زكاة وقته كما يحسب زكاه ماله ويجب أن توجه للمسلم ويجب أن يجعل لها وقت محدد يخرج فيه بصفة دورية يوميا أو أسبوعيا أو حتى شهريا ليعوض ما لم يخرج من زكاة وقته خلال أيام الشهر. ويجب أن يكون تملكك لغيرك لهذا الوقت تنفقه فيما يختاره هو وليس فيما يحلو لك أنت وفيما هو في حاجة إليه وليس فيما تريد أنت أن تنفقه. ولعل حديث النبي محمد ﷺ الذي يقول فيه (يُضَيِّعُ عَلَى كُلِّ سَلَامِي مِنْ ابْنِ آدَمَ صَدَقَةً تَسْلِيْمُهُ عَلَى مَنْ لَقِيَ صَدَقَةً وَأَمْرُهُ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ وَنَهْيُهُ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ وَإِمَاطَتُهُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ وَبُضْعَتُهُ أَهْلَهُ صَدَقَةٌ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ بَائِي شَهْوَةً وَتَكُونُ لَهُ صَدَقَةٌ قَالَ أَرَأَيْتَ لَوْ وَضَعَهَا فِي غَيْرِ حَقِّهَا أَكَانَ يَأْتِمُ قَالَ وَخَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ رَغْعَتَانِ مِنَ الصُّحَى) (رواه أبي داود)

وهذه أمثلة لبذل الوقت للآخرين ولو للحظة تبتسم فيها إليه تدخل بها السرور عليه ولعل استخدام الحديث لكلمة (صدقة) تنبيه للقارئ لارتباط نفقة المال بنفقة الوقت. فالوقت هو أساس تكسب المال ومصدره كما أن نفقة الوقت تعم أنواع مختلفة من النفقة كالصحة والعلم والحكمة . . . ففي نفقة الوقت يسخر المسلم صحته وعلمه وبقية نعم الله عليه لنفع وخير المسلمين. ومن هنا نفهم أن نفقة المال هي في الحقيقة نفقة وقت فالتصدق يعطى للفقير من وقته الذي اكتسب فيه هذا المال الذي يعطيه إياه.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾

(التوبة ١١١)

- فالمسلم قد باع نفسه لله بأن قدم حياته لله كلها في المجالات المختلفة ويظهر ذلك في الجهاد في سبيل الله لرفعة الإسلام والمسلمين فقد أعطى بذلك عمره وحياته كاملة فبلغت نفقة الوقت ذروتها فأنفق حياته كاملة لغيره ولذلك كان الجهاد ذروة سنام الإسلام.

• كيفية حساب المسلم زكاة وقته؟

- إذا كانت نعمة الله للمسلم في وقته هي عمره الذي يتراوح بين الستين والسبعين كما جاء في حديث النبي- صلى الله عليه وسلم - فيكون الحد الأدنى من الوقت الذي يبذله المسلم لغيره هو خمسة أي: زكاة عمره لو افترضنا حياته ٦٥ سنة = ١٣ سنة كإجمالي لو وزعت بالتساوي على السنين كان نصيب كل سنة: ١٢ شهر ÷ ٥ = ٣٦٥ يوم ÷ ٥ = ٧٣ يوم في السنة حوالي شهران و ١٣ يوم. لو وزعت بالتساوي على الأشهر كان نصيب كل شهر ٣٠ يوم ÷ ٥ = ٦ أيام شهريا. لو وزعت بالتساوي على الأيام كان نصيب كل يوم ٢٤ ساعة ÷ ٥ = ٢٤ × ٦٠ دقيقة ÷ ٥ = ٢٨٨ دقيقة = ٤ ساعات و ٤٨ دقيقة/ يوميا. لو وزعت بالتساوي على الساعات كان نصيب زكاة الوقت كل ساعة ٦٠ دقيقة ÷ ٥ = ١٢ دقيقة/ الساعة.
- إذا تعذر للمسلم أن ينفق ١٢ دقيقة في ساعة من ساعات حياته فليعوضها في الساعة التالية أو في اليوم التالي بحيث يستكمل النصاب ٢٠% من وقته كمجمل كما أنني أنصح أن يخرج زكاة وقته يوميا مع الصلوات الخمس فيكون مع كل صلاه حوالي ساعة ٢٨٨ دقيقة/ ٥ حوالي ٥٧ دقيقة. وإذا تعذر نفقة هذا الوقت على الغير فيجوز له أن ينفقه على نفسه بأن يشغل نفسه في هذا الوقت بذكر الله أو قراءة القرآن أو حضور مجالس العلم استنادا على الفقير الذي أجاز له الرسول صلى الله عليه وسلم أن يطعم هو زكاته إذ لا يوجد من هو أفقر منه.
- على المسلم أن يبدأ في تخصيص زكاة وقته بداية بربع العشر (٥, ٢٠%) ثم يتدرج في الزيادة ويلحقه بالصلوات الخمس فيبدأ بمعدل ٧ دقائق مع كل صلاة (٥, ٢) يزداد بعده للضعف ١٤ دقيقة (٥%) ثم للضعف (٢٨ دقيقة) (١٠%) ثم للضعف ٥٦ دقيقة مع كل صلاة من الصلوات الخمس (٢٠%).

- وعلى ذلك يحتسب المسلم في آخر اليوم إجمالي الوقت الذي بذله ويحتسب ما لم يبذله من زكاة وقت هذا اليوم ليستدركه في اليوم التالي أو في نهاية الأسبوع ويجب على المسلم ألا يدخر جهدا في هذا الأمر لأنه بذلك يراقب وقته من الله فان النفقة لله هي دلاله الحب لله والقرب منه. وكاذب كل من ادعى قرب الله وهو لا ينفق من وقته لله. وكما ذكرنا لا مانع أن يحتسب وقت ذكره أو طلبه لعلم الدين وقراءة القرآن من وقت الزكاة وكذلك حجه وعمرته فهو وقت أنفقه العبد في سبيل الله إلا أن ذكر الله يجب أن يفرز العمل الصالح الذي ينفع الناس فالذكر حينئذ يكون خطوة أولى لإعداد قلب المسلم للنفقة من وقته لغيره من المحتاجين فحذاري أن ينفق المسلم وقته للذكر دون العمل الصالح أو للعمل الصالح دون الذكر.

ما لم يبذله المسلم من زكاة وقته في آخر كل شهر ليعوضه في الشهر التالي وما لم يبذله عن المقدار الذي حدده لنفسه بدءاً من ربع العشر يصير ديناً عليه معلق في رقبته يسارع بأدائه وقت فراغه ولذلك قال رسول الله ﷺ (يَغْمَتَانِ مَغْبُوتٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الْفَرَاغُ وَالصَّبْحَةُ) (رواه أحمد) .

فالمسلم يجب أن يغتنم من وقت فراغه ليستدرك ما قصر فيه من وقت شغله وليتعامل كل منا مع هذا الوقت الذي هو زكاة حياته كما يتعامل مع زكاة المال وليحرص عليها حرصه على أدائه زكاة ماله.

• التنبه في زكاة الوقت:

- يجب على المسلم أن يستوفى في عمره زكاة وقته وهي تتدرج كما أشرنا من ربع عشر الوقت إلى خمس الوقت ينفقه المسلم بشكل دائم ومنتظم فيستدرك فيه وقت الانشغال في وقت الفراغ يومياً أو أسبوعياً أو شهرياً أو سنوياً. وهذا هو الحد الأدنى والمفروض على المسلم ويجب عليه أن يجتهد لتزاد نفقته كلما أمكن ذلك وأحب ذلك إلى الله ما دام وان قل. ولذلك يجب عليه أن يرفع نسبة نفقته من وقته تدريجياً، من ٢٠% إلى ٢٢% وليظل على ذلك فترة كافية ثم ليرفع النسبة إلى ٢٤% مثلاً ولا يتعجل فالمهم هو المواظبة والاستمرارية وهي درجات يتدرجها المسلم في طريقه إلى الله - عز وجل فبكل نفقه من الوقت أو المال أو أي شيء يزداد قربك من الجنة وبعدك عن النار. وهذا ميزان جيد لتتعرف على قدرك عند الله وقدر قربك من جلاله ورضاه كالأية التي يؤتاها المسلم ويقرأها يوم القيامة فترفعه درجة كما ما بين السماء والأرض في الجنة.
- ولعل ربط النفقة بالوقت يعطى المسلم مقياساً صادقاً لعمله لله وعبادته له فالعبرة ليست بعدد الركعات أو بعدد السور التي يحفظها أو يقرأها المسلم إنما العبرة بالوقت الذي ينفقه المسلم مع الله في ذكره لجلاله وفي نفعه للناس يتدرج الثواب بزيادة الوقت وإن أمضى المصلى ساعات يرتل فيها آية واحدة من القرآن الكريم أو يتعلم فيها مسألة واحدة من مسائل الدين فليس العبرة بالكثرة العددية. فالمسلم الذي اشترى الجنة قد دفع ثمنها حياته وعمره فصارت كل ساعة من حياته لا يملكها إنما يملكها من اشترى نفسه وصار ما استبقته لحظك من الدنيا (٨٠%) تفضلاً من الشاري عليك وليس استحقاقاً منك والأصل يظل أن مالك كل وقتك هو الله عز وجل . . . فما أكرمه من اله عظيم . . . يهبنا النعمة ثم يشتريها منا ثم يتركها لنا نتنعم فيها . . . وعندما نستخدمها في طاعته يثيبنا على ذلك . . . وما للإنسان من جحود وظلم وهو قد أراد الجنة ويدعى أنه دفع ثمنها ثم يستكثر أن ينفق ٢٠% من وقته كما أراد الله في نفع الآخرين ويستقل أنه سيستبقى ٨٠% لنفسه. وليعلم المسلم أن الشح أول ما يظهر في القلب بأن يبخل من النفقة من وقته.

فيقول الله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٦)

(التغابن ١٦)

قال الله تعالى: ﴿ هَآأَنْتُمْ هَآؤَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾ (٢٨)

(محمد ٣٨)

يجب أن يتيقن المسلم أنه ينزل في كل يوم ملكان يقول الأول: (اللهم أعط كل منفق خلفاً) ويقول الثاني: (اللهم أعط كل ممسك تلفاً). فالوقت الذي تنفقه يعود إليك ولا ينتقص من وقتك كالصدقة التي لا تنقص المال فكل لحظة تعطيتها لله يعيدها الله إليك كاملة وكذلك البركة فيما ما بقي من عمرك.

يقول الله تعالى في الحديث القدسي: (يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ) (رواه البخاري).

فكن أوثق بما في يد الله عما في يديك وأنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا فاحفظ يا أخي المسلم هذه النصيحة الغالية وأنفق من وقتك واحسب هذا الوقت فهذه عبادته كحسابك لزكاة مالك ولا تترك الشيطان يصرفك عما تستطيع به أن تراقب أحوالك مع الله . . . فلا تعلم نفس ماذا سطر لها في صفحات القدر ولعل ما أخرت قد عجل ولعل ما استعجلت قد أخر والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

يقول الله تعالى: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾

(الذاريات ٥٠)

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾

(آل عمران ١٣٣-١٣٤)

فأنفق من وقتك في وقت فراغك قبل وقت شغلك فهذه فريضة وليست نافلة منك أو تفضل وهكذا يفتح الله مسامع قلبك وبصيرته لكلامه جل وعلا ويهديك صراطه المستقيم. وتابع أخي القارئ حديث القرآن عن العطاء فهو المرادف للنفقة.

يقول الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۖ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۖ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۖ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۖ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۖ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ۖ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۖ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۖ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۚ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۖ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۖ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۖ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ۖ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۖ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۖ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۖ ﴾

(الليل ٠٠٥-٠٢١)

فسر بعض العلماء (ماله) أي (ما ملك) وليس بمعنى المال فصار الأتقى يؤتى كل ما يملكه لغيره وهذا العطاء يزكى نفسه إذ أنه لله وحده ويكون ثوابه الفوز برضى الله عز وجل.

• كما بينت الآية التالية إنكار الله على من أنفق القليل (. . . وأعطى قليلا . . .).

- يجب الإشارة إلى عدة أمور هامة في ختام حديثنا عن فريضة الزكاة يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:
١. أذكر أخي القارئ أنه لا يستطيع المسلم أن يقيم هذا الركن من أركان إسلامه إلا إذا كان رزقه من مصدر شرعي يرضى الله عنه فليراجع كل منا عمله الذي يتكسب منه والذي يطعم منه زوجته وأولاده أهو حلال أم حرام. وان شككت فعليك تركه وكن على يقين أن من ترك شيئا لله أبدله الله خيرا منه.
 ٢. إن الله جعل لأموال الناس قدسية عظيمة، فظلم الناس وأكل أموالهم بالباطل سرقة سواء أكان ذلك بعدم دفع للناس حقوقهم وحبسها عندك أو بإيصالها منقوصة اعتمادا أنك في الموقف الأقوى فليس الظلم فقط أكل أموال الناس بالباطل ولكن الظلم أيضا منع إيصال حق الغير عندك. وأعلم أن التخلي قبل التحلي فأولى بك إن كنت تريد أن تزكى وتتصدق أن تبدأ أولا بدفع حقوق الناس عندك وتوصيلها إلى أصحابها قبل ما تدرك المنية وأنت ظالم والظلم من ظلمات يوم القيامة.
 ٣. استعن بالصدقات لترقية وتزكية نفسك من نفس أمارة بالسوء إلى نفس لوامة إلى نفس مطمئنة.
 ٤. أعلم أنه من ييخل فانه ييخل على نفسه وأن الصدقة لا تنقص المال بل تزيده أضعافا مضاعفة وان أردت أن يحبك الله فأزهد في الدنيا وان أردت أن يحبك الناس فأزهد فيما في أيدي الناس.
 ٥. خلافات المسلمين أغلبها تكون بسبب المال والتنازع عليه — فأحرص أن تنتصر على نفسك في هذه المعركة حتى تترك بابا كبيرا من الحب بينك وبين الناس مفتوحا دائما فالمال ما سمى مالا إلا لأنه يميل بصاحبه إذ أن الإنسان يحب المال حبا كبيرا.

يقول الله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝﴾

(الفجر ٠٢٠)

﴿وَأَنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝﴾

(العاديات ٠٠٨)

(الخير = المال)

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝﴾

(التوبة ٠٢٤)

اقتلع من قلبك حب المال واستغنى بالغنى المغنى فهو الرزاق الوهاب عمن سواء وسله أن يجعلك دائما يدا عليا لا يدا سفلي.

٦. يجب الإسراع بالتوبة من الربى بجميع أنواعه إذ أن الربى من أكبر الكبائر لذلك ننصح المسلم أن يستثمر ماله بنفسه وأن يتعاون مع أصدقائه وأقاربه ويكونوا شركة وينشئوا مشروعات توفر فرص عمل وذلك فرض عليهم تجاه الفقراء أما إذا أبقوا المال في البنوك قلتن حسابات جاريه وليست ودائع وهذا أضعف الإيمان وحذاري أن تأكله الزكاة.

١. معنى الصيام:

- المعنى اللغوي: - هو الإمساك عن أي شيء

قال الله تعالى: ﴿فَكُلْ وَاشْرَبْ وَاعْبُدْ عِبَادَ اللَّهِ فَإِذَا تَابَ عَلَيْهِمْ خَطَايَاهُمْ سَوَاءٌ أَعْلَمُوا بِمَا عَمِلُوا أَمْ لَمْ يَعْلَمُوا بِمَا عَمِلُوا لَمَنْ عَادَى اللَّهَ يَأْكُلْ﴾

إِنشَاءً ﴿٦٦﴾

(مريم ٢٦)

فكان إمساكها عن الكلام صوم.

- المعنى الشرعي: - هو الإمساك عن شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس.

٢. شهية الصيام:

أمر الله عز وجل كل مسلم ومسلمة بصوم شهر رمضان لغير ذي عذر.

فيقول الله تعالى في سورة البقرة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكَ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكَ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةُ الصِّيَامِ أَلَمْ تَكُنْ إِلَىٰ نِسَائِكُم مِّمَّن لَبَّاسٌ لَّكُم وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَىٰ اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

(البقرة ١٨٣-١٨٧)

وأجاز الشارع الحكيم للمرضى والمسافرين الإفطار على النحو التالي:-

١. المسافر:

يشترط للمسافر أن يكون أثناء السفر عند أذان الفجر فهو وقت عقد نية الصيام. أما إن بدأ سفره بعد أذان الفجر فلا يصح إفطاره إذ أنه ليس على سفر كما جاء في الآية (أو على سفر). ويقضى المسافر أيام رمضان التي أفطرها بعد انتهاء شهر رمضان وهي في حقه فريضة واجبه الأداء على الفور دون تراخ قبل حلول شهر رمضان التالي.

٢. المريض:

يشترط أن يكون هذا المرض يزداد بالصيام بفتوى من طبيب مسلم حاذق. وحينئذ يكون القضاء بعد انقضاء المرض. أما إن كان مرضاً لا يرجى شفاؤه فعليه حينئذ أن يطعم عن كل يوم فيطعم مسكينين بوجبتين (إفطار وسحور) من أفضل ما يطعم أهله وهو ما يسمى (الإطعام).

٣. الذين يطبقونه:

الذين يستطيعون الصوم ولكن بمشقة كبيرة كالمسن فأجاز الله له الإفطار على أن يطعم كل يوم فقير أو مسكين فدخل في هذه الطائفة الحامل والمرضع ويكون كل مسلم ومسلمة حكماً لنفسه والله أعلم بأحوال كل منا.

٣. حقيقة الصوم:

١. الصوم هو امتناع المسلم عن أشياء أحلها الله له في غير رمضان، فإذا أقبل عليها في رمضان أفطر ووجب عليه القضاء لهذا اليوم بعد رمضان وكفارة لهذه المعصية الكبيرة بإطعام ستين مسكيناً أو صيام شهرين متتابعين توبة من الله فما بال المعصية التي حرمها الله في غير رمضان؟ أتكون مفطرة للصائم في نهاية رمضان؟ بالطبع قال رسول الله ﷺ : (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ) (رواه البخاري)

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ :
(كُلْ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّيَّامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالصَّيَّامُ جُنَّةٌ وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَزِفُّهُ وَلَا يَصْحَبُ فَإِنْ سَاءَ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيُقِلْ لِي) أَمْرُؤُ صَائِمٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ خَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمُسْلِكِ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ (الصحيحان)

فأصل عبادة الصوم أنها تستمر ٣٠ أو ٢٩ يوماً متصلة – تبدأ بهلال رمضان وتنتهي بهلال شوال تشابه الصلاة التي تبدأ بالتكبير وتنتهي بالتسليم. فإن أتى المسلم بخطأ في الركعة الثالثة فقد بطلت صلاته بأكملها وإن كان في التشهد الأخير للصلاة. ولذلك كانت الآية – يقول الله تعالى:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٨٥)

(البقرة ١٨٥)
أي فليصم الشهر ولذلك وجب على المسلم أن يعلم أن صوم رمضان ينتهي بحلول عيد الفطر المبارك. قال رسول الله ﷺ : (لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ) (الصحيحان)

٢. شهر رمضان هو شهر الصيام وهو الشهر الذي بدأ فيه نزول القرآن على رسول الله في غار حراء بقوله عز وجل: ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ﴾

(العلق ٠٠١-٠٠٢)

وللصيام ارتباط وثيق بالقرآن الكريم ويظهر ذلك في اختيار الله عز وجل لشهر رمضان المعظم.

قال الله تعالى:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٨٥)

(البقرة ١٨٥)

فلقد نزل القرآن كاملاً من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم بدأ نزوله على الأرض منجماً بأول الآيات السابقة. ومن هنا كان سر الصيام في رمضان وسر رمضان في ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر وسر ليلة القدر في القرآن الكريم. ومن هنا يدرك المؤمن أنه لا سبيل للمسلم في أن يكون طائعاً قريباً من الله إن لم يكن قريباً من القرآن الكريم. فالقرب من القرآن وحبه واتباعه هو قرب وحب واتباع الله عز وجل وسنتناول الحديث عن القرآن الكريم بالتفصيل عندما نتحدث عن الله عز وجل لاحقاً. ولذلك كان قيام رمضان بالليل مكملاً لصيام النهار. قال رسول الله ﷺ

(مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)

(رواه)

(البخاري)

وسر القيام هو القرآن الكريم الذي يقرأ في الصلاة ولذلك علمنا النبي - صلى الله عليه وسلم - أن الصيام والقرآن يأتیان يوم القيامة شفيحان للمسلم.

قال رسول الله ﷺ: (الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ الصِّيَامُ أَيْ رَبِّ مَنَعْتَهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفَعَنِي فِيهِ وَيَقُولُ الْقُرْآنُ مَنَعْتَهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفَعَنِي فِيهِ قَالَ فَيُشَفَّعَانِ) (رواه أحمد) الطبراني في الكبير ورواه محتج بهم في الصحيح.

فالقرآن الكريم يكمل صوم الصائم في رمضان وفي غير رمضان ولا سبيل للعبد أن يصل إلى الله بغير القرآن الكريم تلاوة وحفظاً وعملاً وتدبراً وتعليماً.

٣. يجب أن يكون للصوم أثر في نفس الصائم في أن يعلمه الإنفاق والعطاء للغير ولذلك ورد في الأحاديث أن الرسول كان جواداً كريماً كالريح المرسلة وأجود ما يكون في رمضان. ولذلك شرعت زكاة الفطر على كل صائم قبل صعود الإمام على المنبر لصلاة العيد وتكون مطهرة للصائم من كل خلل وتقصير شاب صومه وبطل صوم الصائم معلق بين السماء والأرض حتى يخرج زكاة فطره عن نفسه وعن من يعول.

فالصيام يجب أن يعزز الأعمال الصالحة الكثيرة والكبيرة والخالصة لله.

فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال - **قال رسول الله ﷺ:** (إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَتُبَحَّتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَغُلِقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ وَصَفَّتْ الشَّيَاطِينُ) (رواه مسلم) ثواب الفريضة فيه بسبعين فريضة وثواب النافلة فيه بثواب فريضة.

قال رسول الله ﷺ: (احْضَرُوا الْمُنْبِرَ ، فَحَضَرْنَا ، فَلَمَّا ارْتَفَى دَرَجَةً قَالَ : آمِينَ ؛ فَلَمَّا ارْتَفَى الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةَ قَالَ : آمِينَ ؛ فَلَمَّا ارْتَفَى الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةَ قَالَ : آمِينَ ، فَلَمَّا نَزَلَ : فَلَمَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ سَمِعْنَا مِنْكَ الْيَوْمَ شَيْئاً مَا كُنَّا نَسْمَعُهُ ؟ قَالَ : إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَرَضَ لِي ، فَقَالَ : بَعْدَ مَنْ أَذْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يَغْفِرْ لَهُ قُلْتُ : آمِينَ ، فَلَمَّا رَقِيتِ الثَّانِيَةَ قَالَ : بَعْدَ مَنْ ذُكِرْتَ عَنْهُ ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ ، فَقُلْتُ : آمِينَ ، فَلَمَّا رَقِيتِ الثَّالِثَةَ قَالَ : بَعْدَ مَنْ أَذْرَكَ أَبَوَيْهِ الْكَبِيرَ عِنْدَهُ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يَدْخُلَا الْجَنَّةَ قُلْتُ : آمِينَ) . (رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد)

ارتباط صوم رمضان بالقرب من الله واستجابة الدعاء وهنا نلاحظ أنه تخلل آيات الصيام قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا

سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (١٨٦)

(البقرة ١٨٦)

مما يدل على قرب الله من العبد وهو في حالة الصيام فيكون خلوف فمه أطيب عند الله من ريح المسك ولذلك من الأوعية المستجابة هو دعاء الصائم حتى يفطر أو حين يفطر فالحق قريب من كل مسلم ولكن المشكلة في قرب المسلم من الله. فيجيب الله دعوة كل داع إذا دعاه ورجاه وبالذات إن كان صائماً وفي شهر رمضان. فلنكثر من الدعاء في هذا الشهر الكريم ولنصوم شهر رمضان شهراً وليس أياماً امتثالاً لأمر الله عز وجل وتقرباً إليه .

٤. الصوم في شهر رمضان:

يقول الله في الحديث القدسي:

قال رسول الله ﷺ (إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوَّافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ وَلَنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ وَمَا تَرَذَدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَذُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ). (رواه البخاري)

ولذلك وجب على المسلم أن يحرص أولاً أن يقضى ما فاتته في رمضان فأفطر بعذر أو بغير عذر بسبب سفر أو مرض أو حمل أو حيض . . ليستوفي بذلك فريضة صوم رمضان كاملاً مع العلم أن إفطار يوم في رمضان لا يوازيه صوم الدهر كله وإن صامه. ثم على المسلم أن يتدرج بعد ذلك في التنفل بالصيام لعظم أجره عند الله فقد جعل الله للصائمين باباً من أبواب الجنة يسمى باب الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة فإذا دخلوا أغلق دونهم.

وجاء في الحديث القدسي – عن أبي هريرة رضى الله عنه قال. قال رسول الله ﷺ: (قَالَ اللَّهُ كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرُفْثُ وَلَا يَصْخَبُ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ خُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ بَفْطَرِهِ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ). (رواه البخاري)

وقد جعل الله للصوم فوائد كثيرة منها ما يلي:

١. كبح جماح الشهوات الطائشة والنفس الأمارة بالسوء ولذلك قال رسول الله ﷺ (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ) (رواه البخاري) (وجاء "وقاية" ويقول "الصيام جنة").

٢. اعتياد المسلم على مداومة ذكر الله خلال يومه فالجوع والعطش وقطع عادة الأكل يجعل المسلم دائم المراقبة لله ولنفسه ولأعماله مما يورثه التقوى.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾

(البقرة ١٨٣)

الصيام يقوى المسلم في الإحساس بالغير والرغبة في بذل لهم الخير بصرف النظر عن استحقاقهم لذلك إذ أنه يولد فيه الإخلاص في السر والعلن فلا أحد يعلم بصومه من عدمه سوى الله عز وجل وهكذا يتعامل مع الآخرين وكأنه يتعامل مع الله وورد في الحديث القدسي: قال رسول الله ﷺ (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي قَالَ يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُوذُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدَّهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطَعْمُتَكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي قَالَ يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطَعْمَكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أُطْعِمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتَكَ فَلَمْ تَسْقِنِي قَالَ يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي)

(رواه مسلم.)

وكانت السيدة عائشة تعطر الدرهم قبل ما تعطيه للفقير وعندما سألت عن ذلك قالت: (علمت أن الصدقة تقع في يد الله قبل ما تقع في يد الفقير فأحببت أن تقع صدقي في يد الله في أحسن حال)

ولذلك يقول الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَمْعَافًا كَثِيرًا وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾

(البقرة ٢٤٥)

٣. للصيام فائدة اجتماعية كبرى على مستوى الأسرة المسلمة وعلى مستوى الأمة الإسلامية في توحيدها على مواعيد الإفطار وفي الصوم وفي الصلاة في رمضان. فالصيام في رمضان يجمع المسلمين بعد فرقتهم في خلال شهر كامل مما يصلح ذات بينهم ويقوى وحدتهم وانتمائهم لدينهم ويشعر كل مسلم بأخيه المسلم وبمسئوليته تجاهه بدءا من الأسرة التي هي اللبنة الأولى في المجتمع.

٤. الصيام يساعد على تدمير ظاهرة التدخين التي يعاني منها مليار ومائتان مليون إنسان في العالم يموت منهم سنويا ٣٦ مليون سنويا من أمراض سببها التدخين والتدخين من الخبائث المحرمة إذ أنها مدمرة لصحة الإنسان ولصحة الغير. وينفق المدخنون في العالم ٦, ٤ مليار جنيه على التدخين من بينهم نصف مليون طفل يحرقون صحتهم منذ نعومة أظافرهم. لذلك أنصح كل مدخن أيا كان ما يدخله من تبغ أو خلافة أن يستعين بالصيام ليقطع عن هذه المعصية فيقي نفسه شرورها وكذلك أطفاله الذين يعيشون معه ويتنفسون دخانه ليل نهار. استعن بالله أخي المسلم ولا تعجز فان الله سيعينك فمن تحرى خيرا يعطه.

٥. الأيام التي يكره صيامها والأيام التي يسن صيامها:

• الأيام التي يكره صيامها:

يكره صيام الدهر دون إفطار وكذلك صيام الوصال يوصل صيام الليل بصيام النهار فيمتنع المسلم عن الطعام بعد غروب الشمس إلى أن يبدأ صوم اليوم التالي فيمكث أياما بغير طعام وشراب وبين الرسول صلى الله عليه وسلم أن هذا الأمر خاص به قال رسول الله ﷺ (إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي أَبِيتُ لِي مُطْعَمٌ يُطْعِمُنِي وَسَاقٍ يَسْقِينِي.) (رواه البخاري)

• هناك أيام يسن صيامها:

١. صيام يوم التاسع من ذي الحجة وهو يوم وقفة عرفات لغير الحاج.
٢. صيام يوم العاشر من محرم وهو يوم عاشوراء وهو يوم نجى الله فيه موسى من الغرق ويسن صيام يوم قبله ويوم بعده لمخالفة اليهود.
٣. صيام الأيام القمرية من كل شهر عربي (١٣ - ١٤ - ١٥).

٤. صيام ستة أيام من شهر شوال فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه من صام رمضان ثم أتبعه بست من شوال كان كصيام الدهر إذ أن صوم رمضان يعادل صوم عشرة أشهر وصوم ٦ أيام يعدل صوم ستون يوما (الحسنة بعشرة أمثالها) وهو ما يعادل شهران وبذلك يكون المواظب على صوم رمضان ثم ست من شوال متتابة أو متفرقة كمن صام في كل عام ١٢ شهر فذاك صيام الدهر.
٥. صيام يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع وهى أيام صعود الأعمال لله عز وجل.

• كما يستحب صيام:

١. الأيام التسع الأولى من شهر ذي الحجة لغير الحاج ففي الحديث قال رسول الله ﷺ (مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ) (رواه الترمذي)
٢. الصيام في أشهر الله الحرام (ذو القعدة – ذو الحجة – المحرم – رجب) وخير الصيام هو صيام سيدنا داود عليه السلام الذي كان يصوم يوما ويفطر يوما وأنصحك أخي المسلم أن تجعل لك مع الله ورد من صيام النافلة بدءا من صيام ٣ أيام من كل شهر ولعلها أيام ١٣ – ١٤ – ١٥ من كل شهر عربي ثم بعد ما تعتاد هذا الصيام زد تدريجيا بقدر ما تطيق فانه يريد بك اليسر ولا يريد بك العسر فأحب الأعمال إلى الله أدومها وان قلت. كما أنصحك أن تكون طبيب نفسك فإذا عصيت الله أو غلبتك شهوتك فصم حتى تشعر أنك قد استعدت قبضتك على نفسك الجامعة وحتى تتبع السيئة بالحسنة فتمحها. هذا هو الدواء فاستخدمه وكفى بنفسك عليك حسيبا.
- وأعلم أخي المسلم أن الصيام هو تدريب المسلم على الإمساك عن كل ما حرمه الله كما أن الزكاة هى تدريب للمسلم على العطاء والنفقة للغير من نعم الله. فالصوم للتخلى والزكاة للتخلى والتخلى قبل التحلى وكلاهما واجب.

٦. توجيهات عامة لكل سائر:

- يجب أن يحذر المسلم أن يكون صومه عادة بغير قصد أو نية ففي الحديث: (من صام رمضان إيمانا واحتسابا) ولما كانت النية ركن من أركان الصيام فيجب أن يصوم الصائم إيمانا بالله وبأنه فرض عليه هذه العبادة واحتسابا للأجر من الله وليس تقليدا لأحد أو اتباعا لعبادة أو خوفا من الناس أو حتى أن يصوم بغير نية لا يدرى لمن يصوم ولما يصوم؟ كما يجب أن يكون هذا الصوم لله وحده وليس لأحد مع الله. فيقول الله عز وجل في الحديث القدسي: قال رسول الله ﷺ (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ). (رواه مسلم).
- ويقول الله تعالى في خواتيم سورة الكهف: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف ١١٠)

١. الصائم في غير البلاد الإسلامية يصوم على ميفات أقرب دولة مسلمة له في حالة تعذر صومه تبعاً لشروق الشمس في بلده التي يقطنها ولا يسقط عنه الصوم.

٢. أعظم ما يجب على الصائم أن يمسك عنه خلال صومه لله هو ظلم الناس بجميع درجاته وإن كان بغير قصد فعصمة الدماء والأموال والأعراض لا تبيحها الأعداء الشرعية ولذلك شرع عقاباً على القاتل الخطأ فعدم قصده لم يرفع من عليه المسؤولية كلية وكذلك ظلم الناس بانتهاك أموالهم أو أعراضهم أو أنفسهم بسرقة أو بغية أو بنميمة أو بمنع حق أو بكتف شهادة أو بكذب... وكلما عظم الضرر من هذا الظلم وكلما طال أثره وعم عدد أكبر من الناس كلما كان ذلك الظلم أكثر وزراً وضرراً على المجتمع قال رسول الله ﷺ: (اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (رواه مسلم)

(اتقوا دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب فترفع فوق الغمام ويقول الله: والله لأنصرنك ولو بعد حين).

٣. شهر رمضان المعظم هو شهر تدريب للمسلم على أن يكون كما يحب الله في أقواله وأفعاله وذلك حتى يكون كذلك في غير رمضان حتى يأتي شهر رمضان التالي بتدريب بمستوى أعلى فيتدرب المسلم على درجة أعلى من الصوم ثم يطبقها بعد انقضاء رمضان وهكذا تترقى نفس العبد المؤمن وتزكي روحه. أما أن يكون شهر رمضان في حياة المسلم شهر عباده تنتهي بنهايته فهذا يدل على أن هذا المسلم لم ينفع من صيامه بشيء ولم ينل منه سوى الجوع والعطش فأحذر أن تكون هذا المسلم.

٤. ثواب الصيام يكون من جنس العمل.

فيقول الله تعالى للصائمين يوم للقيامة بعد أن يدخلوا الجنة من باب الريان:

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾

(الحاقة ٢٤)

أي الأيام التي خلت من الطعام والشراب يطعمهم الله بثمار تشبه ثمار الدنيا كلما أتوا بثمره رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة من الحور العين تشبه زوجاتهم في الدنيا في الملامح ولكن بجمال الحور العين. وكل ما خطر ببالك ففي الجنة خلافه فليس في الجنة من دنياكم غير الأسماء وكما ورد في الحديث القدسي قال رسول الله ﷺ: (قَالَ اللَّهُ أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ) (رواه البخاري)

ولذلك لا يجب أن تحرم نفسك ثواب الصيام العظيم. قال رسول الله ﷺ: (مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنْ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا) (رواه البخاري)

أي باعد الله وجه الصائم عن النار جزاء يوم واحد قد صامه مسيرة سبعين عام بعداً عن النار. فما أحوجنا لهذا الصيام ونحن نكثر من الأعمال التي تقربنا إلى النار وحققنا فقد حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات.

ولقد أثبت القرآن الكريم أن الصوم خير فقال الله تعالى عن الصوم:

﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة ١٨٤)

وبما أن الصوم خير فيجب أن نستزدد منه ولقد صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم: (صوموا تصحوا)

قال رسول الله ﷺ (مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ) (رواه أحمد) .

ولقد علمنا النبي - صلى الله عليه وسلم أن المعدة هي بيت الداء وأن المسلم عليه ألا يسرف في الطعام والشراب (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) وليجعل ثلث بطنه لطعامه وثلث بطنه لشرابه ويبقى الثلث الأخير فارغا للنفس ولا يأكل المسلم إلا حينما يجوع وعندما يأكل لا يأكل حتى يشبع ولكن يتوقف بعد أن ملأ ثلثي بطنه. في الحديث: (نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع ولقد مدح الله الصائمين والصائمات في آية من كتابه العزيز في سورة الأحزاب -

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِينَ وَالصَّامَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب ٣٥)

وهذا يبين عظمة الصائمين والارتباط الوثيق بين الإنفاق والصيام.

٥. شرع الصوم بديلا عن عدم القدرة على النفقة كما هو الحال بالنسبة للمتمتع والقارن في الحج فالذي لا يملك أن يشتري هديا ليذبحه فعليه أن يصوم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع تلك عشرة كاملة.

يقول الله تعالى: ﴿ وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَخْلُقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (البقرة ١٩٦)

وكذلك الكفارة بالنسبة للمفطر عمدا في نهار رمضان تكون صوم شهرين متتابعين خلاف قضاء اليوم فإن لم يستطع كان عليه إطعام ستين مسكينا فمن أطعم صائما فله مثل أجره دون أن ينقص من أجر الصائم شيئا. وكذلك بالنسبة لمن قتل مؤمنا خطأ فعليه صيام شهرين متتابعين توبة من الله إن لم يجد تحرير رقبة.

يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَدَّقُوا فَإِن كَانَ مِنَ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُّتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا

وكذلك بالنسبة للرجل الذي ظاهر امرأته وقال لها أنك حرام على كظهر أمي فإذا لم يجد تحرير رقبة فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل أن يمسه امرأته، فإن لم يستطع فعليه إطعام ستين مسكيناً.

يقول الله تعالى في سورة المجادلة:

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ١ ﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِمَّنِ نَسَايَهُمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ٢ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّ ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ٣ ﴾

(المجادلة ٠٠١-٠٠٣)

وكذلك في المحرم الذي يقتل صيد البر متعمدا فإذا لم يجد مثل ما قتل من النعم أو كفارة فعليه بالصيام -

يقول الله تعالى: ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكِ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهُ ١ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ٢ ﴾

(المائدة ٠٩٥)

أما بالنسبة لكفارة اليمين فمن لم يجد إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة عليه حينئذ بالصيام ثلاثة أيام.

يقول الله تعالى:

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّعْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرتُهَا إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١ ﴾

(المائدة ٠٨٩)

وهذا الصوم يسمى (صوم الكفارات) وهو صوم مفروض كصوم رمضان وصوم النذر.

١. الأهلة:

يقول الرسول - عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: (صُومُوا لِرُؤْيَيْهِ وَأَفْطَرُوا لِرُؤْيَيْهِ فَإِنْ عُبِيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ) (رواه البخاري) متفق عليه.

والشهادة المعتمدة شرعا والتي تكفي في رؤية هلال رمضان هي شهادة إنسان مسلم عدل ولو كان امرأة وإذا رأى أهل بلد هلال رمضان لزم جميع البلاد الإسلامية الصيام مع أهل البلد الذين رأوه فيصوم الكويتي برؤية المصري للهلال وبالعكس وذلك لعموم الحديث (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته). وهذا ما ذهب إليه جمهور العلماء ومنهم جمهور الأحناف ومالك وأحمد والليث بن سعد. وليت المسلمين يعملوا بذلك فيتفقوا في الصيام والإفطار فيكون يوم عيد فطرهم جميعا واحد كما هو الحال في عيد الأضحى المبارك.

ملحوظة: - يتقيد المسلم ببداية ونهاية شهر رمضان تبعا لمكان تواجدته فإذا كان السعودي في مصر في نهاية شعبان صام مع أهل مصر وان عاد إلى السعودية في آخر رمضان يتقيد بما يفعله أهل السعودية.

٢. المرأة لا تصوم في أيام حيضها:

- يجب عليها قضاء هذه الأيام بعد رمضان ويكون قضاءها مقدم على ما تريد أن تتنفل بصيامه فلا تقبل النوافل حتى تستوفى الفرائض.
- النية ركن من أركان الصوم وتجب قبل آذان الفجر، ففي هذا الوقت إن كانت المرأة طاهرة نوت الصوم وإن كانت حائضا نوت الإفطار.

٣. تعجيل الإفطار وتأخير السحور:

- أحب الصائمين إلى الله أعجلهم فطرا ويستحب أن يفطر الصائم على تمرات وإن لم يجد حسا حسوات من الماء. كما يشرع له أن يأكل أكلة السحور ويؤخرها ففي أكلة السحور بركة لا يجب على المسلم أن يتركها. إذ أن أكلة السحر هي ما يفرق بين صيام المسلمين وصيام أهل الكتاب.

٤. بعض المسائل الفقهية في الصوم:

- يحرم على المرأة التي يحتاجها زوجها وهو حاضر معها أن تتطوع بصيام بغير إذن.
- إذا أصبح المسلم جنباً في نهار رمضان فلا يؤثر ذلك على صومه، فصومه صحيح وعليه أن يغتسل ليصلي.
- يكره المبالغة في المضمضة والاستنشاق وتقبيل الزوج والتفكير الجنسي للصائم.
- يجب القضاء والكفارة لكل من أفطر عمداً بأن جامع في نهار رمضان أو أكل أو شرب عمداً أما ما سوى ذلك فيجب فيه القضاء فقط.
- المسافر مخير في أن يفطر أو أن يصوم والصوم على الإطلاق أفضل ما دام لم يترتب عليه تعسير على الصائم فالله يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر.

- الاعتكاف مشروع ومسنون في العشر الأواخر من رمضان ويعنى المكث في مسجد الجماعة بنية التعبد لله تعالى مع عقد النية لذلك وكان يعتكف النبي العشر الأواخر من رمضان حتى قبضه الله عز وجل.
- أقل مدة للاعتكاف للرجل والمرأة لحظة ويشترط له الإسلام والتميز والطهارة من الحدث الأكبر ويفسد بالخروج من المسجد لغير حاجة ضرورية أو لنزول الحيض للمرأة.

كان الرسول - صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أيقظ أهله واجتهد في العبادة تحرياً لليلة القدر التي هي في هذه العشر أو في لياليها الوتر أو في ليلة السابع والعشرين وأمرتها أن تطلع الشمس في صبيحة يومها ببضاء نقية.

ومن علم ليلة القدر فليدعو (اللهم انك عفو كريم تحب العفو فاعفو عني)

وسميت ليلة القدر بليلة القدر لقدرها العظيم وقيل لأن فيها يفرق كل أمر حكيم.

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ ﴾

(الدخان ٠٠٣-٠٠٦)

عن سلمان الفارسي قال: (خطبنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان.

قال: أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليلة تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر.. والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة وشهر يزداد في رزق المؤمن فيه، من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه، وعتق رقبة من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء. قالوا يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: يعطى الله هذا الثواب من أفطر صائماً على تمر، أو على شربة ماء، أو مذقة لبن (لبن مخلوط) وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، من خفف فيه عن مملوكه غفر الله له، وأعتقه من النار، فاستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غناء بكم عنهما، فأما الخصلتان التي ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه، وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما: فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار، ومن سقى صائماً سقاه الله من حوضه شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة).

أ - معنى الصلاة:

يقول الله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ أَلَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ (هود ١١٤)

يقول الله تعالى: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى عَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (الإسراء ٠٧٨)

- الصلاة مفردة صلوة وهى الصلة والرباط الروحي الذي يصل الروح المؤمنة ببارئها جل وعلا ووسيلة ذكرها لله.

فيقول الله تعالى: ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ (طه ٠١٤)

أي لتذكرني.

- الصلاة نور يضيء روح المؤمن ويزكيها إذ أنها وقت الصلاة تتصل بالنور الواحد الأحد فمن أراد أن يكلم الله فليصلي ومن أراد أن يكلمه الله فليقرأ القرآن. ولذلك جاء في الحديث القدسي: قال رسول الله ﷺ (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نَصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى حَمْدِي عَبْدِي وَإِذَا قَالَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْتَنِي عَبْدِي وَإِذَا قَالَ مَالِكُ يَوْمَ الدِّينِ قَالَ عَبْدِي وَقَالَ مَرَّةً فَوْضَ إِلَيَّ عَبْدِي فَإِذَا قَالَ إِنَّكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ قَالَ هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ قَالَ هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ) (رواه مسلم)

الصلاة ضرورة لحياة الروح كالغذاء بالنسبة للجسد يفسد بدونه ويهلك (الروح مرادف للقلب مرادف للعقل). فبغير الصلاة يمرض قلب الإنسان ثم يعمى ثم يفقد قدرة التعقل ثم يموت ثم يقتلع القلب من الإنسان.

فيقول الله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (البقرة ٠١٠)

فيقول الله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحج ٠٤٦)

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَانُوا لَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ الْأَعْرَافِ ﴾ (الأعراف ١٧٩)

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (ق ٠٣٧)

ج - فرضية الصلاة:

- الصلاة ركن من أركان الإسلام وهى عماد الدين فمن أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين. وهى أول ما يحاسب المرء عليه يوم القيامة فان صلحت فقد أفلح وان فسدت فقد خاب وخسر تاركها عند جمهور العلماء مرتد عن ملة الإسلام سفاح زواجه من المسلمة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد وأصحاب السنن عن بريده قال: قال رسول الله ﷺ: (الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ) (رواه الترمذي) ولقد توعد الله تاركها ووعد به مكان في جهنم يسمى سقر.

قال الله تعالى: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۚ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۚ ﴾

(المدثر ٠٤٢-٠٤٣)

ولقد توعد الله الذي يسهو وينسى صلاته بمكان في جهنم يسمى وادي الويل.

قال الله تعالى: ﴿ قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۖ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۚ ﴾

(الماعون ٠٠٤-٠٠٥)

- ذهب بعض العلماء إلى تفسيق تارك الصلاة جهلا ولكن بشرط ألا يستمر في تركها.

ج - ثواب الصلاة:

١. مغفرة الذنوب:

قال رسول الله ﷺ: (مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ تَخَضَّرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يَأْتِ كَبِيرَةً وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ) (رواه مسلم)

عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيَسْبِغُ الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُومُ فِي صَلَاتِهِ فَيَعْلَمُ مَا يَقُولُ إِلَّا إِنْ قُتِلَ (انصرف) وَهُوَ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) (رواه مسلم)

قال رسول الله ﷺ: (خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَحْسَنِ وُضُوءٍ وَصَلَاهُنَّ لَوْفِيَهُنَّ وَأَتَمَّ رُكُوعُهُنَّ وَخُشُوعُهُنَّ كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ وَإِنْ شَاءَ)

(عَدْبَةُ) (رواه ابى داود)

وقال رسول الله ﷺ: (الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ). (رواه مسلم)

٢. صلاة الملائكة ودمائهم للمسلم:

- عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُصَغْفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوْقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا زُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَخُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ وَلَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَهَرَ الصَّلَاةَ) (رواه البخاري)

٣. دلالة على الإسلام والإيمان:

- قال رسول الله ﷺ: (إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا يَعْمرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) (رواه الترمذي)
- يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَئِغُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ۝۳۱ ﴾

(إبراهيم ٠٣١)

أول ما كلم الله موسى عليه السلام على جبل الطور قال له:

قال الله تعالى: ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ۝۱۴ ﴾

(طه ٠١٤)

- جعل الله أول مظاهر الإيمان بالله هو عبادته والتي تتمثل في إقامة الصلاة لذكره جل وعلا.
- والآيات التي تجعل إقامة الصلاة صفة لازمة للمؤمنين كثيرة وأعظم من أن تحصر .

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ ۝۱ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝۲ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝۳ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝۴ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝۵ ﴾

(البقرة ٠٠١-٠٠٥)

د - أمر الله بالصلاة في القرآن جاء بوجوه متعددة.

جاء أمر الله بالصلاة للمسلمين في القرآن بعدة أساليب.

- إقامة الصلاة:

يقول الله تعالى: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۝۷۸ ﴾

(الحج ٠٧٨)

- الخشوع في الصلاة:

يقول الله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝۱ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝۲ ﴾

(المؤمنون ٠٠١-٠٠٢)

- المحافظة على الصلوات:

يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ ١

(المؤمنون ٠٠٩)

- المداومة على الصلاة:

يقول الله تعالى: ﴿*إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ١١ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ١٢ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ١٣ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ١٤ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ١٥ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ١٦ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ١٧ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَ الَّذِينَ ١٨ وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ١٩ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ٢٠ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٢١ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٢٢ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٢٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ٢٤ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ٢٥ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ٢٦ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ٢٧﴾

(المعارج ٠١٩-٠٣٥)

وكذلك فقد أمر الله المسلم بخمس أوامر فيما يخص الصلاة:

١. أن يقيم الصلاة:

ومعنى إقامة صلة مع الله أنها لا تنقطع عن المسلم ما دامت روحه في جسده لا تسقط عنه لا في قتال ولا في مرض. فالمسلم يبني بكل ركعة يركعها لله لبنة في جدار صلته بالله عز وجل يعلو البناء ويعلو فيزداد الإيمان ويزداد المؤمن قربا من الله ومن جنته وبعدا عن النار والشهوات. فتسمو الروح وترتقى وتتزكى من نفس أماره بالسوء إلى نفس لوامة إلى نفس مطمئنة. ولذلك نلاحظ أنه لم يأت أبدا أمر في القرآن الكريم بالصلاة المجردة (صلوا) إذ أن الصلاة إن لم تصل العبد بخالقه وتخلق صلة بينهما فلا قيمة لها. والشيطان يجتهد ليصد المسلم عن الصلاة قدر جهده ليقطع صلته بربه حتى يفتخره بوساوسه ويغويه بعيدا عن الله.

فيقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ

وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ ١

(المائدة ٠٩١)

٢. أن يحافظ على الصلاة:

ومعنى المداومة هو عدم الانقطاع في الصلاة أبدا فالاستمرارية غاية في الأهمية، فإن كان المسلم في مرض أو في سفر أخذ برخص قصر الصلاة أو بالصلاة جالسا أو نائما ولكن لا تسقط عنه الصلاة حتى وهو في سكرات الموت ولقد أوصى النبي - صلى الله عليه وسلم وهو في سكرات الموت (الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ اتَّقُوا اللَّهَ فِيْمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ).

(رواه أبي داود)

قال الله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا

﴿٣١﴾

(مريم ٠٣١)

وكان الرسول - صلى الله عليه وسلم يؤتى به وهو يهادي بين الرجلين حتى يقام في الصف حتى لا يتخلف عن الصلاة. وكان يأمر أهله بالصلاة ليل نهار كما أمر الله عز وجل في كتابه.

قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ۝١٣٢﴾

(طه ١٣٢)

فالاصطبار على الصلاة أمر غاية في الأهمية حتى تكون من الذين أقاموا الصلاة وبنوا بها صلة مع خالقهم جل وعلا وكذلك عليك أن تأمر من تعمل من أهل بيتك وأولادك ولا ينتهي اصطبارك ومداومتك أمر أهلك بالصلاة.

قال الله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ۝١٤٠﴾

(إبراهيم ١٤٠)

- ومدح الله عز وجل سيدنا إسماعيل وجعله مرضيا لأنه كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة.

يقول الله تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۝١٤١﴾

(مريم ١٤١)

- الانقطاع عن الصلاة يفسد الروح ويذهب الإيمان إذ أنه انقطاع الروح عن بارئها كما يحرم الجسد من الهواء والطعام والشراب.

- لذلك فالصلاة من أساسيات حياة المسلم وكل شئ يدور حولها.

٣. أن يحافظ على صلواته: (على صلواته يحافظون)

- معنى المحافظة على الصلوات هو أدائها في أوقاتها كل صلاة في وقتها وعدم تضييع أية فريضة من الصلوات الخمس فلا يكون مهملا مثلا لصلاة الفجر فيصلبها يوميا قضاء بعد شروق الشمس بحجة أنه نائم في هذا الوقت ولكن عليه أن يستيقظ لأدائها.

سأل النبي - صلى الله عليه وسلم عن أفضل الأعمال، فقال:

(سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ قَالَ الصَّلَاةُ عَلَى وَفْيِهَا قَالَ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ ثُمَّ يُرَى الْوَالِدَيْنِ قَالَ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِي بَعْثٌ وَلَوْ اسْتَوْدَعْتُهُ لَزَادَنِي). (رواه البخاري)

ويقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ فَيَمَّا وَفُوعًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ

إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا ۝١٣٣﴾

(النساء ١٠٣)

٤. أن يحافظ على صلاته: (على صلاته يحافظون)

معنى المحافظة على الصلاة هو إتقان وضوئها وشروطها من طهارة الجسد والملبس والمكان وإتمام سننها وأركانها متأسيا في ذلك بصلاة رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم.

يقول الله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ۝٢٣٨﴾

(البقرة ٢٣٨)

فقيل أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر أو صلاة الفجر ففيها يتعاقب ملائكة الليل والنهار ثم يعرجوا بصحفهم إلى ربهم ويقولون له: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون.

يقول الله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٢٣٩﴾

(الأنعام ٩٢)

٥. أن يخشع في كل صلاة:

- يجب أن يعلم المصلي أن ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها ولذلك يجب ألا ينصرف ذهنه عن كل ما يقرأ أو يقرأ عليه في الصلاة بل يستحضر عين الله وهي ترقبه ويلقى ببصره موضع سجوده ويسكن جوارحه فيطمئن في القيام والركوع ويطيل في السجود فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وليكثر من الأدعية الواردة عن النبي - صلى الله عليه وسلم أثناء الصلاة وإذا غلبه الشيطان فشغل عن الصلاة لبعض الوقت فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم وليعد إلى خشوعه. وليت المؤمن يقرأ من القرآن الكريم ما يحفظ فيطيل في قراءته وبخاصة حديثي الحفظ ليثبت ما يحفظوه من كتاب الله وليزداد تركيزهم في الصلاة.
- حتى يتحقق للمسلم الخشوع في صلاته فيجب عليه أن يسبغ الوضوء ولا يأتي إلى الصلاة وهو يدافع إحدى الخبثين (البول أو البراز) ولا يأتي إلى الصلاة إلا بعد ما صفى ذهنه من كل ما يشغله. ويختار مكانا بعيدا عن الضوضاء وعن الناس حتى يستطيع أن يركز في كل ما يقرأه في صلاته. ولا مانع من أن ينشر العطر في مكان صلاته ويختار سجاده جميلة مريحة ليصلي عليها بدلا من أن يصلي في مكان متسخ فتتسخ ملابسه. جميع هذه التفاصيل تساعد المسلم في أن يخشع في صلاته. ويكفي للمسلم أن يعلم أن عين ملك الملوك من هو في السماء اله وفي الأرض اله ترقبه وينصت إليه وهو مصلي فأروا ربكم من أنفسكم خيرا وقد تكون هذه آخر صلاة تصلحها في الدنيا فأتقنها كل الإتقان فربما هي خواتيم عملك.

يقول الله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ۝ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝﴾

(البقرة ٠٤٥-٠٤٦)

وصف الله الخاشعين بقوة إيمانهم بالحساب وبالرجوع إلى الله وهذا هو سر خشوعهم وسر مسارعتهم للصلاة ومدوامتهم عليها، أما المسلم الذي ضعف ذكره ليوم الحساب وقل إيمانه به فانه ليس من الخاشعين ويصعب عليه أداء الصلاة والخشوع فيها فهي كبيرة في حقه وان كانت محبة لكل خاشع. وقد وصف الله المنافقين.

بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝﴾

(النساء ١٤٢)

ولذلك كان إخلاص الإيمان لله وبالיום الآخر هو سر من أسرار الخشوع وعدم التكاسل في الصلوات.

ملحوظة:-

كل مسلم أو مسلمة فاتته صلاة فعليه قضاءها فان العبد يسأل يوم القيامة عن عدد الصلوات وعن وقت أدائها وعن الخشوع فيها فان قصر المسلم فلم يصلحها في وقتها فأقل القليل أن يصلحها في غير وقتها ويجتهد في أن يكون خاشعا فيها.

جاءت صفات المصلين في موضع واحد في كتاب الله في سورة المعارج.

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ۝ ﴾

(المعارج ١٩-٣٥)

ومن وحى هذه الآيات يتبين لنا صفات المصلين الثمانية:

١. لا يجزعوا من الشر الذي يصيبهم في دنياهم.
٢. لا يمتنعوا الخير الذي وصلهم من الله ففي أموالهم نصيب وحق لكل سائل ومحروم.
٣. يداومون على الصلاة ولا يقطعوها ويحافظوا على كل صلاة.
٤. يؤمنون ويصدقون كل التصديق بيوم الحساب.
٥. يخافون عذاب الله.
٦. حافظون لفروجهم ولا يأتون إلا أهليهم فلا يزنون.
٧. يراعون ويحافظون على أداء كل أمانة والوفاء بكل عهد.
٨. لا يتأخرون في الإدلاء بشهاداتهم في أمر ويؤدونها بكل صدق وأمانة.

فان أردت أن تكون من المصلين فعليك بهذه الصفات فليس كل مصلّي بمصلي فمن الناس من ترد عليهم صلاتهم وتضرب بها وجوههم في قبورهم وتقول صلاتهم لهم: (ضيعك الله كما ضيعتني).

و - ما تتميز به الصلاة عن بقية أركان الإسلام :

١. الصلاة هي الفريضة الأولى في الإسلام وهي الوحيدة التي استدعى لها الرسول صلى الله عليه وسلم في ليلة الإسراء والمعراج من ربه جل وعلا ولم يأتى أمر الصلاة من خلال جبريل عليه السلام إلا أن الله أراد أن يفرضها عند سدره المنتهى يوحي بها إلي نبيه محمد صلى الله عليه وسلم مباشرة بغير وسيط وهذه المعجزة بإسراء الرسول الكريم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وبمعرجه من المسجد الأقصى إلى سدره المنتهى لم تكن إلا لفرض الصلاة وتخفيفها من خمسين صلاة إلى خمس صلوات في اليوم والليلة وبأجر خمسين صلاة. وهذا يدل على أهميتها وحاجة المسلم لها خمسون مرة في اليوم والليلة بمعدل صلاة كل تسعة وعشرون دقيقة وهي بذلك أكبر معدل عبادة فرضها الله على المسلم ومن رحمة علينا أنها خففت إلى خمس في الأداء فقط ولكن في الأثر والثواب فهي تساوي خمسون صلاة. وهنا يذكر أن معدل أداء الصيام والزكاة مرة كل عام والحج مرة في العمر وكما أن الجسد لا يستطيع أن يعيش إذا منع عنه الأكسجين فكذلك روح المؤمن لا يمكن أن تحيا إذا لم تلتق بخالقها في الصلاة خمس مرات في اليوم والليلة.

٢. الصلاة أول ما يحاسب عليه المرء ويسأل عنه يوم القيامة.

يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ ﴿١٧٠﴾

(الأعراف ١٧٠)

فجعل الله التمسك بالقرآن وإقامة الصلاة هما صفتا المصلحين فلا يكون الإنسان مصلحا حتى يكون صالحا ولا يكون صالحا حتى يكون مصليا.

٣. الصلاة هي أولى الخيرات التي يفعلها الإنسان قبل كل شيء.

يقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا

عَبِيدِينَ﴾ ﴿٧٣﴾

(الأنبياء ٧٣)

٤. الصلاة هي أفضل موضع يقرأ فيه القرآن.

يقول الله تعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ

أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ ﴿٤٥﴾

(العنكبوت ٤٥)

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَبُورَ﴾ ﴿١٩﴾

(فاطر ٢٩)

٥. الصلاة هي أول مظاهر الذكر.

يقول الله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ

الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ ﴿٣٧﴾

(النور ٣٧)

٦. أمر قرآني للنساء بالصلاة (أقمن الصلاة)

يقول الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ﴿٣٣﴾

(الأحزاب ٣٣)

٧. أول عمل يفعله التائب.

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَيْكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَظْهَرٌ

فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٢٠﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَيْكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ

عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٠﴾

(المجادلة ١١٢-١١٣)

٨. الصلاة من الوسائل التي تعين الإنسان على الصبر.

يقول الله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ ﴿١٥٠﴾

(البقرة ٤٥)

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿١٥١﴾

(البقرة ١٥٣)

٩. الصلاة هي أول عمل بعد الإيمان ونطق الشهادة .

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ۝١٨ ﴾

(التوبة ١٨)

وهي أهم ركن بعد الشهادة التي تمثل الإيمان وبالتالي كانت الصلاة أفضل الأعمال الصالحة على الإطلاق إذ أنها مكملته ودالة على صدق الإيمان المنطوق في الشهادة.

ز - الصلاة والإسراء والمعراج والصراط المستقيم:

يقول الله تعالى: ﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ۚ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ ۚ لِنُرِيَهُ مِنَ ءَايَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١ ﴾

(الإسراء ١)

إن المتدبر لرحلة النبي - محمد صلى الله عليه وسلم في معجزة الإسراء والمعراج يلاحظ أنها تجسد لطريق الله بمرحلتيه: إلى الصراط المستقيم - على الصراط المستقيم. أسرى بالنبي - صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى حيث التقى بجميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام وصلى بهم إماما فهم جميعا مسلمين. يقول الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝٦٧ ﴾

(آل عمران ٦٧)

فإبراهيم - عليه السلام هو أبو الأنبياء وجاءت الآيات العديدة تؤكد أن جميع الأنبياء كانوا مسلمين كيوسف وعيسى وموسى وسليمان وداود . . . عليهم الصلاة والسلام.

سيدنا يوسف: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۝١٢٠ ﴾

(يوسف ١٢٠)

سيدنا يعقوب: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ ۝١٠٨ ﴾

(البقرة ١٢٨)

سيدنا عيسى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرُسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ۝١١١ ﴾

(المائدة ١١١)

سيدنا موسى: ﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ ۖ بَغْيًا وَعَدُوًّا ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ ۚ بَنُوا إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝٩٠ ﴾

(يونس ٩٠)

(قول فرعون وهو يغرق). ويقول الله تعالى مبينا أن دينه هو الإسلام ولا دين غيره منذ أن خلق الله الخلق.

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (١١)

(آل عمران ٠١٩)

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٨٥)

(آل عمران ٠٨٥)

﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٢٥)

(الأنعام ١٢٥)

وقال الله تعالى: ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٣٢)

(البقرة ١٣٢)

وهكذا يتضح لنا كيف أن الصلاة التي فرضت علينا هي في حقيقتها أمر من الملك أن ندعوه طالبين الهداية حتى نصل إليه كما فعل برسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم في الإسراء والمعراج ولذلك قالوا أن الصلاة هي معراج المؤمن تأكيدا لإسلامه ولذلك يقول الشهادة في التشهد وتأكيدا على رغبة الروح في القرب إلى خالقها فهي تدعوه في كل ركعة ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (٦)

(الفاتحة ٠٠٦)

فتتهدي وترتقى ويكلمها البارئ جل وعلا ويرد عليها كما سبق أن أوضحنا تشابه بذلك ما فعل مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم في ليلة المعراج عندما كلمه ربه عز وجل عند سدره المنتهى.

ج- أنواع الصلوات:

١. الصلوات المفروضة:

هي الصلوات المفروضة على كل مسلم ومسلمة إذا كانا بالغين عاقلين وعلى ولي أمر الطفل أن يأمره بالصلاة لسبع ليعتادها منذ الصغر. قال رسول الله ﷺ: (مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ) (رواه أبي داود) . وهذه الصلوات إما:

(أ) فرض عين على كل مسلم ومسلمة مثل الصلوات الخمس.

(ب) فرض كفاية على المسلمين إذا قام بها البعض سقط الحساب عن الباقيين وذلك مثل صلاة الجنازة.

٢. الصلوات المسنونة:

هي الصلوات التي سنّها لنا النبي - صلى الله عليه وسلم يثاب فاعلها ولا يأثم تاركها ومنها:

قال رسول الله ﷺ: (مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّيَ لِلَّهِ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ إِلَّا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ أَوْ إِلَّا بَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ) (رواه مسلم)

وصلاة الرجال للفرائض في المسجد أفضل أما السنن ففي البيت أفضل. أما النساء فالصلاة في البيت في حقهن أفضل سواء أكانت فرضاً أم نفلاً.

- وهناك صلوات أخرى لأشياء بعينها:-

١. صلاة الاستخارة إذا احتار المؤمن بين أمرين يستخير الله أي الأمرين يأتي وأيهما يترك.
 ٢. صلاة الحاجة إذا أراد المؤمن قضاء حاجة بعينها.
- وهاتان الصلاتان ركعتان من غير الفريضة في أي وقت وبعد الصلاة يدعو المسلم سواء بدعاء الاستخارة أو بدعاء قضاء الحاجة.

(١) دعاء الاستخارة:

(اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدر بك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فأنت تعلم ولا أعلم وأنت تقدر ولا أقدر سبحانه علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن في الأمر (وتذكر الأمر) خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فقمه لي ويسره لي وبارك لي فيه وإن كنت تعلم أن في الأمر (وتذكر الأمر) شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيثما كان ثم رضني به) ويجب أن يدخل المسلم في الاستخارة وقد تجرد من الاختيار وترك الاختيار لله وتأتيه الإجابة بأحد ثلاثة صور:-

- أن ينشرح صدره لشيء أو أن ينقبض.
- أن يحدث تيسير أو تعسير لأحد الأمرين.
- أن يرى رؤية تدله على الاختيار.

(٢) دعاء قضاء الحاجة:

(لا اله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم والفوز بالجنة والنجاة من النار. اللهم لا تجعل لي ذنباً إلا غفرته ولا هما إلا فرجته ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضا ولنا فيها صلاح إلا قضيتها ويسرتها برحمتك يا أرحم الراحمين).

ونلاحظ أن في هذا الدعاء لم يذكر المسلم حاجته خلاف لدعاء الاستخارة الذي يذكر في خلاله حاجته وهذه لفته مهمة إذ أن المسلم قد يدعو بالشر.

ويقول الله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ۝﴾

(الإسراء ١١٠)

ولذلك وجب على المسلم عندما يدعو بشيء أن يطلبه من الله إن كان ما يطلب فيه خيري دينه ودنياه أما إن كان ما يدعو به يغضب الله ويفسد دينه فهو لا يريد. ولذلك نرى صيغة الدعاء اشترطت (لك فيها رضا ولنا فيها صلاح). فليثق الداعي في حكمة الله واختياره له فهو الأقدر أن يختار لك الخير وخير الدعاء في هذا المقام (اللهم خير لي واختر لي، واختر لي الخير حيثما كان ثم رضني به).

(٣) صلاة الجماعة:

صلاة الجماعة من السنن وفي الصحيحين أنها تفضل على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة . يمكن للمسلم أن يصلي الجماعة مع أخيه أو مع أهل بيته فتتم الجماعة باثنين والأفضل هو صلاتها في المسجد بالنسبة للرجال فهي في حقهم على رأى جمهور الفقهاء أنها سنة مؤكدة وفرض كفاية. وكلما زادت الخطوات إلى المساجد وكلما كثر عدد الجماعة كلما زاد الأجر ولا يجب على المسلم أن يهرول الي الصلاة بل يمشى في سكينه فهو في صلاة منذ خروجه من بيته فهو في صلاة ما انتظر الصلاة.

٤) صلاة الجمعة:

- يوم الجمعة خير يوم طلعت فيه الشمس فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة وهو أعظم عند الله من يوم الفطر ويوم الأضحى وفيه ساعة لا يسأل العبد ربه فيها شيئا إلا آتاه الله إياه ما لم يسأل حراما ورد أن هذه الساعة بعد صلاة العصر.

قال رسول الله ﷺ: ("إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِيهِ قُبِضَ وَفِيهِ النَّفْخَةُ وَفِيهِ الصَّعْقَةُ فَكثِّروا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ أَيُّ يَقُولُونَ قَدْ بَلَيْتَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ حَرَّمَ عَلَيَّ الْأَرْضَ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)"

(رواه النسائي)

- يستحب للمسلم أن يغتسل قبل خروجه للجمعة ويمس من طيب بيته ويأتي مبكرا إلى الصلاة.
- الجمعة فرض عين على كل مسلم رجل حر مقيم قادر على السعي إليها ولا تجب على المرأة أو المسافر أو المريض وهؤلاء يصلونها ظهرا أربع ركعات.

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٠﴾﴾

(الجمعة ٠٠٩)

٥) صلاة الجنازة:

- هي فرض كفاية على المسلمين لكل من مات من المسلمين ويجوز أن تصلى بغير جماعة لا يشترط بها وقت معين وأركانها:-

١. النية ٤. الدعاء للميت ٧. الفاتحة

٢. القيام لمن قدر عليه ٥. الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم

٣. عدد أربع تكبيرات ٦. السلام

- صلاة الجنازة هي صلاة سرية سواء صليت نهارا أو ليلا ولكن تكرارها على الميت جائز وكذلك يجوز صلاة الغائب على من غابت جثته من الموتى.
- يستحب لها أن يجعل الإمام المصلين على الجنازة ٣ صفوف وهي أربع تكبيرات بعد التكبيرة الأولى يقرأ فاتحة الكتاب وبعد التكبيرة الثانية يصلى على النبي - صلى الله عليه وسلم بالنصف الثاني من التشهد وبعد التكبيرة الثالثة يدعو للميت وبعد التكبيرة الرابعة يدعو لنفسه وللمسلمين ثم يسلم عن يمينه ويساره وهو واقف.

٦) صلاة الليل:

- هي الصلوات التي يصلّيها المسلم من بعد صلاة العشاء إلى أذان الفجر وهي صلوات صلاها النبي صلى الله عليه وسلم ثمان ركعات كان يطيل فيها القراءة ويختم بصلاة الوتر ركعة أو ثلاثة ويشترع فيها القنوت (الدعاء) قبل الركوع وبعد القراءة أو بعد الرفع من الركوع في صلاة الوتر وعلى المسلم أن يراعى أنه لا وتران في ليلة صلاة الليل هي التراويح في رمضان وصلاة التراويح تكون في جماعة ويمكن صلاتها في المساجد خلاف صلاة الليل في غير رمضان.

قال رسول الله ﷺ: (أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ) (رواه

الترمذي)

وقال الله تعالى: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (١٦)

(السجدة ١٦)

- صلاة الليل هي أفضل الصلوات على الإطلاق بعد المكتوبات ويستحب أن يكون للمسلم حظ فيها.

لن- الطهارة الحسية والطهارة المعنوية:

يقول الله تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١)

(المائدة ٠٠٦)

قال رسول الله ﷺ: (مَثَلُ الصَّلَاةِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمَرٍ عَلَى بَابٍ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلُّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ قَالَ قَالَ الْحَسَنُ وَمَا يَبْقَى ذَلِكَ مِنْ

الدَّرَنِ) (رواه مسلم)

قالوا: لا يبقى ذلك من درنه شيئا يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ: (أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلُّ يَوْمٍ خَمْسَ

مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرْنِهِ شَيْءٌ قَالُوا لَا يَبْقَى مِنْ دَرْنِهِ شَيْءٌ قَالَ فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَاةِ الْخَمْسِ يَنْحُو اللَّهُ بَيْنَ الْخَطَايَا). (رواه مسلم).

ويقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم عن الوضوء: (إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ أَوْ الْمُؤْمِنُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بَعَيْنُهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ) . (رواه مسلم)

من الآيات السابقة والأحاديث يتبين لنا أنه توجد علاقة وثيقة بين الطهارة الجسدية الحسية والطهارة المعنوية من الذنوب والخطايا وكان المسلم الذي يحرص على نظافة بدنه هو حريص على نظافة روحه.

ولذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ

يَظْهَرَنَّ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٣٣)

(البقرة ٢٢٢)

فجمع بين التوبة وهو التطهر المعنوي من الذنوب والمتطهرين وهو التطهر الحسي من النجاسات الحسية.

قال رسول الله ﷺ: (لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا وُضُوءَ لَهُ وَلَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ) (رواه ابي داود)

قال رسول الله ﷺ: (الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ). (رواه مسلم)

ولعل الله شرع الوضوء لكل من أراد أن يلقي الله في الصلاة ليطهر بذلك جسده فتطهر معه جوارحه من جميع الذنوب والخطايا ودخل على الله في الصلاة وهو طاهر الجسد والروح نقياً من الذنوب والخطايا. وقد صح عنه قال رسول الله ﷺ: (مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ فُتِيحتْ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ). (رواه الترميذي)

قال رسول الله ﷺ (أَلَا أُدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِبْسَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى

الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ). (رواه مسلم)

ومن هنا كانت أهمية إيساغ الوضوء وإتقانه إذ أنه يتعلق به مغفرة الذنوب ولأن الطهور شرط الإيمان فلا يكون المؤمن مؤمناً إذا لم يكن نظيفاً طاهراً في نفسه وفي جسده وفي ثوبه وفي مكان تواجدته والله أثبت حبه للذين يحبون أن يتطهروا أي يحبوا النظافة والطهر فمن أحب الطهر الحسي أحب الطهر المعنوي ومن أبى أن يظل على جسده نجاسة لا يتحمل أن يؤخر توبة أو يبيت وقد دنس روحه بمعصية لربه جل وعلا.

يقول الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ

يَتَّخِذُوا لِلَّهِ حُجُبَ الْمُطَهَّرِينَ ۖ﴾

(التوبة ١٠٨)

ولقد بين القرآن الكريم أنه كما يغسل الماء الجسد فيطهره فكذلك الصدقة التي تطهر القلوب.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰتِكُمْ صَدَقَةٌ ذٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرٌ

فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝١٢﴾

(المجادلة ٠١٢)

يقول الله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ الْغَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجَزَ

الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ۝١١﴾

(الأنفال ٠١١)

يقول الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلٰوتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١٣﴾

(التوبة ١٠٣)

إذا فمن عصى الله وأراد أن يدخل عليه في صلاة فعليه أن يتصدق وأن يغتسل ليغسل قلبه وصحيفته من الذنوب والخطايا فيبقى الله طاهراً.

ولقد أكد القرآن الكريم على أهمية تطهير مكان الصلاة من كل نجاسة وظهر ذلك في أمر الله لسيدنا إبراهيم عندما بنى البيت فأمره أن يطهر البيت حسياً من النجاسات ومعنوياً من أية معصية وأية تماثيل أو أوثان.

فقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمَنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرٰهٖمَ مُصَلًّوٓنَ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرٰهٖمَ وَإِسْمٰعٖلَ

أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّٰفِئِينَ وَالْعٰكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۝١٢٥﴾

(البقرة ١٢٥)

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرٰهٖمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّٰفِئِينَ وَالْقٰفِئِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ

(الحج ٠٢٦)

﴿٢٦﴾

كما أكد القرآن على أهمية طهارة ثوب المؤمن فقال الله تعالى لرسوله الكريم – صلى الله عليه وسلم:

﴿وَيَبَاكَ فَطَهِّرْ ۝١ وَالرَّجَزَ فَاَهْجُرْ ۝٢﴾

(المدثر ٠٠٤-٠٠٥)

وجاءت أهمية طهارة الجسد في حديث القرآن عن المرأة الحائض عندما ينتهي حيضها. قال الله تعالى:

﴿وَسَّأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾

(البقرة ٢٢٢)

فجاء النهي للرجال أن يقربوا نساءهن حتى يطهرن من دم الحيض ويتوقف فقال **(حتى يطهرن)** ثم أتبعها بقوله **(فإذا تطهرن)** ولم يقل **(فإذا طهرن)** وهذا يعني أن الرجل لا يقرب أهله فقط عندما ينقطع الدم بل ينتظر حتى تغتسل وتتطهر ثم بعد ذلك يأتيها من حيث أمره الله. ولذلك قال **(فإذا تطهرن)** ثم بين أن الله يحب التوابين والمتطهرين أي يجب على المسلم أن يكون جامعا لطهارة القلب من المعاصي وكذلك طهارة الجسد من النجاسات الحسية حتى يفوز بحب الله. ومن هنا تظهر العلاقة الوثيقة والخفية بين الطهارة الحسية والطهارة المعنوية. ففي الآية السابقة استخدم القرآن (التطهر) للطهارة الحسية وفي الآية التالية يستخدمها للطهارة المعنوية. فيقول الله تعالى على لسان قوم لوط الذين عابوا على لوط وأهله أنهم لا يأتون الرجال مثلهم:

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

(النمل ٥٦)

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبْظٍ لَّيِّنٍ إِنَّهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسْنِينَ لَّحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيِّ فَيَسْتَجِىءُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَجِىءُ مِنْ الْخَبِيثِ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٧﴾﴾

(الأحزاب ٥٣)

يتضح لنا من حديث القرآن أن الطهارة مرحلتان: -

مرحلة الطهر وهو انتهاء النجاسة وتوقف المعصية وهي مرحلة التخلي "ثم مرحلة التطهر وهو التجميل بالطهارة الحسية وتزيين النفس بالتوبة وهي مرحلة التحلي". فلا يكفي المسلم أن يزيل النجاسة من على ثوبه أو على جسده ولكن يجب عليه بعد ذلك أن يتوضأ ويغتسل والمرتكب للمعصية لا تكفيه الكف عن المعصية ولكن يجب عليه أن يتوب منها فيصلح ما أفسد إن كانت معصية فيها ظلم للغير ويعيد لهم حقوقهم أو يتبع السيئة الحسنة إن كانت المعصية ظلم لنفسه. وعليه أن يسارع في تطهره وفي توبته فالذي يحب أن يتطهر (المطهرين) لا يتحمل تكاسلا في إزالة النجاسة من على جسده أو ثوبه أو مكانه مثله مثل المؤمن التائب لا يؤخر التوبة ولكن يتوب من قريب ويسارع إلى مغفرة الله.

يقول الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾

(آل عمران ١٣٣)

وتأجيل إزالة النجاسة الحسية يجعل مهمة إزالتها أصعب وأصعب وكذلك الذنب الذي يتباطأ صاحبه في أن يتوب منه ويقطع عنه يجعل التوبة منه أصعب.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ

وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾

(النساء ١٧)

خاتمة عن الصلاة: -

مما سبق يتضح لك أخي القارئ أن الصلاة عماد الدين وصلّة العبد بربه وهى معراج به إلى الله في سبعة عشرة ركعة في اليوم والليلة يدعو فيها سبعة عشرة مرة أن يهديه الصراط المستقيم في فاتحة الكتاب كما هدى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأن يعرج بروحه كما فعل بالنبي صلى الله عليه وسلم في ليلة المعراج. كما يجب أن يحافظ المسلم على صلاته وعلى صلواته جميعها وعلى المداومة عليها والخشوع فيها مهما كانت ظروفه فالصلاة لا تسقط عن الرجل إلا عندما تخرج روحه من جسده فيغيرها يفسد القلب فيمرض ويعمى ويموت.

كما يجب على المصلى أن يهتم بوضوئه وطهارته الحسية (التطهر من النجاسات) وكذلك الطهارة الروحية (التطهر من الذنوب والتوبة) ولعل من أهم الأمثلة لذلك أمر الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلم أن يتوضأ ويغتسل عند الغضب إذ أن الغضب من الشيطان والشيطان من النار والماء يطفئ النار كما أمر رسول الله المسلم الذي أراد أن يأتي مضجعه لينام أن يتوضأ وضوئه للصلاة إذ أن النوم هو الموتة الصغرى والموت يحتاج إلى طهارة وكان المسلم يغسل جسده ويتوب من الذنوب قبل ما يلقى ربه.

فيقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ

الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٢﴾

(الزمر ٥٢)

هذا التطهر مرحلتان الأولى محو النجاسة وذهابها (الوقوف عن المعصية) ثم المرحلة الثانية هي مرحلة التطهر وهى التجل بالطهر بالاغتسال والتطيب (التوبة النصوح من الذنوب ورد المظالم إلى أهلها وإصلاح الإفساد الذي سببته المعصية).

فإذا وازب المسلم على صلاته كان له عند الله عهدا أن يغفر له فهي طهارة من الذنوب ما لم تغشى الكبائر. كما يستعين بها المسلم في وقت الابتلاء ليصبر وفي وقت الاختيار ليستخير وفي وقت الحاجات ليقضى له الحوائج. فإله نسال أن يجعلنا من المصلين الذين عدد صفاتهم في سورة المعارج وألا يجعلنا من تاركي الصلاة الذين وعدهم الله سقر ولا من الساهين عن صلاتهم الذين وعدهم بواد الويل في جهنم فإنه سبحانه وتعالى سميع قريب مجيب الدعوات.

أ. معنى الشهادة:

الشهادة هي الجملة التي يقولها الإنسان المؤمن ليعلن عن إيمانه وعن دخوله الإسلام ويقولها بعد أن يغتسل فيقول،

(أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله).

- فالنصف الأول من الشهادة يعبر عن الإيمان بالله. وهو نصف الإيمان
- والنصف الثاني من الشهادة يعبر عن الإيمان برسول الله الذي أخبرنا بكل ما يتعلق بالإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره، حلوه ومره.. وهذا هو النصف الثاني من الإيمان. ولذلك، فإن نطق الشهادة هو إعلان بالإيمان بهذه الأركان الست.

ب. الإسلام والإيمان:

الإسلام يعني الدين كله وكذلك الإيمان إذا ذكر يعني الدين كله، أما إذا اجتمعا في آية واحدة

كقول الله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦﴾﴾

(الحجرات ١٤)

فيكون هنا معنى الإسلام الأفعال الجسدية ويكون معنى الإيمان الإيماني القلبي. فالشهادة يجب أن يسبقها إيمان وعقيدة والمؤمن عندما ينطق بالشهادة فهو يعلن إسلامه ويطبق أركانه. أما المنافق فقد ينطق بالشهادة وليس لها مستقر من إيمان حقيقي وان صلى وصام.

- المسلم الذي يولد مسلماً لأن والديه مسلمين يجب عليه أن يقرأ ويبحث ليفهم مقتضيات هذا الإيمان حتى يكون إسلامه مبنيًا عن اقتناع وإيمان قلبي وليس على اتباع أعمى للأباء والأجداد دون فهم المعنى الحقيقي للإسلام والإيمان. وبسبب إهمال المسلمين ذلك، يظهر النفاق في المجتمع المسلم بصورة كبيرة فليس المهم أن تكون مسلماً في البطاقة الشخصية، ولكن المهم أن يكتبك الله في المسلمين عنده الذين آمنوا إيمان حق لا عوج فيه حتى تموت على هذا الإسلام الحنيف وهذا هو الإيمان الصادق . **يقول الله تعالى:**

﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٣٢﴾﴾

(البقرة ١٣٢)

أ- أركان الإيمان:

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال:

بينما نحن جلوس عند رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إذ دخل علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد.

فجلس إلى رسول الله ﷺ، وجعل ركبتيه إلى ركبتيه ووضع يديه على فخذه وقال: (ثَقُلَ أَخْبَرَنِي عَنْ الْإِيمَانِ قَالَ الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ قَالَ صَدَقْتَ) (رواه أحمد)

ومن هذا الحديث علمنا أن أركان الإيمان ستة:

١. الإيمان بالله
٢. الإيمان بالملائكة
٣. الإيمان بالكتب
٤. الإيمان بالرسول
٥. الإيمان باليوم الآخر
٦. الإيمان بالقضاء والقدر

ب- معنى الإيمان:

■ المعنى اللغوي للإيمان هو التصديق المحض بالشيء، وقد استخدم أخوة يوسف هذا اللفظ عندما عادوا إلى أبيهم بغير يوسف فقالوا: وما أنت **بمؤمن** لنا ولو كنا صادقين.

■ المعنى الشرعي هو التصديق المحض بالغيب ولذلك فهو أول صفة من صفات المتقين.

قال الله تعالى: "الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه، هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب.."

فالإيمان دائماً يتصل بكل ما خرج عن قدرات الحواس الجسدية فلا يدركه الإنسان (بعينين ولا بأذنين) فهو يتعلق بالروح التي تسكن جسد الإنسان وبالتالي، يكون تصديق العبد بأين من الغيبيات التي يخبرنا بها القرآن الكريم هو معيار قوة الإيمان. فكلما زاد تصديق هذا الغيب، كلما زاد الإيمان والعكس صحيح.

■ يزداد إيمان المؤمن بهذه الغيبيات الست حتى يصل بالإيمان إلى درجة الإحسان حين يصل التصديق بالغيب إلى التصديق بالشهادة فيعبد الله كأنه يراه فيتحول الغيب في حقه إلى عالم الشهادة.

ورد في الحديث: كيف أصبحت يا حارثة؟ قال: أصبحت مؤمناً حقاً... قال: لكل حق حقيقة فما حقيقة قولك؟ قال: عزفت نفسي عن الدنيا وأصبحت أرى عرش ربى بارزاً وأصبحت أرى أهل الجنة وهم يتمتعون فيها وأصبحت أرى أهل النار وهم يتعذبون فيها... فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: إنك امرؤ نور الله قلبه، لقد عرفت فالزم.

■ فالمؤمن يقدم إيمانه بربه على إيمانه بعقله وبصره الترابي فكل ما حدث به القرآن فهو الحق وكل ما خالفه فهو الباطل وزيادة الإيمان تكون بزيادة التصديق بهذه الغيبيات ويتبعها زيادة الأعمال الصالحة وإتباع شرع الله والاستقامة مع سنة نبيه، صلى الله عليه وسلم، على صراط الله المستقيم.

■ دلالة التصديق بهذه الغيبيات هو العمل الصالح، لذلك كان الإيمان هو أساس كل عمل صالح فيقول الله تعالى في كثير من الآيات: "إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات" فزيادة الإيمان يزيد العمل الصالح والعكس.

قال الله تعالى: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيَّْ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (النمل ١٩)

جاء ذكر الإيمان والمؤمن الحق في سورة واحدة في كتاب الله وهي سورة الأنفال وفي موضعين.

يقول الله تعالى في افتتاحية السورة:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ١ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ٣ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٤ ﴾

(الأنفال ٠٠١-٠٠٤)

ويقول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَّهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ

مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٥ ﴾

(الأنفال ٠٧٤)

تبرز الآيات الأولى صفات المؤمنين حقا وهي خمس صفات:

١. يقيمون الصلاة.
 ٢. مما رزقهم الله ينفقون (مال، وقت، علم...).
 ٣. ترتعد قلوبهم عند ذكر الله في مصائب الدين ولكن تطمئن عند ذكر الله في مصائب الدنيا.
 ٤. يزيد تصديقهم المحض بالغيبات التي يخبر بها القرآن كلما تليت عليهم آياته فيزدادوا بها إيمانا.
 ٥. يتوكلون على الله حق التوكل بغير تواكل.
- وأعطى القرآن الكريم نموذجا لهؤلاء من الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا وآووا ونصروا من المهاجرين والأنصار فهؤلاء هم المؤمنون حقا لتتخذهم قدوة ونرى في مسلكهم سلوكا عمليا للإيمان الحق الذي هو إيمان صادق يتبعه العمل الصالح المخلص لله والموافق لكتابه والمتبع لسنة رسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم. وكما يكتمل فهمنا للإيمان الحق، فعلى أن نفهم الكفر الحق وقد ورد في موضع واحد في كتاب الله عز وجل.

فيقول الله تعالى في سورة النساء:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ١٥ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ١٦ ﴾

(النساء ١٥٠-١٥١)

والآيات تحذر المؤمن من الوقوع في الكفر الحق وهو يتمثل فيما يلي:

١. الكفر بالله أو عدم توحيده وجعل له أنداد يحبونهم كحب الله.
٢. الكفر برسل الله أو الإيمان بالبعض والكفر بالبعض الآخر.
٣. الطعن في صدق الرسل في نقلهم عن الله فيريدوا ألا يتبعوا الرسل ويفرقوا بينهم وبين مرسلهم وهو الله.
٤. الإيمان ببعض الآيات والكفر بالبعض الآخر.

أي يأخذ من دين الله ما يشاء ويترك ما يشاء فيؤمن بما يحب أن يؤمن به من رسل ومن آيات ويكفر بما لم يحلو له من رسل وآيات وأحكام وشرائع يريد أن يبتغي سبيلا بين الكفر الكامل والإيمان الكامل فمثلهم كمثل المنافقين في الدرك الأسفل من النار.

يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَقْتُلُوهُمْ وَهِيَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾

(البقرة ٨٥)

ومن هذا يتضح لنا معنى الإيمان الحق الذي يفرز العمل الصالح الذي يقبله ويرضاه الله جل وعلا فيدخل الجنة فاللهم اجعلنا من المؤمنين حقا.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧﴾﴾

(الكهف ١٠٧)

هـ- علاقة أركان الإيمان ببعضها ببعض:

يمكن أن نقسم الأهمية النسبية لأركان الإيمان إذا فهمنا الهدف من وراء إرسال الرسل إلى الناس. فعندما كلم الله موسى تكليما قال له:

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا أَخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾

(طه ١١-١٦)

وهذه الآيات بينت أساس الإيمان والعقيدة الإسلامية وهي:

١. الإيمان بالله وتوحيده وما يتبع ذلك من عبادته وطاعته وذكره.
٢. الإيمان باليوم الآخر والحساب والاستعداد له وعدم إتباع الهوى وكذلك من كفر بالآخرة.

وأساس الإيمان هو الإيمان بالله وهو يشغل ٥٠% من مجمل الإيمان (فهو نصف الشهادة)

فمقاصد القرآن ثلاثة، مقصدين متعلقين بالإيمان بالغيب وهما:

١. التوحيد (الإيمان بالله)
 ٢. القصص (الإيمانيات الخمس الأخرى)
- والمقصد الثالث متعلق بالأعمال الصالحة وهو الأوامر والنواهي والأحكام والتشريعات لذلك كان الإيمان يشغل ثلثي الطريق إلى الله والعمل الصالح يشغل الثلث الأخير ويعتمد على الإيمان ولذلك مكث الرسول ١٣ عام في مكة يغرس العقيدة ويعلم الإيمان وهاجر لينشئ المجتمع المسلم في المدينة ومكث ١٠ أعوام فقط فالأساس هو غرس العقيدة والعمل الصالح حصاد هذا الإيمان ولذلك فإن جميع الأوامر والنواهي قد فرضت في المدينة مما يبين أهمية ترسيخ الإيمان في القلوب .
- وكذلك يكون الإيمان بالله هو ثلث الطريق إلى الله والثلث الثاني يجمع أركان الإيمان الأخرى (الملائكة/الكتب/الرسول / اليوم الآخر / القضاء والقدر) ثم يتم الثلث الأخير بالعمل الصالح الذي ينطلق من الإيمان الصادق والكامل.

يقول الله تعالى في سورة الكهف:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧﴾﴾

(الكهف ١٠٧)

القسم الأول: الإيمان بالله

يمثل نصف الإيمان والعقيدة الإسلامية وهو أساس عقيدة المؤمن.

القسم الثاني: الإيمان باليوم الآخر

وهو غاية العقيدة وغاية الإيمان والإيمان باليوم الآخر يمثل الرسالة التي جاء الرسل ليخبروا بها الخلق ولو لم يكن هناك يوم آخر يحاسب الناس فيه لما كان لإرسال الأنبياء فائدة إذ أنه سيستوي الطائع والعاصي والمؤمن والكافر. والآيات كثيرة التي تكفي بذكر الإيمان بالله واليوم الآخر تعبيراً على الإيمانيات كاملة.

كقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ٨﴾

(البقرة ٠٠٨)

وهذا الركن يلي في الأهمية النسبية الإيمان بالله.

القسم الثالث: الإيمان بالقضاء والقدر

وهو كاشف وترموتر الإيمان، فيه ينكشف ويمتحن ويقاس إيمان المؤمن في لحظات الابتلاء والصبر فيقدر

الإيمان بقدر ما يصبر المؤمن ويتحمل ما يحدث له في حياته من آلام ومنغصات

فيقول الله تعالى:

﴿وَلَبَلُّوْكُمْ بَشَىٍّ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَيَّضَ الْوَجْهِ ۖ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ١٥٧﴾

(البقرة ١٥٥-١٥٧)

وهنا يتجلى الإيمان فتزيده المحن قوة وصلابة ويقين ومن حكم بن عطاء الله السكندري:

(من رزق الفهم في المنع صار المنع عين العطاء)

وهذا الركن يلي في الأهمية النسبية الإيمان باليوم الآخر.

القسم الرابع: الإيمان بالملائكة والكتب والرسول

هذه الأركان الثلاثة هدفها نقل الرسالة إلى الخلق وحتى يتحقق التصديق لهؤلاء الرسل يجب الإيمان بهم وبما جاءوا به من كتب وكذلك الإيمان برسول الله من الملائكة الذين حملوا هذه الكتب من الله عز وجل إلى الرسل. فهذه أركان متصلة تربط أساس الإيمان بغاية الإيمان أي تربط الإيمان بالله بالإيمان باليوم الآخر.

و. الإيمان بالملائكة والجن:

١- الإيمان بالملائكة والجن:

- الإيمان بالملائكة:

الملائكة من خلق الله الذين خلقهم قبل بنى آدم وخلقهم من نور، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وأعداد الملائكة لا تحصى وهم مقسمون حسب مهامهم المختلفة.

وهناك أنواع كثيرة من الملائكة لا مجال لحصرهم وهؤلاء الملائكة لا نراهم رؤى العين ولقد رأى رسولنا صلى الله عليه وسلم سيدنا جبريل عليه السلام في صورته الملائكية مرتين: مرة في غار حراء ومرة في ليلة الإسراء والمعراج وكان له ستمائة جناح يسد الأفق. والملائكة ليسوا إناثاً أو ذكورا فهم خلق خلاف بنى آدم يجب على المؤمن أن يؤمن بهم على هذا النحو وهم يستغفرون للذين آمنوا ويقولون ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ووصلون على النبي صلى الله عليه وسلم وصلاتهم دعاء واستغفارا.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ٥٦﴾
(الأحزاب ٥٦)

عندما تقوم الساعة هؤلاء الملائكة يموتون بما فيهم نافخ الصور وبما فيهم ملك الموت فلا يبقى حي وينادى الله عز وجل حينئذ "المن الملك اليوم" فلا أحد يجيب فيقول جل جلاله "الله الواحد القهار". فسبحان الحي الذي لا يموت وكل شئ هالك إلا وجهه ثم يبعثهم الله جميعا ليوم الحساب.

- الإيمان بالجن:

■ الجن مخلوق من النار منهم الصالحون ومنهم الطالحون والشياطين هم مرده الجن إمامهم إبليس .

يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢٢﴾
(إبراهيم ٢٢)

يقول الله تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ٥٠﴾
(الكهف ٥٠)

■ الجن يرى الإنسان من حيث لا يراه الإنسان ولا سبيل للاتصال بينهما وقد بعث الرسول صلى الله على وسلم للجن أيضا ودعاهم إلى الإسلام فمنهم المؤمن ومنهم الكافر ومنهم الصالح ومنهم الطالح وهم أقل درجة من بنى آدم الذى أثبت الله له تكريما لم يثبتته للجن.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَكَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ٧١﴾

(الإسراء ٧٠)

■ لا يملك الجن أن يؤذى بنى آدم إلا بإذن من الله و لا يكون ذلك إلا إن كان هذا الإنسان ضعيف العقيدة بعيداً عن الله.

فيقول الله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ٣٣﴾

(البقرة ١٠٢)

إن كان المسلم ذاكرا لله فان قرينه يضعف ولا يكون له تأثير عليه.

ويقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٣٦﴾

(فصلت ٣٦)

ويقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١ مَلِكِ النَّاسِ ٢ إِلَهِ النَّاسِ ٣ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ٥ مِنَ الْغِيَةِ وَالنَّاسِ ٦﴾

(الناس ١-٣٦)

ويقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ٩٨﴾

(النحل ٩٨)

فالشيطان يفر من ذكر الله ومن إقامة الصلاة ومن الأذان ومن قراءة القرآن والذكر هو أفضل الحصون التي يتحصن بها الإنسان منه.

■ وسوسة الشيطان تختلف عن وسوسة النفس إذ أن النفس تريد إشباع شهوة من الشهوات بعينها أما وسوسة الشيطان فهي تريد أن توقع بنى آدم في أية معصية مهما كان نوعها ولا تصر على معصية أو شئ محدد. والشيطان يطرد بالاستعاذة بالله منه ولكن النفس هي أعدي أعداؤك لا يسكتها إلا التزكية فترتقى من نفس أمارة بالسوء إلى نفس لوامة إلى نفس مطمئنة تؤمن بقاء الله وترضى بقضاء الله وتقتنع بعطاء الله.

■ كيد الشيطان ضعيف إذ يكفى ذكر الله والاستعاذة بالله منه لحرقه وإبعاده وكلما زاد إيمان وذكر المسلم، كلما ضعف صوت قرينه له وقل تأثيره عليه.

يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ۝٧٦﴾

(النساء ٠٧٦)

ولكل ما سبق ذكره بشأن الملائكة والجن هو نقلا عما جاء في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وجب أن نؤمن به وأن نصدق.

٣. الإيمان بالكتب السماوية:

يجب على المسلم أن يؤمن بجميع الكتب السماوية التي أرسلها الله الى رسله كالإنجيل على السيد المسيح عيسى عليه السلام وكالتوراة على سيدنا موسى عليه السلام وكصحف إبراهيم. وبالطبع الإيمان بالقرآن الكريم الذي هو المهيم على الكتب كلها وهو الوحيد المحفوظ من الله من أى تحريف أو زيادة أو نقصان كما حدث فى بقية الكتب.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝١﴾

(الحجر ٠٠٩)

كما أن القرآن الكريم هو فى نفس الوقت معجزة الرسول، صلى الله عليه وسلم، وهو آخر الكتب وصالح إلى قيام الساعة لهداية البشرية فى كل مكان وفى كل زمان. ووجوه إعجاز القرآن كثيرة منها العلمية ومنها اللغوية ومنها خرق حازم الزمان ومنها خرق حازم المكان كالتنبؤ بأشياء مستقبلية قبل أن تحدث وغير ذلك من وجوه الإعجاز التي لا حصر لها.

■ يجب أن يعلم المسلم أن جميع الكتب السماوية الأخرى قد أصابها التحريف لأن الله قد استحفظ عليها الأساقفة والقساوسة فبدلوها وغيروا فيها فهي غير صالحة للإتباع ويكفى المسلم القرآن الكريم الذى هو لا ريب فيه هدى للمتقين لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه فيه تبيان لكل شئ وتفصيلا لكل شئ بينه وهو نور الله المبين وصراطه المستقيم. فمن أراد الدنيا فعليه بالقرآن ومن أراد الآخرة فعليه بالقرآن ومن أراد الدنيا والآخرة فعليه بالقرآن. وهو تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلب رسولنا الكريم ليكون به من المنذرين بلسان عربي مبين.

٣. الإيمان بالرسول عليه الصلاة والسلام:

يقول الله تعالى: ﴿عَاثَرَ الرَّسُولَ يَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ عَاثَرَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَقِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝٢٨٥﴾

(البقرة ٢٨٥)

يجب على المؤمن أن يؤمن بجميع الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله إلى الخلق منذ آدم عليه السلام ذكر منهم ٢٥ رسولا في القرآن الكريم منهم خمسة أولوا العزم من الرسل وهم أصحاب أكبر الرسالات وهم: (سيدنا نوح - سيدنا إبراهيم - سيدنا موسى - سيدنا عيسى - سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم) ■ الأنبياء والمرسلين هم بشر من خلق الله اصطفاهم الله على سائر خلقه.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

(آل عمران ٣٣-٣٤)

ويقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾

(الكهف ١١٠)

- سيدنا عيسى بن مريم رسول عظيم خلقه الله من أم بغير أب كما خلق آدم بغير أب ولا أم وكما خلق حواء من أب بغير أم . ولم يصلب سيدنا عيسى بل رفعه الله إليه ويعود إلى الأرض مرة أخرى ليقتل المسيح الدجال ويصلى مع المسلمين صلاتهم ويدفن بجانب النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة.
- لم يدعى المسيح يوما أنه ابنا لله و كل من نسب لله ولد فقد كفر فمعجزات المسيح عليه السلام كسائر معجزات الرسل أيده الله بها ليعلم الناس أنه رسول حق من رب الأرض والسماء الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.
- جميع الأنبياء رسالتهم واحدة وهي رسالة التوحيد وإن اختلفت شرائعهم وكتبهم تبعاً لأحوال ولا يجب أن نفرق بينهم فجميعهم هداهم الله الصراط المستقيم.

فيقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾

(الأنبياء ٢٥)

فقال الله تعالى عن موسى وهارون : ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾﴾

(الصافات ١١٨)

وقال عن محمد بن عبد الله- صلى الله عليه وسلم في سورة الفتح: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ

نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾

(الفتح ١٠٠)

- سيدنا إبراهيم عليه السلام يسمى بأبي الأنبياء وهو من أعظم الرسل فكان أمة قانتا لله حنيفا ولم يكن من المشركين. اجتباه ربه وهداه إلى صراط مستقيم ومن ذريته كان سيدنا إسماعيل ابن السيدة هاجر ولقد جاء من ذرية سيدنا إسماعيل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن ذرية إبراهيم سيدنا اسحق (ابن السيدة سارة) ثم سيدنا يعقوب (إسرائيل) ومن ذريته سيدنا يوسف عليه السلام وداود وسليمان وبقية أنبياء بنى إسرائيل، عليهم الصلاة والسلام.

- خصص الله ثلث القرآن يحدثنا عن قصص الأنبياء مع أقوامهم لنتعظ ولنتعرف على حياتهم ورسالاتهم فعلينا أن نقبل على آيات الله لنتعرف على هؤلاء المرسلين العظام فنقرهم.

يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾

(يوسف ١١١)

■ ولعل التشهد الأخير الذى نصلى فيه على رسولنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، نصلى فيه كذلك على سيدنا إبراهيم وعلى آله وصحبه ممثلاً لجميع الأنبياء والمرسلين فنذكرهم كذلك فى كل صلاة ومع ذكرنا لحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم فليعلم كل منا أن إبراهيم عليه السلام هو الذى بنى بيت الله الحرام فى مكة المكرمة وهو أول المسلمين وقد دعى لنا.

فقال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾

(البقرة ١٢٩)

قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٠﴾﴾

(آل عمران ١٣٠)

من الجدير بالملاحظة اتصال فريضة الصلاة للمسلم بالمسجد الأقصى الذى صلى فيه جميع الأنبياء خلف رسول الله محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم واتخاذ المسلمين المسجد الأقصى قبلة أولى لصلاتهم وهذا يؤكد أن محمد بن عبد الله لم يكن بدعا من الرسل إنما هو خاتمهم ويدعو بدعوتهم لتوحيد الله وعبادته ومكملاً لرسالاتهم منذ القدم.

ثم تم تغيير القبلة إلى المسجد الحرام تأكيداً لتمييز الرسالة المحمدية وتكاملها الذاتى بالقرآن الكريم الذى هو مهيمنا على الكتب السماوية كلها وناسخاً لها بعد تحريفها والتي لم تعد تصلح للاتباع وهذه دعوة للناس إلى اتباع رسول الله و القرآن وترك ما سواه فهو الكتاب المحفوظ من رب العزة تبارك وتعالى إلى قيام الساعة.

وهذا المعنى متكرر بعدم اتباع طريق اليهود الذين غضب الله عليهم ولا النصارى الذين ضلوا وفي كثير من الآيات بقول الله تعالى فى فاتحة الكتاب التى لا صلاة بدونها (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين). والأحاديث كثيرة مثل (صلوا فى نعالكم وخالفوا اليهود والنصارى)

فانه رسول الله محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم رسول آخر أمة تتبعها الأمم ولا تتبع هي أمة أخرى إذ هي خير أمة أخرجت للناس.

يقول الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٣١﴾﴾

(آل عمران ١١٠)

فإنه نسال أن يصلى ويسلم ويبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وكذلك على جميع إخوانه من الأنبياء والمرسلين وجزاهم الله عنا وعن البشرية خير الجزاء على جهدهم لهداية الخلق ولتوصيل رسالات رب العالمين. ولعل صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم بجميع الأنبياء فى المسجد الأقصى فى رحلة الإسراء والمعراج ولقائه بهم كل فى سمائه لهو أعظم دليل على وحدتهم وعلى تكاملهم وعلى كونهم جميعاً على دين الإسلام و على صراط الله المستقيم كل فى درجاته.

يقول الله تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٣٢﴾﴾

(هود ٥٦)

١) الإيمان بالله الواحد الذي لا إله إلا هو أساس الإيمان:

- مقدمة:

علمنا أن الإيمان علم يقين استقر في القلب، تبعه تلفظ باللسان تبعه نية وعمل. فالإيمان بالله هو الركن الأساسي والمنبع لجميع الإيمانيات الأخرى فمنه الإيمان بملائكة الله ثم الإيمان برسول الله ثم الإيمان بكتب الله ثم الإيمان بقضاء الله ثم الإيمان بيوم لقاء الله وحسابه وبقدر الإيمان بالله بقدر ما يأتي التصديق المحض القلبي يليه الإخلاص ثم العمل الجسدي لسائر أركان الإيمان ولذلك كان الإيمان بالله هو نصف الإيمان وبقيّة الأركان الأخرى تمثل النصف الآخر ولذلك شمل الحديث عن الله ثلث القرآن الكريم وصارت سورة الإخلاص:

بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾

(الإخلاص ٠٠٤-٠٠١)

تعدل ثلث القرآن الكريم ومن قرأها ثلاثا كمن قرأ القرآن إذ أن هذه السورة جمعت في طياتها المعنى الأكبر للإيمان بالله وهو التوحيد والذي يترجم في شهادة الإنسان عندما يدخل الإسلام ويعلن عن الإيمان الذي وقر في قلبه فيقول: (أشهد ألا إله إلا الله).

لذلك عندما قال رسول الله ﷺ لصاحبه

(جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تُجَدِّدُ إِيمَانَنَا قَالَ أَكْثَرُوا مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) (رواه أحمد)

فيقول لا إله إلا الله يجدد المؤمن إيمانه في كل مرة.

- الإيمان بالله هو معرفة الله:

وجب أن نعلم أنه لتتحصل على الإيمان بالله يجب أن نتعلم ونتعرف على الله من خلال كلام الله وإن الله عز وجل عرف نفسه فلا مجال لمعرفة الله إلا من خلال كتاب الله وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم فإذا تعلمنا ذكرناه بكل ما تعلمناه منه فتحرك اللسان بالذكر الكثير ثم جاءت طاعة الله بالجسد في كل ما شرع تأكيدا على صدق هذا الإيمان. وهنا يجدر بنا أن نلفت نظر القارئ إلى أمر هام ألا وهو (ذكر الله) الذي هو أساس لترجمة المؤمن لما وقر في قلبه عن الله من معرفة تعم أنواع كثيرة من الذكر كالصلاة والدعاء والتسبيح وذكر أسماء الله الحسنى وغير ذلك من مظاهر الذكر فهذا هو المعنى العام كما جاء في قول الله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝﴾

(الأحزاب ٠٢١)

أما إذا قرن في الآيات (ذكر الله) بمظاهر ذكر أخرى كالتسبيح مثلا فيعني بذكر الله حينئذ هو ذكر الله بأسمائه هو جل وعلا وليس تسبيحه أو حمده. كقول الله تعالى في نفس السورة: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا

۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِأَلْمُؤْمِنِينَ

رَحِيمًا ۝﴾

(الأحزاب ٠٤١-٠٤٣)

فيكون معنى الأمر بذكر الله كثيرا في الآية السابقة (ذكر الله بأسمائه الحسنى ذكرا كثيرا).

فيكون الأصل هو ذكر الله بأسمائه التسعة والتسعين انتمارا لقول الله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝﴾

(الأعراف ١٨٠)

ولقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا بِهَا وَابْتَغِ

بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾

(الإسراء ١١٠)

وذهب البعض إلى أن معنى الأمر بذكر الله ثم بتسبيحه هو الجمع بين التسبيح وذكر الله وذلك بتسبيح الله وذكر الله بأسمائه الحسنى فيقول الذاكر لله: (سبحان الله العظيم - سبحان الله الملك - سبحان الله القدوس - سبحان الله السلام وهذا هو أفضل الذكر ولعل ربط بعض الأحاديث للتسبيح والحمد بعدد المائة استحباباً لربطه بأسماء الله الحسنى فيكون تسبيحاً وذكر الله في نفس الوقت كل تسبيحه أو تهليله أو تكبيرات مرتبطة باسم من أسماء الله الحسنى. (الحمد لله الملك - الحمد لله القدوس) (لا اله إلا الله الحي - لا اله إلا الله الواحد - لا اله إلا الله القيوم) (لا حول ولا قوة إلا بالله الكبير - لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم - لا حول ولا قوة إلا بالله الغنى).

ومما سبق نخلص إلى أن ذكر الله أصله هو ذكر الأسماء ومعناه العام يشمل جميع أنواع الذكر من قراءة قرآن وتسبيح وخلافه والأفضل ربط جميع مظاهر الذكر بأسماء الله الحسنى.

غاية الإيمان بالله هو معرفة الله إذ أن الله هو الغاية في كل شيء وهو الأصل فهو الحي وما دونه ميت وهو الفاعل وما دونه مفعول به وهو الحق وما دونه باطل. فالإنسان طال عمره أو قصر لا يمثل في عمر البشرية شيئاً مذكوراً، فوجوده أقل من الثواني من عمر الكون يكاد يكون صفراً أو هو صفر ولذلك يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم الذي هو خير خلق الله والذي غير الله به تاريخ البشرية جمعاء. (انك ميت وانهم ميتون) والرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يتنفس وحي وهو يتلو هذا القرآن فما معنى (ميت)؟ أهو موت للقلب؟ فان للقلوب حياة كحياة الأجساد فالقلب قد يمرض ويعمى ويموت وروح القلب التي يحيا بها هو القرآن الكريم.

يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾

(الشورى ٥٢)

ويقول الله تعالى متحدثاً عن نبيه محمد- صلى الله عليه وسلم:

﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

(الأنعام ١٢٢)

معناه أن عمر النبي - صلى الله عليه وسلم - وكذلك سائر الخلق، أقصر بكثير من أن يمثل وجوداً علي سطح الأرض فهو أقرب أن يكون موت من كونه حياة. والحي الحقيقي هو الله فكل شيء هالك إلا وجهه وكل شيء في الكون من خلقه سيموت فكل ماله نهاية فهو قصير وكل ما قورن بوجود الله فهو لا شيء ولا وجود له.

فما قدروا الله حق قدره، فهو بيده ملكوت كل شيء، إليه يرجع الأمر كله، وسع كل شيء رحمة وعلما وكان على كل شيء وكيل وحفيظ ومقيت، حتى أن أعمال الناس التي تسكن الجسد من خلق الله، فهو الفاعل الحقيقي لكل شيء

فيقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

(الصفافات ٩٦)

فهذا جانب من جوانب معرفة الله التي هي أساس طاعة الله وعبادة الله فكيف نعبد الله ونحبه ونذكره ونحن لا نعرفه؟ ومن هنا كانت أهمية معرفة الله من خلال دراسة الإيمان بالله ومقتضياته وحديث القرآن على هذا الركن الركين.

- معرفة الله تكون بالتعرف على عالمي الأمر والخلق:

لقد تحدثنا في افتتاحية هذا الكتاب عن (الهداية إلى الصراط المستقيم) وكيف يصل الإنسان بعقله إلى أن لهذا الكون إله وإله واحد لا ثاني له فيقبل على رسل الله المؤيدين بالمعجزات من الله والذين لا يأخذون أجرا ويقرأ كلام الله ليتعرف على الله من خلال كلام الله.

لقد جعل الله لهذا الكون عالمان:

١. عالم الأمر
٢. عالم الخلق والذي ينقسم إلى:
 - عالم الغيب.
 - عالم الشهادة.

(أ) عالم الأمر:

يقول الله تعالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ٨٥﴾

(الإسراء ٨٥)

والقرآن الكريم كذلك هو كلام الله المتصل بذات الله فهو ليس من خلق الله وكذلك يقول الله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكِنْتُ وَلَا أَلَيْمُنْ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٥٢﴾

(الشورى ٥٢)

القرآن به تحيا القلوب وبدونه تموت وإن تحركت الأجساد وأكلت وشربت فالعمى والموت هو موت القلوب وعماهما وليس عمى الأجساد وموتها. وكذلك كان الشهداء أحياء في قبورهم يرزقون وكذلك الأنبياء حفظ الله أجسادهم الترابية وحرّم على الأرض أن تأكلها.

قال رسول الله ﷺ (فَضْلُ كَلَامِ اللَّهِ عَلَى كَلَامِ خَلْقِهِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ) (رواه الدارمي).

ب- عالم الخلق:

هو عالم يشمل كل ما خلقه الله عز وجل ولا يرتبط بذات الله ولكن هو عالم يشمل كل ما خلقه الله فهو فعل من أفعال الله فيطرأ عليه الموت وفيه الخير والشر وفيه الاختلاف.

يدخل في عالم الخلق ما هو في عالم الغيب فتغيب عن حواس البشر سواء بغيب نسبي أو غيب مطلق فأما الغيب النسبي فيغيب عن بعض خلق الله ولكن لا يغيب عن غيرهم ككل ما يحدث في نفس الزمان في غير المكان الذي فيه الإنسان أو كل ما يحدث في غير الزمان في نفس المكان أو ما يحدث في غير الزمان والمكان الذي يتواجد فيه الإنسان ويدخل في هذا الغيب النسبي أيضا كل شئ شديد الصغر أو شديد البعد الذي يستخدم الإنسان وسائل مقربة ومكبرة ليراه ويدركه. يدخل في هذا الغيب النسبي كل ما قصه الله لنا عن الأنبياء السابقين الذين لم تشهدهم ولكن عاش معهم الناس في أزمانهم.

ويقول الله تعالى يحدث عن السيدة مريم:

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمْ نَكُنْ مِنْكُمْ يَوْمَ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (٤٤)

(آل عمران ٠٤٤)

كما يدخل في هذا النوع من الغيب ما يخفيه الإنسان في صدره ولا يطلع عليه أحد إلا الله. وأما الغيب المطلق فهو الغيب الذي لا سبيل لقدرات وحواس البشر في كل زمان وفي كل مكان أن تدركه وهو من خلق الله كالجن مثلاً فيقول الله تعالى:

﴿يَبْنِيْ اءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطٰنُ كَمَا اَخْرَجَ اٰبَوَيْكُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰنِهِمَا اِنَّهُ يَرٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ اِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِيْنَ اَوْلِيَآءَ لِلَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ﴾ (٢٧)

(الأعراف ٠٢٧)

فيستحيل أن يرى الإنس الجن والشياطين رؤى العين فيدخل في الغيب المطلق فيما عدا معجزات الله لرسله كروية سيدنا سليمان للجن وتسخيرهم لهم فيقول الله تعالى:

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ الْغَيْبَ اِلَّا اللّٰهُ وَمَا يَشْعُرُوْنَ اَيَّٰنَ يُبْعَثُوْنَ﴾ (٦٥)

(النمل ٠٦٥)

ورؤية النبي-صلى الله عليه وسلم- لسيدنا جبريل عليه السلام في ليلة المعراج، فهذه كلها معجزات خاصة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيقول الله تعالى:

﴿عَلِمَ الْغَيْبُ فَلَا يَظْهَرُ عَلٰى غَيْبِهٖۤ اَحَدًا﴾ (٦٦) إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٦٧) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٦٨)

(الجن ٠٢٦-٠٢٨)

وهذه غيبات اختص الله بها نفسه فيقول الله تعالى:

﴿وَءِنْدَهُ مَفَاتِيْحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا اِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ اِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَةٍ اِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ اِلَّا فِي كِتٰبٍ مُّبِيْنٍ﴾ (٦٩) وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٧٠)

(الأنعام ٠٥٩-٠٦٠)

ويقول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلّٰهِ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِيْنَ عَلٰى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتّٰى يَمِيْزَ الْخَبِيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ لِلّٰهِ لِيُظْلِعَكُمْ عَلٰى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللّٰهَ يَجْتَبِيْ مِنْ رُّسُلِهِۦ مَنْ يَّشَآءُ فَتَأْمِنُوْا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِۦ وَإِنْ تُؤْمِنُوْا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيْمٌ﴾ (٧٩)

(آل عمران ١٧٩)

ولقد نفى النبي-صلى الله عليه وسلم- علمه للغيب فقال الله تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٠)

(هود ٠٣١)

وقال الله تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضُ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْعَئُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾

(الأعراف ١٨٧-١٨٨)

وكذلك نرى من أمثلة هذا الغيب موعد قيام الساعة وكذلك نزول الغيث وما في الأرحام والأرزاق وكذلك موعد ومكان وفاة كل إنسان. فيقول الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣١﴾﴾

(لقمان ٣٤)

من المهم هنا التأكيد على أن الجن لا يعلموا الغيب ودليلنا على ذلك قول الله عنهم في تعذيب سليمان لبعضهم ووفاته وهو متكئ على عصاة واستمرارهم في العمل خوفا منه بالرغم من موته ولم يعلموا بذلك إلا عندما أكلت القردة طرف عصاه فخر جسده على الأرض. ولو علموا هذا الغيب لما استمروا في العذاب المهين.

فيقول الله تعالى في سورة سبأ:

﴿فَلَمَّا فَصَّيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجُنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾

(سبأ ١٤)

كما يدخل في عالم الخلق كل ما هو تحت عالم الغيب فكذلك يدخل فيه كل ما يدخل في عالم الشهادة وهو كل ما يقع تحت مسمع وبصر وشهادة إنسان وهو عالم ضيق جدا يتحدد بمكان وزمان كل إنسان فينحصر علمه فيما شهد وحضر فقط. ومن هنا نرى أن عالم الشهادة الذي يبنى عليه كثير من الناس علمهم وأعمالهم وأفكارهم ليس إلا قطرة في بحر إذا ما قورن بعالم الغيب.

فقال الله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾

(البقرة ٣٢)

وكذلك كانت أولى خطوات الإيمان بالغيب هو معرفة الغيب من كلام الله فلا يعلم الغيب إلا هو وقد أحاط الله بكل شئ علما والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

فيقول الله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾

(الإسراء ١١)

يقول الله تعالى:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾

(البقرة ٢١٦)

- مقدمة:

يتضح مما سبق أنه يمكن تقسيم الحديث عن الإيمان بالله إلى ثلاث أقسام:

١. إثبات ذات الله

٢. إثبات صفات الله

٣. إثبات أفعال الله

وكل قسم يتم تناوله من خلال آيات القرآن الكريم عسى الله عز وجل أن يشرّفنا بمعرفته ويرفعنا بالقرب منه ويزكينا بذكره آناء الليل وأطراف النهار كما يحب الله ويرضى.

اللهم ارزقنا شرف معرفتك والقرب منك فنقترب من جلالك كقربك لنا في قولك في كتابك العزيز:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾

(ق ١٦)

فسبحانك تُقبل علينا ونعرض عنك وتذكرنا وننساك وتغنى بالنعم علينا ونقصر في شكرها.

١. إثبات ذاته الله:

في هذا الجزء نتعرف على حديث القرآن عن الذات الإلهية ولكن يجب أن نرسخ بعض القواعد في فهم الآيات قبل الحديث عن الذات الإلهية:

أ. كل ما خطر ببالك عن الله فالله خلافه:

فإن تحدث القرآن الكريم عن يد الله فلتعلم أنها ليست كأيدينا وأن عقلك لا يستطيع أن يفهم كنهها إذ أن هذا العقل ذاته الذي تفكر به هو نفسه من خلق الله فكيف يخضع خالق العقل للعقل؟ ولذلك يجب أن نفهم أن هذه الأمور خارج حدود إدراك العقل كما أن للحواس حدود قدرة في الإدراك فكذلك للعقل حدود فهم وتخيل لا يستطيع أن يتعداها بأي حال من الأحوال.

ب. إدراك ذات الله فوق احتمال القدرة البشرية جسمية كانت أو نفسية أو عقلية:

عندما أراد سيدنا موسى أن يرى الله رد الله عليه طلبه وقال له لن تراني ولكن انظر إلى الجبل ولما تجلّى ربه للجبل ذك الجبل وخر موسى صعقا مغشيا عليه فلم يتحمل جسده فقط تجلّى ملك الملوك على الجبل وخر الجبل مذكوكا.

وهنا نلفت نظر القارئ إلى تأثير كلام الله.

فيقول الله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَدِشًا مَّتَّصِدًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا

لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾

(الحشر ٢١)

ويقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرِنِي وَلَكِنِ أَنْظُرْ إِلَىٰ

الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَحَيَّنَ رَبُّهُ لِّلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ

تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾

(الأعراف ١٤٣)

ج- يجب الأخذ بالمنطوق وبالمفهوم وعدم إهمال أو إنكار أحدهما:

يجب احترام منطوق كل كلمة من كتاب الله ومعناها في اللغة العربية فالقرآن عربي وفي نفس الوقت إعمال العقل في ما قد ترك لفهم العقول وجاء بين الأسطر دون التصريح.

ففي تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْ أَجْرٍ عَظِيمًا ١٥﴾

(الفتح ١٠)

قال البعض أن الله يد كأيدينا فتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فأخذ المفسر المنطوق دون أن يعمل عقلا وذبح آخر إلى المفهوم كلية فقال أن معنى يد في الآية هو القدرة أي أن قدرة الله فوق قدرتهم وأن اختيار كلمة يد غير مراده لذاتها ولكن هو تعبير عن القدرة وذلك أيضا خطأ إذ أن كل كلمة في كتاب الله جاءت لذاتها ولا يمكن استبدالها بكلمة أخرى. ولكن الفهم الصحيح هو إثبات لله يد ولكن ليست كأيدينا وإثبات أن معنى الآية هو أن الله عز وجل يعاون المؤمنين وينصرهم ويضع يده في أيدي المؤمنين ليشد من أزرهم ويثبتهم على عدوهم وهكذا تكون قد جمعت المنطوق والمفهوم دون إنكار أحدهما.

فلقد أقر الرسول -صلى الله عليه وسلم- الأخذ بالمنطوق وكذلك الأخذ بالمفهوم ولذلك لا يجب إهمال أحدهما ويظهر ذلك جليا في حديثه لأصحابه:

قال رسول الله ﷺ (لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ) (رواه البخاري)

فكان الصحابة في سفر وبدأت الشمس تقترب من الغروب فانقسم الصحابة فريقان، فريق يريد أن يصلي العصر في السفر خوفا من أن يفوت وقت صلاة العصر بغروب الشمس وفريق أصر على تأجيل صلاة العصر إلى أن يصلوا إلى بني قريظة وإن غربت الشمس. والفريق الأول أخذ بالمفهوم فاجتهد في نص الحديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفهم أن الرسول يريد من الركب أن يسرع حتى يدخل بني قريظة قبل غروب الشمس ولا يقصد تأخير الصلاة لذاتها إذ أن القاعدة أن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا.

أما الفريق الثاني فقد أخذ بالمنطوق كما جاء وتمسك بأن يطبق كلمات النبي صلى الله عليه وسلم بمعناها الحرفي دون اجتهد أو تأويل فأصر أن يصلي العصر عندما يصل إلى بني قريظة وإن صلى العصر بعد غروب الشمس ورفض أن يعمل عقلا أو يجتهد في نص. وعندما وصلوا أخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما فعلوه فأقر كلاهما ولم ينكر على أحدهما فعله مما يدل على أهمية الأخذ بالمنطوق والمفهوم معا وعدم إنكار أحدهما.

د. الله عز وجل لا يحده مكان أو جهة:

يجب أن يفهم المسلم أن الله عز وجل لا تدركه الأبصار ولا يحده مكان أو جهة أو زمان. فالله هو الذي خلق الزمان والمكان فأينما تولوا فثم وجه الله.

يقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ١٥﴾

(البقرة ١١٥)

فليس لله جهة فالله ليس في اتجاه السماء ولا في السماء ولا في اتجاه الكعبة ولكن الكعبة قبلة الصلاة والسماء قبلة الدعاء. الله عز وجل لا يحده مكان ولا يتحيز بأي مكان فقد وسع كرسيه السماوات والأرض فالله كان قبل كل مكان وهو في كل مكان.

والقرب من الله هو قرب مكانة وليس قرب مكان والله عز وجل أقرب لكل منا من حبل الوريد إذ أن الروح ذاتها نفحة من جلاله فالله عز وجل ليس في المدينة أو في مكة المكرمة فحسب ولكنه في كل مكان وفي كل جهة.

أما الزمان فهو مخلوق من مخلوقات الله ندركه لقصر أعمارنا أما الله فهو دائم الوجود، هو الأول لا شئ قبله والآخر لا شئ بعده ليس له بداية ولا نهاية ولا موت ولا حياة فهو لا يخضع لمعايير الزمان وليس في حق الله ماضي

أو حاضر أو مستقبل فالأزمنة كلها على اختلافها في حقه سواء وليس في حق الله قريب أو بعيد إذ أن الله هو الذي خلق المكان فالله عز وجل دائم الوجود زمانا ومكانا وإن كان خارج قدرات البصر البشرية. والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

فسبحانه من لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير. فمن عبد الله على الإحسان كأنه يراه جل وعلا رزقه الله الإحسان والزيادة فالإحسان الجنة والزيادة هي رؤية وجه الله في الجنة وهي أعظم نعمة يتحصل عليها المؤمنون في الجنة فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم.

وروى أن السيدة عائشة قالت (من قال أن محمدا قد رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية). وعندما سئل النبي صلى الله عليه وسلم هل رأى ربه في ليلة المعراج؟ فرد صلى الله عليه وسلم قائلا: (نُورٌ أَلَىٰ أَرَاهُ). (رواه مسلم)

فالله عز وجل نور على نور لا تستطيع أعيننا في هذه الدنيا أن ترى الله وقد ادخر الله ذلك جزاء للمؤمنين في الجنة.

يقول الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾

(يونس ٢٦)

هـ. معنى القرب من الله: سئل النبي صلى الله عليه وسلم (الله قريب فننأيه أم بعيد فنناديه؟) فنزل قول الله عز وجل

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾

(البقرة ١٨٦)

فأثبت الله عز وجل قربيه من كل إنسان خلقه حتى الكافر بدليل قوله بعد ذلك "وليؤمنوا بي" وهو يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة السوداء في الصحراء القفراء ويسمع دعاء كل داع ويجيبه وهو أقرب لأحدنا من حبل الوريد وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد لله.

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ (الواقعة ٨٣-٨٥)

فالله قريب منا ولكننا بعيدون عنه، يسمع دعاءنا ولكن لا نسمع أوامره ونواهيه فالإنسان هو الذي أعطى الله ظهره وينشغل بالدنيا عن واهب الدنيا "بل تؤثر الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى" فماذا وجد من فقد الله وماذا فقد من وجد الله؟

يقول في الحديث القدسي "لو يعلم المدبرون عنى مدى شوقي إليهم ورفقي بهم وشوقي لترك ذنوبهم لتقطع أوصالهم من محبتي ، إذا كان هذا شأني بالمدبرين عنى فكيف يكون شأني بالمقبلين على!" وبذلك يكون الله قريب من العبد قرب مكان "أقرب إليه من حبل الوريد" وقرب مكانه "فهو يسمع لدعائه وإن كان كافرا ويجيبه" ولكن السؤال هل العبد قريب من الله؟

يقول الله تعالى: ﴿كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٦﴾﴾

(العلق ١٦)

إن أراد العبد أن يقترب من الله قرب مكان فهو حاصل لأن الله في ذاته وفي قلبه ولكي يستشعر هذا القرب فعليه أن يكثر من السجود والتذلل لله والدعاء له والاستعانة به ويزداد القرب بازدياد الصدق ولذلك يزداد قرب العبد من الله في المحن والشدائد إذ يظهر فيها الإخلاص والانكسار لله إذ تنقطع الأسباب ولا يجد المرء ملجأ من الله إلا إليه. ولذلك كان يونس عليه السلام وهو في بطن الحوت شديد القرب من الله عز وجل إذ اشتد به الابتلاء.

ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَذَا اللَّثُونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَضَّبًا فَلَقَّنَ أَنَّ لَّنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا

أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَخَجَلْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾

(الأنبياء ٠٨٧-٠٨٨)

ولذلك نجد الله قد ختم الآية بقوله (وكذلك نجى المؤمنين) عندما يخلصوا في دعائهم وينقطع رجاءهم بكل أحد إلا الله. فيقول الله تعالى:

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا ﴿٢٦﴾﴾

(النمل ٠٦٢)

فالمضطر يدرك على الحقيقة أنه لا ملجأ من الله إلا إليه فيخلص الدعاء والتوجه والتوكل على الله والله. ويروى أن أحد أصحاب ذي النون كان يتفقد طرقات المدينة فإذا بأمر تضرب طفلها وتصرخ في وجهه وتخرجه خارج البيت وتغلق بابها وإذا بالطفل الذي يبكي يتلفت يمينا وشمالا لعله يتعرف على شيء فلا يتعرف إلا على باب بيت أمه فيجربى إلى هذا البيت الذي لا يعرف سواه ويطلب الباب في ذله وإنكسار وينادى ويقول لها: (أماه أماه سامحيني فمن الذى سيسامحني إن لم تسامحيني وإغفرى لي فليس لي أحد سواك) وإذا بالأم تبكى من كلام طفلها ويرق قلبها وتفتح الباب وتأخذه في أحضانها وقد نست كل ما فعل وأدخلته بيتها وأغلقت الباب.

وإذا بصاحب ذي النون يقول: (الآن وجدت قلبي ، وعلموا ألا ملجأ من الله إلا إليه)

لقد فهم هذا الرجل حقيقة معرفة الله والتوجه إليه دون سواه. فمثل الإنسان في ذلك مع ربه عز وجل مثل هذا الطفل الخاطئ مع أمه والله المثل العلي فالله أشد رحمة بعبده من رحمة الأم بولدها الرضيع. فإذا ما أيقن الإنسان أنه ليس له ربا سوى الله وليس هناك بابا سوى بابه فتوجه إليه بانكسار وذلة العبد المقر بذنبه فإنه سيجد الله غفورا رحيمًا.

إذ أن الله دائم القرب لنا وينادينا خمس مرات لنصلى وكل عام لنحج بيته الحرام فمننا من يصم آذانه عن دعوة الله ونداء الله له. وينتظرنا الله عز وجل حتى نرجع إليه.

يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾

(النساء ١١٠)

ويروى أن رجلا من بنى إسرائيل عصى الله أربعين عاما حتى ابيض شعره ونظر في المرأة متسانلا هل يقبله الله إن تاب ورجع برغم إصرافه على نفسه كل هذا العمر فسمع مناديا يقول له: (أطعنا فأحبيناك وعصيتنا فأهملناك وإن تبت ورجعت إلينا قبلناك). فما أظلم الإنسان لنفسه بأن يحرمها بأن تشعر بما هو واقع - لا ريب فيه - وهو شدة قرب الله عز وجل من كل منا فلنجتهد لنكون جديرين بهذا القرب فدعوه ونذكره ونستعينه ونستهديه ونتوكل عليه فى جميع أمورنا فيكفينا الله كل شيء.. أليس الله بكاف عبده؟!

■ إن معية الله لموسى عليه السلام ولنبينا محمد صلى الله عليه وسلم معية قرب.

■ عندما فر موسى عليه السلام مع بني إسرائيل وتبعهم فرعون إلى أن وصلوا إلى البحر،

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٦﴾

(الشعراء ٠٦٦-٠٦٢)

■ عندما أرسل الله موسى وهارون إلى فرعون قال لهم.

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ ﴿٦٦﴾

(طه ٠٤٦)

وقال الله تعالى: ﴿ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾ ﴿٦٥﴾

(الشعراء ٠١٥)

■ عندما كان الرسول وصاحبه في الغار

قال الله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَاللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ﴿٦٥﴾

(التوبة ٠٤٠)

يقول الله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ﴿٦٥﴾

(الحديد ٠٠٤)

يقول الله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٧﴾

(المجادلة ٠٠٧)

وعلى المسلم أن يسعى أن يبتغي الأسباب التي تجعله قريبا من الله مثال ذلك:

١. عند الاستغفار والتوبة من الذنب.
٢. عند دعاء العبد لله والتذلل له.
٣. في وقت الكروب والاضطرار.
٤. في الأماكن المحببة لله كبيتة الحرام والمسجد النبوي والأقصى ثم جميع بيوت الله على الأرض.
٥. يجتهد في العبادة في الأزمنة المفضلة عند الله كالعشر الأول من ذي الحجة والعشر الأواخر في رمضان وليلة القدر وفي يوم الجمعة وفي الثلث الأخير من الليل.
٦. بقراءة القرآن الكريم فهو كلام مع الله في الصلاة وخارجها وغير ذلك فان الله ناجى سيدنا موسى وهذه المناجاة قربته من الله ولذلك كانت قراءة القرآن والصلاة هما وسيلتا العبد لمناجاة الله والقرب منه.

يقول الله تعالى: ﴿ وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ ﴿٥٦﴾

(مريم ٠٥٢)

فمن أراد أن يكلم الله فليصلي ومن أراد أن يكلمه الله فليقرأ القرآن الكريم.

٧. الإكثار من السجود لله فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.

يقول الله تعالى: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ ﴿١٦﴾

(العلق ٠١٩)

٨. العمل علي طاعات الله والبعد عن محارم الله.

و. الإيمان بالمتشابهة من الآيات دون الخوض فيها:

يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾

(آل عمران ٠٠٧)

والآيات المتشابهة يجب الإيمان بها كما جاءت فعندما سئل الإمام مالك عن قول الله عز وجل (استوى على العرش) قال: (الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة والإيمان به واجب) فجميع الآيات التي تتعلق بذات الله تعتبر من الآيات المتشابهة التي يجب الإيمان بها كما جاءت والخوض فيها نوع من أنواع التكلف المنهي عنه شرعا.

وبعد أن تناولنا القواعد الخمس السابقة في فهم الآيات الخاصة بذات الله سنتناول مثال لذلك من كتاب الله العزيز وقد اخترنا الحديث عن يد الله في القرآن الكريم فيقيس عليها القارئ كل ما سيقراه عن ذات الله في بقية آيات القرآن. باستعراض آيات الله عز وجل نجد أن الله عز وجل أخبرنا عن يده بما يلي:

١. إن الله أثبت لنفسه يد فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثْ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُورَتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾

(الفتح ٠١٠)

٢. أثبت الله أن الفضل والخير والملك وملكوته كل شيء بيده جل وعلا.
فقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ عَلِمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنَّكَ يُقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾

(الحديد ٠٢٩)

وقال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾

(آل عمران ٠٢٦)

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾﴾

(المؤمنون ٠٨٨)

وقال الله تعالى: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾

(الملك ٠٠١)

٣. أثبت الله أنه خلق آدم عليه السلام بيديه.

فقال الله تعالى: ﴿قَالَ يَإِذَايْلَيْسَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِيَّ اسْتَكَبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٣٥﴾﴾

(ص ٠٧٥)

٤. أثبت الله أنه له أيدي وأنه خلق بها الأنعام.

فقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ ﴿٣٦﴾﴾

(يس ٠٧١)

ونقف في الحديث عند هذا القدر ونؤمن بما أنزل الله كما أراد الله ونقول آمنا به كل من عند ربنا وما يعلم تأويله إلا الله. ربنا لا تزعج قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

فننتقل الآن في الحديث عن أمر هام يتصل بذات الله وهو الروح وجاءت على عدة معاني ألا وهي:

١. الروح البشرية التي نفخها الله في ابن آدم.

٢. الروح وهو القرآن الكريم.

والتعرف على هذه الروح أمر لازم لكل إنسان كي يقترب من ربه عز وجل وذلك في الحدود التي حددها جل وعلا في قرآنه الكريم دون زيادة.

يقول الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٥)

(الإسراء ٨٥)

١- الروح البشرية والنفس الإنسانية:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَنَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (٢٧) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩)﴾

(الحجر ٢٦-٢٩)

هذه الروح هي اللطيفة الربانية في ابن آدم فتسكن في الجسد الترابي والطفل في بطن أمه فيظهر على هذا الجسد أمارات الحياة وينتقل من مرحلة الطفولة إلى الشباب ثم يعود إلى الطفولة بشكل جديد يسمى شيخوخة ثم يموت. وفي فترة تواجد هذه الروح داخل الجسد يكون مزج واتصال هذه الروح بهذا الجسد الترابي نفسا وهي ثلاثة أنواع.

- النفس الأمارة بالسوء:

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣٢)

(يوسف ٥٣)

وهذا هو أصل النفوس التي لم يزيكها أصحابها تظل على هذا الحال فتأمر صاحبها بالسوء إتباعا لشهواتها وهي أدنى مستويات الأنفس وأبعدها عن الله.

- النفس اللوامة:

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (٣١)

(القيامة ٢٠٢)

وهي نفس تزكت بذكر الله وتطهرت فارتقت من نفس أمارة بالسوء لصاحبها إلى نفس تلوم صاحبها عند المعصية وقد أقسم الله بها لعظم شأنها وهي نفس خلطت عملا صالحا بآخر سيئا عسى الله أن يغفر لها.

- النفس المطمئنة:

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَأَدْخُلِي

جَنَّتِي (٣٠)﴾

(الفجر ٢٧-٣٠)

وهذه هي أرقى درجات النفوس وأقربها إلى الله عز وجل وهي راضية عن الله فرضى عنها ربها تؤمن ببقاء الله وترضى بقضاء الله وتقنع بعطاء الله وجزاؤها الجنة. وخير مثال لهذه الأنفس المطمئنة هي نفس النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

وحديث القرآن الكريم عن النفس وليس عن الروح إذ أنه يتحدث عن فترة تواجد الروح في الجسد في الحياة الدنيوية ثم في الحساب حين تعود الروح إلى الأجساد بعد البعث والحشر إلى أرض المحشر. أما عند الموت

فتخرج الروح من الجسد الترابي وتموت النفس وتنتهي الحياة الدنيوية وتبدأ حياة البرزخ فيها الجسد الترابي عاد إلى التراب عدا أجساد الأنبياء والأرواح إما في عليين وإما في سجين حتى البعث.

- النفس في الحياة الدنيا:

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝﴾

(النساء ٠٠١)

فأول نفس كانت نفس سيدنا آدم عليه السلام منها خلقت حواء ثم منهما جاءت وتناسلت بقية الأنفس.

ويقول الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ أَلا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَيْتُمْ نَحْنُ نَرِزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَلَّيْتُ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝﴾

(الأنعام ١٥١)

ويقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِإِعَادٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝﴾

(الحشر ٠١٨)

- النفس عند الموت:

يقول الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَٰئِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝﴾

(الأنبياء ٠٣٥)

ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝﴾

(لقمان ٠٣٤)

- النفس عند الحساب:

يقول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ۝﴾

(الأنبياء ٠٤٧)

ويقول الله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ۝﴾

(ق ٠٢١)

ويقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝﴾

(الانفطار ٠٠٤-٠٠٥)

ويقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُرْلِفَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ۝﴾

(التكوير ٠١٣-٠١٤)

ومن هنا كانت أهمية تفكر ورجوع كل إنسان إلى نفسه التي جعل الله فيها استعدادات الخير والشر وعلى صاحبها أن يأخذ بزمام هذه النفس ليسيرها إلى طريق الله وفي رضائه وألا يتركها لهواها فتفسد.

يقول الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ﴾ (٨)

(الشمس ٠٠٧-٠٠٨)

ويقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ۖ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ﴾ (١٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿١١﴾

(النازعات ٠٤٠-٠٤١)

ولذلك وجب أن يصل الإنسان إلى نفسه التي بين جنبيه والتي هي أعدي أعدائه. والوصول إلى النفس والأخذ بزمامها وتزكيتها هو وصول إلى الله.

ولذلك يقول الله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٢١)

(الذاريات ٠٢١)

فإذا نسي الإنسان نفسه وأهمها ولم يراقبها فهذا دليل أنه قد نسي ربه فيكون من ذكر ربه فقد ذكر نفسه، فبذكر الإنسان وبمعرفة نفسه يتعرف على ربه ويراقبه في هذه النفس التي تحتاج منه إلى كل رعاية وتزكية وتطهير.

يقول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۖ﴾ (١٠)

(الشمس ٠٠٩-٠١٠)

والتزكية المعنية هي بتلاوة آيات الله وأنواع ذكر الله المختلفة من ذكر الأسماء الحسنى والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم.

يقول الله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (١٥)

(البقرة ١٥١)

فإذا نظر الإنسان إلى المرأة لشعر أنه طرفان طرف ينظر وطرف آخر ينظر إليه، وعندما يقرأ القرآن يشعر الإنسان أن الله عز وجل يخاطبه كعقل أو روح ويوصيه بهذه النفس ويوصيه ألا يظلم نفسه.

يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١٢)

(النساء ١١٠)

إن الإنسان على نفسه بصيرة وهذا يوضح مسئولية كل إنسان عن نفسه التي بين جنبيه والتي هي كالفرس الذي هو في حاجة لمن يأخذ بزمامه ويروضه ويذكره. ولعل الآيتين أوضحتا معنى مسئولية الإنسان عن نفسه فهو يبصرها ويعلم كل ما تفعل في الدنيا من خير أو شر فهل يستمر في غيه أم يتحرك لينقذها وليته كما يأمر الناس بالخير، يأمر نفسه بذلك فهي مسئوليتها الأولى.

يقول الله تعالى: ﴿*أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ﴾ (٤٤)

(البقرة ٠٤٤)

وليدكر كل إنسان لحظة يأتي فيها الموت لينتهي العمل ويبدأ الحساب. ولن تقوى حينئذ أيها الإنسان أن تدفع هذا الموت عن هذه النفس ستتلقاها الملائكة أحبت أم كرهت.

يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾

(آل عمران ١٦٨)

يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٦٩﴾﴾

(الأنعام ١٦٩)

ومسئوليتك أيها الإنسان لا تقتصر علي نفسك ولكن أيضا عن أهلك ممن تعول.

قال رسول الله ﷺ (يَقُولُ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْنُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) (رواه البخاري)

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

(التحریم ١٧٠)

كل إنسان منا تقع عليه هذه المسؤولية في أن يحسن إدارة نفسه وكذلك أهله وليحمي زوجته وأولاده من عذاب النار يوم القيامة، ولا سبيل لذلك حتى تتحرك أيها الإنسان لتغيير نفسك وما فيها.

يقول الله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ ءَالٍ ﴿١٧١﴾﴾

(الرعد ١٧١)

وعلي الإنسان أن يفكر بعد ذلك كيف يغيرها ويرتقي بها إلي نفس لوامة فنفس مطمئنة.

يقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٣﴾﴾

(الروم ١٧٢-١٧٣)

يستعين الإنسان في ذلك بكلام صاحب خير النفوس وأزكاها رسول الله - صلى الله عليه وسلم الذي قال لنا الكثير من القول البليغ عن هذه النفوس النათئة التي لا تصلح إلا بالقرب من خالقها والتواجد في بيوت الإيمان المساجد وأهمها المساجد الثلاثة الكبرى والإنصات إلى سنة الله وحديثه والرضى بحكمه.

يقول الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿١٧٤﴾﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿١٧٦﴾﴾

(النساء ١٧٤-١٧٥-١٧٦)

- خير النفوس نفس النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

يطيب الحديث عن خير خلق الله على الإطلاق وهو رسول الله وخاتم النبيين وقد ذكره الله عز وجل باسمه (محمد) في أربعة مواضع من القرآن الكريم وفي المرة الخامسة باسمه أحمد الذي عرف به في التوراة والإنجيل.

يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾

(آل عمران ١٤٤)

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۖ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۖ ﴾
(الأحزاب ٥٠)
﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾

(الفتح ٢٩)

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾

(الصف ٥٦)

والآيات القرآنية توضح أن محمد بن عبد الله أب لكل المؤمنين وأزواجه أمهاتهم وهو بشر مثلكم يوحي إليه يأكل ويشرب وينام ويتألم ولكنه المعصوم من كل خطأ، تولاه الله عز وجل وعلمه وأحيا قلبه بدخول القرآن الكريم فيه فحيث نفسه بعد موت، وأضاء النور في قلبه وصار نورا يمشى ليضيئ للناس نفوسهم.

يقول الله تعالى: ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُينَ لِّلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

(الأنعام ١٢٢)

فكان النبي - صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن فكان قرآنا يمشى بين الناس - أسوة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ولم يكن فظ أو غليظ القلب إنما كان حريص على المؤمنين بهم رءوف رحيم، يعفو عمن ظلمه ويعطى من حرمه فكان بحق رحمة للعالمين يهديهم إلى صراط الله المستقيم يعيش ويأكل ويشرب ويتزوج ويحكم . . . ويفعل جميع الأفعال البشرية ويعلمنا كيف نعيش في كل لحظة وكيف نتصرف في كل موقف فكانت حياته ترجمة حقيقية واقعية لما جاء في كتاب الله وكيف يريد خالق النفوس أن تكون النفوس لقد علمنا -صلى الله عليه وسلم - طهارة الأجساد وطهارة النفوس وأحيا بالقرآن الكريم نفوسنا فنورت بعد ظلمة وهُديت بعد ضلالة. رسول الله - صلى الله عليه وسلم له قدر عظيم فهو خير بني آدم وإمام أولوا العزم من الرسل وإمامهم في صلاتهم في ليلة المعراج في المسجد الأقصى وهو خاتم المرسلين فلا نبي بعده ولا رسالة بعد رسالته ولا كتاب بعد قرآنه - صلى الله عليه وسلم.

ولقد صلى الله عليه والملائكة فخرج من الظلمات إلى النور إلى الله عز وجل فهده الله الصراط المستقيم، ومن هنا كانت الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم من وسائل الهداية لله فمن صلى على رسول الله صلاة صلى الله عليه بها عشرا وبالتالي يخرج هذا المسلم من الظلمات إلى النور فالصلاة على رسول الله كذكر الله الكثير وتسبيحه الذي يستدر صلاة الله والملائكة وهي رحمة من الله واستغفار من الملائكة.

يقول الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۖ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۖ ﴾
﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۖ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۖ ﴾

(الأحزاب ٥٠-٥٣)

وهناك عمل يستدر صلاة رسول الله عليك وهو الإنفاق في سبيل الله والصدقات.

يقول الله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

﴿١٣﴾

(التوبة ١٠٣)

فالصدقة تطهر صاحبها وتزكيه وتستدر صلاة الرسول على العبد لتسكن روحه وينال بهذه الصلاة القرب من الله ومن دخول رحمته جل وعلا.

وكذلك نرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو باب من التوبة لدخول الجنة وللغفران بحب الله فאלله أمرنا بطاعته وأمرنا باتباعه في كل قول وفعل وإقرار وهذا هو سبيلنا الوحيد للفوز بحب الله عز وجل.

يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾

(آل عمران ٣١-٣٢)

ويقول رسول الله ﷺ: (إِنْ تَارَكَ فِيكُمْ مَا إِنْ مَسَّكُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَخَذْتُهَا مِنْ الْآخِرِ كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنْ

السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِزَّتِي أَهْلُ بَيْتِي وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْخَوْضَ فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُقُونِي فِيهِمَا) (رواه الترمذي)

وهنا يجدر الإشارة إلى حتمية الأخذ بسنة رسول الله ولا يمكن الاكتفاء بكتاب الله إذ أن السنة النبوية شارحة ومفصلة لكل ما جاء مجملا في كتاب الله.

ويقول الله تعالى: ﴿ مَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦٩﴾

(الحشر ٥٧)

السنة النبوية قد تم تنقيحها من علماء الحديث على مر العصور وخرج لنا الصحاح الست يتقدمهم الصحيحان صحيح البخاري الذي هو أصح كتاب بعد كتاب الله وصحيح مسلم وذلك خلاف الأسانيد كمسند أحمد بن حنبل. وقد ظهر علم الحديث الذي فيه علم الرجال ودارسة المتن والسند للحديث وقد بذل علماء الدين الكثير من الجهود عبر العصور لتخرج لنا السنة بعيدة عن الإسرائيليات.

فلا يجوز لمدعى أن يطعن في صحة السنة وفيما نقل عن النبي - صلى الله عليه وسلم ويشكك في صحة ما نقل وهذا ادعاء خطير يتخذ المغرضون سببا لتبرير تركهم لسنة خير الأنام - صلى الله عليه وسلم هؤلاء يريدون أن يأخذوا ببعض الدين ويتركوا البعض الآخر كالذين يؤمنون ببعض الآيات ويكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب.

يقول الله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٣٣﴾

(آل عمران ١٣٢)

يقول الله تعالى: ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

(النساء ٥٩)

في حديثنا عن رسول الله نتلمس طريقنا إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم وهذا الطريق سبيله طاعة الله وطاعة رسول الله معا.

يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ۝﴾

(النساء ٥٦٩)

يقول الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيطًا ۝﴾

(النساء ٥٨٠)

يقول الله تعالى: ﴿وَأَكْثَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ قَالِ عَذَابِي أَصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝﴾

(الأعراف ١٥٦)

فلا سبيل للهداية بعيدا عن طاعة واتباع رسول الله ولا سبيل لحياة نفوسنا إلا بالاستجابة لله وللرسول معا إذ أن الرسول لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝﴾

(الأنفال ٥٢٤)

ولذلك وجب على كل نفس تطوق للحياة أن تستجيب لداعي الله ورسول الله فتتال القرب من الله واستجابة الدعوات والفوز بحبه ورضائه.

وقد جاءت الآيات موضحة أن طاعة الرسول سبيل إلى الفوز برحمة الله.

يقول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝﴾

(النور ٥٦)

ومن هنا نخلص إلى أهمية أن يقترب كل منا من نفسه ومن نفس خير النفوس وخير خلق الله والذي نال القرب والحب والرحمة والرضوان من الله عز وجل.

يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝﴾

﴿١٢٨﴾

(التوبة ١٢٨)

إن الرسول – محمد-صلى الله عليه وسلم- أب لكل نفس مؤمنة فهو الأصل لنا يجب أن نصل إليه ونتعرف عليه وهذا هو سبيلنا الوحيد لمعرفة الله والقرب منه جل وعلا وكذلك وجب على كل مؤمن أن يدرس سيرة وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم ويتخذ منه أسوة ومنه قدوة يتبعها في كل سكناتها وأقوالها وأفعالها حتى ينال حب الله كما ناله رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فيتضح لنا مما سبق أن طريق معرفة الله يبدأ بتعرف كل إنسان على نفسه وروحه ثم يتعرف بعد ذلك على نفس خير خلق الله وأحبهم إليه لاتخاذها قدوة ثم يجتهد في تزكية نفسه لترقى مما هي عليه حتى تكون كنفس خير خلق الله فنفوز بحبه بمشابهتها بمن أحب الله عز وجل واعلم أخي القارئ أن السبيل للتزكية هو روح الأرواح القرآن الكريم الذي به تحصل التزكية الحققة.

يقول الله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ۝﴾

(البقرة ١٥١)

كما أن الروح البشرية نفخة من الله عز وجل إلا أنه لا سبيل لأن تحيا هذه الروح إلا بروح الله عز وجل الذي هو المصدر الأساسي للروح البشرية وبشيء يتصل بذات الله وهو كلام الله عز وجل وهو القرآن الكريم الذي به أحيا روح رسول الله عندما أرسل إليه الروح الأمين جبريل عليه السلام في غار حراء وقال له: (اقرأ) فقال (ما أنا بقارئ) فكررها ثلاثا إلى أن قال: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ ﴾

(العلق ٠٠٤-٠٠١)

وهنا كانت بداية حياة نفس رسول الله بدخول القرآن فيها كما يدخل الهواء في الجسد فيحيا بعد موت.

يقول الله تعالى: ﴿ أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُينَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ﴾

(الأنعام ١٢٢)

يقول الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ ﴾

(الشورى ٠٥٢)

فالقرآن نور وبه تنار النفوس وتنير لغيرها طريق الله المستقيم.

ومن هنا كان القرآن الكريم هو روح النفوس ونورها المتين المستمد من النور العلي الكبير فينور الله به القلوب والنفوس ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

فإذا دخل هذا النور القلب بقى نور النفس مع العبد فينير طريقه على الصراط المستقيم ويكون دليله يوم القيامة ونوره حتى يدخل الجنة ويشرف أن يرى نور وجه الله الكريم النور.

يقول الله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُؤْبَوْنَ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ ﴾

(التحريم ٠٠٨)

يقول الله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُم الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ ﴾

(الحديد ٠١٢)

جميع النفوس البشرية تحتاج إلى نور كلام الله ونور رسول الله لتخرج من الظلمات إلى النور فتصل إلى النور جل وعلا.

يقول الله تعالى: ﴿ يَأْتَاهُ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ ﴾

(المائدة ٠١٥)

يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

(الأعراف ١٥٧)

يقول الله تعالى: ﴿الرَّ كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ



(إبراهيم ٠٠١)

يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ

رَحِيمٌ ﴿٩﴾﴾

(الحديد ٠٠٩)

ومن هنا كان الرسول - صلى الله عليه وسلم قرآنا يمشى بين الناس يخرج به الله النفوس البشرية من ظلمات الضلالة إلى الله عز وجل وإلى النور المبين الذي هو نور على نور. فمثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسسه نار.

♦ القرآن الكريم:

يقول رسول الله ﷺ (فَضَّلَ كَلَامَ اللَّهِ عَلَى كَلَامِ خَلْقِهِ فَفَضَّلَ اللَّهَ عَلَى خَلْقِهِ) (رواه الدارمي)

فلكلام الله قدسية فهو كلام الله الصالح لكل زمان ومكان، من أحبه فقد أحب الله ومن عظمه فقد عظم الله ومن عصاه فقد عصى الله ومن أبغضه فقد أبغض الله فهو كلام الله المقروء وهو صراطه المستقيم وهو نوره المبين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. هو تبيان لكل شئ وتفصيل لكل شئ بينه وما فرط في الكتاب من شئ فهو كتاب لا ريب فيه هدى للمتقين شفيعا لأصحابه يوم القيامة. وجعلت الجنة درجات بعدد آيات القرآن الكريم وهذا القرآن مهيمنا على الكتاب كله تكفل الله بحفظه إلي قيام الساعة فلا يصل إليه يد تحريف وهكذا هو لم يتغير حرف منه منذ أكثر من أربعة عشر قرنا والقرآن الذي تجده في القاهرة هو نفسه الذي تجده في اليابان هو نفسه الذي تجده في الولايات المتحدة الأمريكية وفي الصين وفي جميع أنحاء المعمورة بغير حرف ناقص أو زائد وهو معجزة الرسول - صلى الله عليه وسلم صالح لكل زمان ومكان اخترق الله به حجاب الزمان والمكان والنفوس البشرية، من حكم به عدل ومن تبعه هدى إلى صراط مستقيم هو ذكر لمن أراد أن يكلمه الله وهو أساس لهداية كل إنسان وهو يزكى الأرواح والنفوس ويربطها برب الأرض والسماء.

لقد نزل القرآن منجما على رسول الله صلى الله عليه وسلم على مدى ثلاثة وعشرون عاما - ثلاثة عشر عاما في مكة بآيات مكية وعشر سنوات في المدينة بآيات مدنية يتخللها بعض الآيات السفرية. وكان يوحى إلى النبي - صلى الله عليه وسلم من خلال سيد الملائكة الروح الأمين جبريل عليه السلام فيأتيه الوحي كصلصلة الجرس أو في منامه أو يرسل الرسول الأمين.

وكان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يعلم الصحابة أين يضعوا كل آية (في مكانها) حتى اكتمل كتاب الله في حجة الوداع.

يقول الله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلُ لَعْنٍ إِلَّا لَعْنُ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالطَّيْحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكَ يَنْتَفِيسُ الْيَوْمَ يَكْفُرُ مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣)

(المائدة ٠٠٣)

وجاء ترتيب القرآن الكريم كما نراه أخيراً بين أيدينا ترتيباً توقيفياً لا اجتهد فيه يحتوي على ١١٤ سورة تبدأ بفاتحة الكتاب فالسبع الطوال وتنتهي بقصار السور ثم بسورة الناس.

البسملة من القرآن الكريم وهي ليست آية من كل سورة على أرجح الأقوال عدا فاتحة الكتاب فهي آية. وفاتحة الكتاب هي أم القرآن وهي السبع المثاني وهي جامعة لمقاصد القرآن الثلاثة وهم:-

١. التوحيد الإيمان بالله
٢. القصص الإيمان بملائكة ورسول وكتب وحساب وقضاء الله.
٣. الأحكام والأوامر والنواه الأفعال الصالحة

من هنا كان ثلث القرآن لتعريف الناس بخالق الناس وهذا هو أساس كل إيمان وأساس كل عمل صالح. وحديث القرآن الكريم عن الغيب الذي لا يعلم الإنسان عنه وجاء ليصحح مفاهيم خاطئة في عقول الناس فان خالف القرآن قول الناس والعقل فالقرآن لا ريب فيه والريب يكون في سواه فالقرآن هو كلام خالق العقل وخالق الناس ولذلك

افتتح الله سورة البقرة بقوله: ﴿ أَلَمْ يَكُنْ لَكَ دَلِيلٌ فِي هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ

وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ ﴾ (٣)

(البقرة ٠٠١-٠٠٣)

فالحق المطلق هو ما جاء في كتاب الله، فالحق هو الذي خلق وهو الذي يعلم ولا أحد خلق مع الله فلا أحد يعلم سوى الله فالحق يعلم وأنتم لا تعلمون.

فإذا فهم القارئ آية قرآنية دون أن يدرك ما الجديد في المعنى الذي أضافته الآية فهو لم يفهم الآية لأن القرآن لم يأتي ليخبرنا عن أشياء نعرفها ونحسن فهمها وإلا صار تضيقاً للوقت وإنما جاء ليخبرنا بما لا نعلم ويصحح مفاهيمنا الخاطئة في كثير من الأمور.

فعندما يقول الله تعالى: ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ (٣٦)

(البقرة ٢٧٦)

يناقض هذا الكلام قول العقول وادعاء الناس وحساباتهم البنكية التي تزيد الفوائد على الدائع كلما مر الوقت وبالتالي الصدقات تنقص من المال فيأتي القرآن ليقب المفهوم فيجعل زيادة المال بالتصدق به في مرضاة الله ومحق المال بأن يراعى به صاحبه ويضعه في دهاليز الربى. فالمؤمن يصدق القرآن ويكذب ما سواه، فان صدق هذا سعى لزيادة ماله فيكثر الصدقات ويتوب من الربى.

قال تعالى: ﴿ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ

﴿ ٢٧٩ ﴾

(البقرة ٢٧٩)

مما سبق نرى أنه يجب على المسلم أن يقبل على كتاب الله بعدة طرق.
١. قراءة القرآن الكريم وتلاوته حق التلاوة وهو أفضل أنواع الذكر.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ٥١﴾

(الزخرف ٥٤)

يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ ۖ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

الْخٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ (البقرة ١٢١)

٢. دراسة لتفسيره ومعانيه وتدبره والإيمان به.

٣. حفظه عن ظهر قلب.

٤. العمل بحكمه.

٥. تعليمه للآخرين.

قال رسول الله ﷺ (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ) (رواه أبي داود)

قال رسول الله ﷺ (يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلُهُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدِمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَأَلْ عِمْرَانَ وَصَرَبَ هُمَا رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيَهُنَّ بَعْدُ قَالَ كَأَنَّهُمَا عَمَامَتَانِ أَوْ ظِلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ أَوْ كَأَنَّهُمَا جِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ

صَوَافٍ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبَيْهِمَا) (رواه مسلم)

قال رسول الله ﷺ (قَالَ يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا) (رواه الترمذي)

فيقرأ فيرتقى بكل آية درجة كما ما بين السماء والأرض.

على المسلم أن يكون له ورد قراءة وورد حفظ من كتاب الله حتى لا يكون من الذين هجروا القرآن الكريم على

أن يزيد كمية الآيات المقروءة في الورد تدريجياً.

يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ٣٠﴾

(الفرقان ٣٠)

فعن أبي بكر الصديق - رضى الله عنه - قوله (من ختم القرآن في أكثر من أربعين يوماً فقد هجره)

يجب على المسلم أن يعلم أن القرآن حملاً لا لوجوه وفيه كثير من أنواع الإعجاز اللغوي والعلمي والاقتصادي وهو المنبع الذي لا ريب فيه لكل علم يحتاجه الإنسان، فمن أراد الدنيا فعليه بالقرآن ومن أراد الآخرة فعليه بالقرآن ومن أرادهما معا فعليه بالقرآن وفيه كل ما يحتاجه المسلم من علم للغيب وسائر العلوم التي يحتاجها الإنسان في حياته.

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ

يُحْشَرُونَ ﴿٦١﴾﴾

(الأنعام ٣٨)

إقبالك على كتاب الله هو في حقيقته إقبال على الله وقربك من كلام الله هو في الحقيقة قرب من الله، ومعرفتك

لكلام الله هي معرفة لذات الله إذ أن هذا هو كلامه.

ولذلك جعلنا هذا الحديث عن كلام الله ونحن نتحدث عن ذات الله عز وجل فعلي المسلم أن يجتهد ويدرس ويحفظ

في كتاب الله وأن يكون هذا البحث لتتعرف على الله وتصل إلى الله وإلى حب الله.

خاتمة عن إثبات ذات الله

وهكذا ينتهي حديثنا عن أول جزئية من حديثنا عن الإيمان بالله وهو إثبات ذات الله وفيه تحدثنا عن بعض القواعد في فهم الآيات المتعلقة بذات الله تناولنا مثالا لفهم حديث القرآن عن (يد الله) ثم انتقلنا إلي الحديث عن عالم الأمر المتصل بالله وتحدثنا عن الروح بداية بالروح البشرية والنفس البشرية وأخذنا مثالا لخير النفوس وهى نفس محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم - ثم تحدثنا عن القرآن الكريم واتصاله بذات الله. وهدف كل ذلك هو التعرف على رسول الله وعلى كلام الله وإتمام الجزئية الأولى من الإيمان بالله.

وننتقل الآن فى الحديث إلى الجزئية الثانية وهى إثبات صفات الله عز وجل وهى مجمعة فى أسماء الله الحسنى.

يقول الله تعالى فى خواتيم سورة الحشر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ

إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾

(الحشر ٠١٨-٠١٩)

- (الحديث عن الروح والنفس البشرية)

يقول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾

(الحشر ٠٢٠)

يقول الله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خُدُوعًا مُّتَصِدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا

لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾

(الحشر ٠٢١)

- (الحديث عن روح الأرواح القرآن الكريم)

يقول الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾

(الحشر ٠٢٢)

- (الحديث عن عالمي الغيب والشهادة وعن صفات الذات ثم صفات العطاء والرحمة)

يقول الله تعالى:

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾

(الحشر ٠٢٣)

- (الحديث عن صفات الملك والقدرة)

﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾

(الحشر ٠٢٤)

- (الحديث عن صفات الخلق والبعث والحساب)

ومن هنا كان الانتقال من دراسة إثبات ذات الله وعالم الأمر (الروح - النفس) ثم روح الأرواح (القرآن الكريم) إلى دراسة إثبات صفات الله عز وجل من خلال دراسة أسمائه الحسنى مقسمة من وحي الآيات:

١. صفات الذات العليا.

٢. صفات العطاء والرحمة.

٣. صفات الملك والقدرة.

٤. صفات الخلق والبعث والحساب.

- مقدمة:

الحديث عن صفات الله هو حديث عن أسماء الله الحسنى التي جمعت صفاته والتي جاءت في حديث قال رسول الله ﷺ (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) (رواه البخاري)

(أ) صفة الرحمن:

لفظ الجلالة الله هو العلم على الذات العلية - اسم الله (الرحمن) هو علم وصفة في نفس الوقت أما بقية أسماء الله الحسنى فهي صفات فقط.

يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾

(الإسراء ١١٠)

فاسم الرحمن مستخدم في كثير من آيات القرآن الكريم بدلا من لفظ الجلالة.

يقول الله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ ﴾

(الرحمن ٠٠١-٠٠٣)

﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۝ ﴾

(الملك ٠٠٣)

وهذا يعرف الإنسان بربه عز وجل وكيف هو مصدر لكل رحمة حتى أن الرحمن ليست فقط صفة لله ولكنها اسمه العلم كاسم الله . فما أعظم رحمتك يا رحمن.

(ب) صفة (الذي لا اله إلا هو):

وهو اسم صفة لله تجمع معنى التوحيد وهي أهم صفات الله عز وجل ولعل خير حديث عن حقيقة التوحيد سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن الكريم والتي هي براءة من الشرك.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ﴾

(الإخلاص ٠٠١-٠٠٤)

وهذا هو الاسم الأول الذي يقترب دائما بلفظ الجلالة ويسبق جميع أسماء الله الحسنى.

يقول الله تعالى في سورة الحشر:

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝

۝ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ﴾

(الحشر ٠٢٣-٠٢٤)

ومن هنا نخلص إلى أن من أهم صفات الله عز وجل هي صفة الرحمة وصفة التوحيد ولذلك يجب أن يفهم العبد هاتين الصفتين على وجه الخصوص بكل دقة ليتعرف على صفات الله بحق ، فهاتان الصفتان هما المدخل لجميع الصفات الأخرى لله عز وجل.

(ج) معنى الإحصاء لأسماء الله الحسنى:

الإحصاء يعنى معرفة صفات الله وموجباتها والإيمان به والدعاء بها لله للاستعانة به في كل صغيرة وكبيرة.

يقول الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠)

(الأعراف ١٨٠)

وبالطبع الإحصاء المطلوب هو إحصاء القلب وليس اللسان بحيث تكون الأسماء حاضرة دائما في وجدان المسلم إذ أنه عرف جميع صفات ربه عز وجل ولكن هذا طريق يحتاج فيه المسلم إلى بحث وتخطيط ليصل إلى درجة إحصاء أسماء الله الحسنى كلها بحيث لا ينسى منها اسم ولا يغفل عن الاستعانة بها في جميع أحوال حياته.

(د) ذكر الله بالأسماء:

يقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٤٢)

(الأحزاب ٤١-٤٢)

نعلم أن الذكر يجمع أنواع عديدة كالتسبيح والتحميد والتلهيل والصلاة والسلام على رسول الله والصلاة وقراءة القرآن الكريم وغيره. ولكن المعنى الأصلي لذكر الله هو ذكر الله بأسمائه وصفاته.

فإذا جاء الأمر في كتاب الله بذكر الله ثم تبعه أمر بتسبيح الله فهذا يعنى أمر بذكر الله على وجه مخصوص وذكر الله بأسمائه الحسنى - أي أن يسبح المسلم لله بأسمائه الحسنى التسعة والتسعون فيقول مثلا:

سبحان الله الملك - سبحان الله القدوس - سبحان الله السلام.

الحمد لله الكبير - الحمد لله العظيم - الحمد لله التواب.

وكذلك يكون في التسمية عند افتتاح كل أمر ذي بال يستعين فيه المسلم بالاسم المناسب للعمل الذي هو يقوم عليه، فإن شرع الطالب لاستذكار دروسه مثلا فليقل "باسم الله الرحمن العليم".

وان سعى الرجل ليتكسب الرزق في صباح يومه فليقل: "باسم الله الرحمن الرزاق الوكيل".

وان خاف على شئ قال "بسم الله الرحمن الحفيظ".

وهكذا نستفتح الأعمال باسم أو بعدة أسماء من أسماء الله الحسنى تناسب العمل الذي يقوم عليه المسلم مستعينا بالله في صفة أو صفات محددة ولذلك قال رسول الله ﷺ: (كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدِ أَقْطَعُ) (رواه ابن ماجه) أي مقطوع خيره إذ أن الشيطان يشارك فيه فتتحل منه وتنزع منه البركة والتوفيق والحديث ترك اسم الله مفتوح دون تحديد للاسم ليختار المسلم بنفسه الاسم المناسب للعمل المقدم عليه.

قال الله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مَنِ اسْتَطَعْتُ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (٦٦)

(الإسراء ٦٦)

فذكر المسلم لله عند دخوله إلى بيته وعند طعامه يجعل الشيطان لا يشارك المسلم المبيت والعشاء فإذا ذكر الله عند إتيان زوجته فقال: "بسم الله جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا". جنب الشيطان أن يقترب أهلك معك وان لم تفعل شاركك في ذلك.

ومعنى البركة هو ألا يشارك الشيطان ابن آدم في عمله الذي يعمل له فلا يكون له فيه أي حظ ولذلك كان من المهم تسبيح وتحميد وتلهيل والبسملة لله عز وجل بأسمائه الحسنى.

هـ) حديث القرآن الكريم عن أسماء الله الحسنى:

لم يذكر القرآن الكريم جميع أسماء الله الحسنى التي وردت في الحديث ولكن ذكر أكثر من ثلثيها وبعض الأسماء جاءت بصيغة الأفعال (كالباسط) فجاء قوله عز وجل:

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ٣٠﴾

(الإسراء ٣٠)

وجاءت بعض الأسماء على صورة صفات نكره غير معرفة.

كقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨﴾

(البقرة ١٥٨)

فعليم صفة تعبر عن اسم العليم وشاكر اسم فاعل لصفة الشكر واسم الله لهذه الصفة هو الشكور، كما يلاحظ أن القرآن الكريم جمع بعض الصفات مع بعضها ورتبها فمثلا صفة السميع البصير جمعت في أربع آيات:

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ عَائِيَتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ١﴾

(الإسراء ١٠١)

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ٢٠﴾

(غافر ٢٠)

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي عَائِيَتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ٥٦﴾

(غافر ٥٦)

﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنْ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ١١﴾

(الشورى ١١)

في جميع الآيات تم المحافظة على الترتيب على أن يسبق دائما اسم "السميع" اسم "البصير".

نلاحظ استخدام الصفات مسبقة (بخير - أحكم - أرحم) في بعض الآيات.

يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ٥٨﴾

(الحج ٥٨)

يقول الله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ٦٤﴾

﴿٦٤﴾

(يوسف ٦٤)

يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ٧٧﴾

﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ٧٧﴾

(الأعراف ٧٧)

يقول الله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ (١٥)

(هود ٠٤٥)

وعلى قارئ القرآن أن يتابع استخدامات أسماء الله الحسنى ويقتبس منها أسلوب الاستخدام ليستعين به في دعائه لله وفي ذكره وتسبيحه وحمده لله رب العالمين ونلاحظ أنه تم تجميع لعدد من أسماء الله الحسنى في خواتيم سورة الحشر.

يقول الله تعالى في سورة الحشر:

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾

(الحشر ٠٢٢-٠٢٤)

٣- إنباء أعمال الله عز وجل:

كيفية فهم أفعال الله:

- لا يجب على المسلم أن يخوض في كيفية الفعل لله فالله عز وجل قدرته بين الكاف والنون لا يعجزه شئ في الأرض ولا في السماء ولا يحتاج إلى أي أسباب، فخلقه لأمة كخلقه لنملة. الأمور في قدرته سواء ليس عنده سهل وصعب أو كبير أو صغير أو مستحيل. الكيفية تصلح للخلق الذين يخضعوا للأسباب ولنواميس الكون أما خالق الكون ونواميسه فليس في حاجة إلى أسباب ولا يجوز التجرؤ عليه بكيف.

٤) صفات من عرفوا الله فأمنوا به فأحبهم وأحبوه:

مقدمة:

يجب أن يذكر المتعلم دائما أن غرض العلم هو العمل وأن الغاية من الإيمان العمل الصالح ولا سبيل للإيمان بغير العلم. فإذا كنا نتكلم ونتعلم عن الله عز وجل فإن ذلك بهدف التعرف على الله والسعي للفوز برضائه ثم للفوز بحبه جل وعلا. وهذا هو الهدف من التعرف عن ذات الله وعلى صفات الله وعلى أفعال الله. ولذلك كان من المهم معرفة السبيل إلى الغاية الكبرى وهي الفوز بحب الله.

فيقول الله تعالى ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

(آل عمران ٠٣١-٠٣٢)

وهذه هي الآية الوحيدة التي تبين الطريق إلى الفوز بحب الله ويتلخص في اتباع أحب الخلق إلى الله وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذا الاتباع يعنى اتخاذ الرسول - صلى الله عليه وسلم - أسوة وقوة في كل قول وفعل وفى كل إقرار، فعلينا أن نحاكبه في كل صغيرة وكبيرة ونتعرف عليه وعلى صفاته وأفعاله حتى يكون أحب إلينا من أنفسنا، بعد ذلك ينتقل حبنا له إلى حب كل من أحب صلى الله عليه وسلم من الصحابة فنحبهم ونتأسى بهم لحبه صلى الله عليه وسلم لهم.

ولنعلم أن حب العبد للمرسلين والصالحين يرزقه صحبتهم في الجنة فمن أحب قوما حشر معهم ويحشر المرء مع من يحب.

ويقول الله تعالى ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ ﴿١٦١﴾

(النساء ٠٦٩)

وفرح الصحابة بهذه البشارة أيما فرح إذ شق عليهم أن يفرق بينهم وبين حبيبهم في الجنة صلى الله عليه وسلم إذ هو في أعلى درجات الجنة.

لقد وصف القرآن الكريم في موضع واحد في القرآن الذين يحبهم ويحبونه فقال:

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٥٤﴾

(المائدة ٠٥٤)

إن القوم الذين أثبت حبه لهم وحبهم له هم مؤمنون تملكت من قلوبهم عقيدة أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين – تكون العزة لمن كان قريبا من الله يفقدها كل بعيد عن الله ولذلك كان انكسارهم لعزة الإيمان في كل مؤمن محبا مخلصا لله وكان استعلائهم وعزتهم على كل كافر عنيد بعيد عن الله فصاروا أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين. وهذه العقيدة ألقت في قلوبهم القوة والشجاعة للجهاد في سبيل الله بجانب إخوانهم المؤمنين حتى ينالوا الشهادة لا يعنيههم رضى الناس وحساباتهم ولا يخيفهم قوة العدو وعدده وعدته فهم الضعفاء والله القوي الغالب ولا يعني هؤلاء المؤمنون لوم من يلومهم أو استهزاء وسخرية من يتجرأ عليهم من الجهلاء الذين لا يحسنون إلا حسابات الدنيا. هؤلاء المؤمنون هم الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فيقتلون ويقتلون لتكون كلمة الله هي العليا وهذا هو الذي نتحدث عنه الآيات.

ملحوظة:-

عندما نسعى لحب الله فإننا نسعى أن يكون هذا الحب مهيمنا على قلوبنا كلية ولا يدانيه حب مال أو ولد أو خلاف ذلك قال رسول الله ﷺ: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا) (رواه أحمد)

ويقول رسول الله ﷺ: (أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْدُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ وَأَحِبُّوايَ بِحُبِّ اللَّهِ وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي بِحُبِّي) (رواه الترمذي)

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٢٤﴾

(التوبة ٠٢٤)

من الذين أثبت الله لهم حبه في كتابه العزيز؟

أثبت الله الحب لتسعة أصناف من المؤمنين في سبعة عشر آية بعدد الركعات في الصلوات الخمس في اليوم والليلة.

المجموعة الأولى:-

ذكر الله حبه للمحسنين في خمس آيات.

المجموعة الثانية:-

ذكر الله حبه للمتقين في آيتين وكذلك ذكر حبه للمقسطين في آيتين.

المجموعة الثالثة:-

ذكر الله حبه لأربعة أصناف في آية لكل منهم (المطهرين – المتوكلين – الصابرين – الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص).
كما ذكر الله حبه لصنفين مرة واحدة في آية واحدة وهما التوابين والمتطهرين.

المجموعة الأولى: تشمل فقط المحسنين:

هي الطائفة من المؤمنين الذين أثبت الله حبهم خمس مرات في كتابه العزيز.

١. يقول الله تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة ١٩٥)

٢. يقول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران ١٣٤)

٣. يقول الله تعالى: ﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران ١٤٨)

٤. يقول الله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة ٥٩٣)

٥. يقول الله تعالى: ﴿ فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعِظْ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة ١٠١٣)

تعريف الإحسان:

من المهم فهم معنى الإحسان حتى يتسنى التعرف على المحسنين. عندما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإحسان، قال: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك." وهذا هو قمة الإيمان والتصديق المحض بالله حتى ينتقل من كونه إيمان قلبي فقط إلى أن يكون حق يقين مبني علي علم يقين.

يقول الله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۚ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۚ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۚ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۚ﴾

(التكاثر ٠٠٣-٠٠٨)

فالآية تبين أن الإيمان يصل إلى درجة علم اليقين بعلوم الغيب التي أخبرنا الله بها في كتابه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يزداد الإيمان فيصل إلى حق اليقين فيرى المؤمن هذه الغيبات بعيني قلبه وهذا هو حق اليقين والمعنى في قوله (لترؤن الجحيم) وذلك للمحسنين في الدنيا من فرط الإيمان والتصديق بما أخبر الله ثم يوم القيامة يرونها عين اليقين بأعين رؤوسهم وهذه هي درجة الإحسان فيعبد الله وكأنه يرى الله عز وجل بعيني قلبه فيكون الله حاضرا في كل سكتة من سكاته يراه ويراقبه وهذه هي الدرجة العليا من الإحسان. والدرجة الأقل من الإحسان أن يعيش المؤمن عالما بأن عين الله تراه وترقبه في كل لحظة وفي كل مكان لا يستطيع الفرار منها أو الاختفاء.

صفات المحسنين:

إذا تناولنا الصفات التي وردت في الخمس آيات السابقة التي تعرف بالمحسنين قبل ما تثبت حب الله لهم فسنجد أن هذه الصفات هي:-

١. الحفاظ على النفس وعدم إلقاء النفس في أدنى أذى لها.
٢. الإنفاق في سبيل الله في السراء والضراء بالليل والنهار سرا وعلانية.
٣. كظم الغيظ والعفو عن الناس والتجاوز عن جهلهم طمعا في الفوز بعفو الله ودون أن تترك المظلمة أثرا سينا في قلوبهم، فهو ليس فقط عفو ولكنه صفح كامل فلا يبقى في النفس إلا الخير لجميع الناس.
٤. الإحسان في كل قول وفعل وبخاصة لمن أساء إليهم فيدفعوا بالتّي هي أحسن السيئة.
٥. المسارعة في الاستغفار فور كل معصية دون تباطؤ رغبة في الفوز بالمغفرة والجنة.
٦. يقاتلون في سبيل ولا يستكينوا ويصبروا متحملين كل ما يصيبهم في سبيل الله.
٧. ملازمة ومداومة الدعاء استعظاما لذنوبهم فيسألون الله مغفرة الذنوب وكذلك التوفيق والنصر على الكافرين.

يقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝﴾

(المائدة ٠٩٣)

وبينت الآيات عدة درجات في التطهر والترقى في الدرجات.

الدرجة الأولى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝﴾

(المائدة ٠٩٣)

ويقول الله تعالى عنهم: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝﴾

(البقرة ٠٨٢)

الدرجة الثانية: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٩٣)

(المائدة ٩٣)

أن يرتقى العبد فيصل إلى درجة يسبق فيها العمل الصالح (إيمان وتقوى) وليس إيمان فقط ويأتي بعده عمله الصالح (إيمان وتقوى) فتصدق وتخلص نيته قبل كل عمل صالحا فيكون لله ولله وحده فلا يشرك في عمله الله أحدا إذ أنه يتقى الله في إيمانه بالله وهذا هو معنى (اتقوا وآمنوا)

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا﴾ (١١٠)

(الكهف ١١٠)

ويأتي بعد العمل الصالح تقوى وإيمان تحجزه عن كل عمل سيئ يغضب الله عز وجل، فالدرجة السابقة عمل صالح فقط أما هذه الدرجة فهي عمل صالح بنية صادقة مخلصة تحلى بعد التخلي عن كل الأعمال التي تغضب الله عز وجل وهذه هي درجة المتقين (تخلي وتحلى) أي تخلى عن المعاصي وأولها الشرك وتحلى بالأعمال الصالحة الخالصة لوجه الله.

الدرجة الثالثة: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٩٣)

(المائدة ٩٣)

هي درجة يزداد فيها التقوى والإيمان في قلب العبد فيضاف للعمل الصالح وبعد (التقوى والإيمان) مزيدا من التقوى فيرتقى العمل والإيمان إلى درجة الإحسان (اتقوا وأحسنوا) فيصير الإيمان إحسانا فالعمل يصل إلى أعلى الدرجات من الإحسان. وهنا يبلغ المؤمن درجة المحسنين الذين أحبههم الله عز وجل وأثبت ذلك في خمس آيات مدنية من كتابه العزيز اللهم اجعلنا منهم.

المجموعة الثانية: وهي تشمل (المتقين) و(المقسطين):

وهذه المجموعة تشمل طائفتين من المؤمنين هم المتقين والمقسطين، وجاء ذكر حب الله لكل طائفة من هاتين الطائفتين في ثلاث مواضع في القرآن الكريم.

المتقين:

يقول الله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾

(آل عمران ٠٧٦)

يقول الله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٦٧﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٦٨﴾ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٩﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَا مَنَعَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧١﴾﴾

(التوبة ٠٠٣-٠٠٧)

- تعريف التقوى:

التقوى هي مراقبة الله في السر والعلن في البسر والعسر في السراء والضراء وحين البأس وهي لها أربعة أركان أساسها أركان الإيمان الست:-

١. الخوف من الجليل وهو الله عز وجل وأساسه الإيمان بالله عز وجل.
٢. العمل بالتنزيل وهو كتاب الله وسنة رسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم وأساسه الإيمان بالرسول والكتب والملائكة.
٣. الرضى بالقليل من الرزق الذي قدره الله عز وجل للإنسان وأساسه الإيمان بالقضاء والقدر.
٤. الاستعداد ليوم الرحيل وهو يوم لقاء الله عز وجل حين يحاسب الخالق خلقه على كل صغيره وكبيرة وأساسه الإيمان باليوم الآخر.

والتقوى محلها القلب والعقل والروح التي تحدثنا عنها سابقا وهي معيار تفاضل الخلق عند الله.

فيقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣٣﴾﴾

(الحجرات ٠١٣)

ويقول تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾

(الحج ٠٣٢)

والتقوى هي درجة عالية من درجات الإيمان والهداية فيها صدق النية وإخلاصها لله في الإيمان والعمل الصالح وفيها تجنب لكل اعتقاد أو عمل سيئ فيه يظلم الإنسان نفسه أو يظلم غيره فالتقوى تخلص عن كل ما يغضب الله وتحلى بكل ما يحبه الله عز وجل فلا يراه الله حيث نهاه ولا يفتقده حيث أمره.

يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۖ﴾ (٧)

(محمد ٠١٧)

ولذلك كانت التقوى ثمرة من ثمرات الهداية وزيادة الإيمان وهي تقوى خاصة بكل مؤمن تبعا لحاله مع الله لذلك

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۖ﴾ (٧)

(محمد ٠١٧)

يقول الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ۖ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ۖ﴾ (١١)

(العلق ٠١٢-٠١١)

التقوى من الوقاية من النار فالمؤمن يتخذ من أقواله وأفعاله الصالحة المرضية لله وقاية له من عذاب النار يوم القيامة مما يقتضي معرفة الله ثم خوف منه ومن عقابه ثم العلم بالشرع والحلال والحرام ثم اتباعه.

يقول الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۖ﴾ (١٧)

(المزمل ٠١٧)

التقوى هي البر، والبر هو التقوى والبر كلمة جامعة لكل أنواع الخير وكذلك التقوى هي عين كل خير.

يقول الله تعالى: ﴿*يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا

وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَىٰ وَآتَىٰ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۖ﴾ (١٨)

(البقرة ١٨٩)

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۖ﴾ (٢٤)

(البقرة ٢٢٤)

التقوى تسبقها درجات فيقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۖ﴾ (٢٥)

(النور ٠٥٢)

فأساس التقوى الإيمان بالله ثم برسوله وكتبه واليوم الآخر والقضاء والقدر وطاعة الله ورسوله ثم الخشية من الله ثم يأتي بعد ذلك التقوى في قلب العبد فيكون من الفائزين.

التقوى مصدر للعمل الصالح إذا سبقته وقد تكون متعلقة بذات العمل إذا جاءت بعده. (الآية الأولى)

فيقول الله تعالى:

﴿يَبْنَىٰٓ ءَادَمَ إِمَامًا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

﴾ (٣٥)

(الأعراف ٠٣٥)

(الآية الثانية) ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ

تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ﴾ (١٩)

(النساء ١٢٩)

ففي الآية الأولى كانت تقوى الله هي حافز الإصلاح وأساسه ومصدره وهي الدرجة الدنيا من التقوى. ونجد كثير من آيات القرآن الكريم يأمر فيها المؤمن أن يتقى الله ويتقى عذابه ويأتي بالعمل الصالح،

مثال لذلك قول الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ۖ﴾ (١٥١)

(الشعراء ١٥٠-١٥١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾

(الأحزاب ٠٧٠)

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

(التغابن ٠١٦)

أما في الآية الثانية فكانت التقوى لله في العمل ذاته وهو الإصلاح ولذلك كان العطاء أكبر وهو مغفرة الله ورحمته وهي الدرجة الأعلى من التقوى وأمثلتها كثيرة في القرآن.

. يقول الله تعالى في الإصلاح: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

(الحجرات ٠١٠)

المراد أن يتقى الله في إصلاحه بين إخوانه.

. يقول الله تعالى في الصبر: ﴿لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ

قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

(آل عمران ١٨٦)

المراد أن يتقى الله في صبره.

. يقول الله تعالى في الإحسان: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا

بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾

(النساء ١٢٨)

المراد أن يتقى الله في إحسانه.

. يقول الله تعالى في الإيمان: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا

كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا

فَلََكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

(آل عمران ١٧٩)

المراد أن يتقى الله في إيمانه مما يبين أن علي العبد المؤمن أن يتقى ربه في إصلاحه وفي صبره وفي إحسانه وفي إيمانه فهذه هي تقوى في فعل العمل الصالح وهي الدرجة العليا من التقوى وهي التي ترقى العمل إلى درجة الإحسان وبها يترقى التقى إلى درجة الإحسان.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾

(النحل ١٢٨)

فهؤلاء يتقون الله في عملهم الصالح الله فيصبروا من الذين يحسنون العمل ويتقونوه.

ولقد جمع الله هذين المعنيين في قول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍّ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

(الحشر ٠١٨)

فاتقوا الله (الأولى) دعوة للمؤمن أن يخاف الله ولينظر ما قدمت نفسه وأعدت ليوم الحساب.

أما واتقوا الله (الثانية) فمعناها أن يتقى المؤمن الله في أعماله فيتوب ويصلحها ويعيد المظالم إلى أهلها حتى يصلح عمله ويحسنه. وكذلك التقوى مطلوبة قبل الفعل وأثناء الفعل ذاته وبعد الفعل. فقبل الفعل لتصحيح النية

لتكون خالصة لله وأثناء الفعل حتى يكون عملاً صالحاً رضاءاً لله عز وجل - وبعد الفعل في أن يسره ويتقنه ويحسنه ولا يفسده وتقوى الله هي الطريق إلى الفلاح فالمتقون هم المفلحون.

يقول الله تعالى ﴿الْمَ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٥١﴾

(البقرة ٥٠١-٥٠٥)

ويقول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتٌ لِلنَّاسِ وَالْحُجَّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٥٢﴾

(البقرة ١٨٩)

لقد تحدث القرآن الكريم عن التقوى في كثير من الآيات ليعرفنا بها. وفيما يلي بعض من حديث القرآن الكريم عن التقوى.

١. التقوى زاد القلوب والإيمان، بدونها تموت القلوب وتمرض الأرواح ثم تسمى وتموت.

يقول الله تعالى: ﴿الْحُجَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحُجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحُجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَتَتَّقُونَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ٥٣﴾

(البقرة ١٩٧)

وهو خير زاد يعده المؤمن لآخرته ويكرس حياته ليجمعه حتى يلقي الله ومعه زاد والله لا يسأل الإنسان ولا يكلفه بالإتيان بالرزق وإفناء حياته في جمعه إنما يأمره أن يلتفت إلى جمع هذا الزاد إذ أن هذا زاد الآخرة الباقية أما زاد الدنيا الفانية فقد تكفل الله به لعباده.

يقول الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَقِبَةُ لِّلَّتَّقَوَىٰ ٥٤﴾

(طه ١٣٢)

٢. التقوى لباس يكسو به المؤمن قلبه فيحميه ويقيه عذاب يوم القيامة

يقول الله تعالى: ﴿يَبْنَیْ عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورَىٰ سَوَآتُكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ عَآيَةِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ٥٥﴾

(الأعراف ٢٦)

وبينت الآية أن هذا اللباس هو أفضل من لباس الدنيا الذي يدارى به الإنسان عورته، والإنسان أحوج للباس التقوى من لباس الجسد فالعري هو عرى القلب عن الإيمان وانكشاف مساوئه للخلق وهو متم للباس الجسد لكمال العفة والستر والجمال.

٣. العفو والعدل وتعظيم شعائر الله من التقوى.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٥٦﴾

(البقرة ٢٣٧)

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٨﴾﴾

(المائدة ٥٨)

يقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعِيرَةَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾

(الحج ٣٢)

٤. نقيض التقوى هو الفجور والإثم والعدوان.

يقول الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾

(الشمس ٧-١٠)

يقول الله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٩٨﴾﴾

(ص ٢٨)

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعِيرَةَ اللَّهِ وَلَا الشَّهَرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْفَلَاحِيَّةَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١﴾﴾

(المائدة ٢١)

والآية تبين وجوب التعاون في الخير وفي التقوى، فيد الله مع الجماعة وإنما يأكل الذنب من الغنم القاصية، فالمتقون يجب أن يتعاونوا بينهم في الخير ويجب أن يحاربوا كل تعاون على الإثم والعدوان والفساد والإفساد.

الله يمتحن تقوى المؤمن في قلبه.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

(الحجرات ٢٠)

ولذلك يجب أن يعلم المؤمن أن الله سيمتحن إيمانه وتقواه لله فليستعد لهذا الابتلاء الذي سيكون بنقص في الأموال والأنفس والثمرات وطوبى للصابرين.

٥. تعريف أن الله أهل التقوى وأهل المغفرة.

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾

(المدثر ٥٦)

معنى ذلك أن الله عز وجل أهل أن يتقيه الخلق فهو قادر على العقاب وهو الذي بيديه ملكوت كل شيء ولا ملجأ من الله إلا إليه وكذلك فانه هو أهل أن يغفر كما هو أهل وقادر على أن يعاقب وأن يؤاخذ صاحب الذنب بذنبه لذلك فهو جل وعلا أهل التقوى وأهل المغفرة.

٦. حديث القرآن عن المتقين قسمه إلى ثلاثة أنواع: -

أ. الذين اتقوا:

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف ٢٠١)

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل ١٢٨)

يقول الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزمر ٧٣)

قال تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ (آل عمران ١٩٨)

وهم الذين يجاهدون أنفسهم فينجحوا في أن يتقوا الله في بعض أعمالهم دون غيرها أو أنهم يتقوا الله قبل الفعل فيصحوا النية ويأتون بالفعل ولكن لا يقبله الله عز وجل لما يشوبه من تقصير وإهمال ولما يفتقده من إحسان يجعل من هذا العمل غير مرضى عند الله فليس كل عمل صالح يقبله الله عز وجل ولأن هؤلاء المؤمنين يجاهدون نفوسهم إلى الخير فهم أصحاب نفوس لومة ولذا وعدوا الله الجنة ووعدهم بمعيته جل وعلا. فانهم إذا أصابهم الشيطان بمس أو أصاب النفس بالوسوسة تذكروا الله ووقوا أنفسهم من الوقوع في محارم الله عز وجل. فهم يجاهدون أنفسهم ويزكونها على قدر طاعتهم وائتمارا بقول الله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم. فان اعتاد المؤمن تقوى الله وانتاه في جميع أفعاله، نال الصفة وصار من المتقين الذين يداومون على تقوى الله في كل فعل وكل قول، في السراء والضراء، مع العدو والصديق فيما يحبون وفيما يكرهون.

ب. المتقين:

يقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالرَّسُولِ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة ١٧٧)

(البقرة ١٧٧)

يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (آل عمران ٩٠) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٩١﴾ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩٢﴾

(البقرة ١٠٠-١٠٥)

يقول الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران ١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾

(آل عمران ١٣٣-١٣٥)

ونستخلص صفات المتقين مما جاء في آيات القرآن الكريم:

١. الإيمان بالغيب (بالله - الملائكة - الكتب - الرسل).
 ٢. الإيمان باليوم الآخر إيمان يقين يوقنون بالآخرة كل اليقين أنه يوم لا ريب فيه ويستعدون له.
 ٣. الأنفاق مما رزقهم الله من علم ووقت وبخاصة من مال، فهم يؤتون زكاة أموالهم وزيادة.
 ٤. إعطاء المال على حبه لذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب.
 ٥. إقامة الصلاة.
 ٦. يتقون الله عندما يوفون بعهودهم ويتموا هذه العهود والعقود إلى مدتها.
 ٧. الصبر في البأساء والضراء وحين البأس.
 ٨. الاستقامة مع الناس وبخاصة العدو وإن أبغضوه ما لم ينقض عهده ولم يحد عن استقامته.
 ٩. الصدق والإخلاص والنية الصادقة لله في كل قول وكل فعل.
 ١٠. كظم الغيظ والعفو عن الناس والإحسان إليهم.
- هذه الصفات العشر هي صفات المتقين كما وصفها القرآن الكريم وهؤلاء المتقين يتقوا الله في كل من هذه الصفات كل قدر استطاعته يجاهدون في الإحسان عسى الله عز وجل أن يبلغهم درجة المحسنين.
- هؤلاء المتقين الله عليهم بهم وهو معهم يناصرهم ويحفظهم ويؤيدهم وقد اتقوا الله فعملوا الصالحات واتقوا الله في هذه الأعمال الصالحة فأحسنوها فصارت أعمالهم مرضية.

قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرِّيَّتِي إِنَّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾

(الأحقاف ١٥)

والأعمال المرضية هي التي يتقبلها الله عز وجل إذ أن العبد إذا أحسن عمله الصالح صار من المتقين.

يقول الله تعالى: ﴿*وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾

(المائدة ٢٧)

■ المتقين لا يدخلوا الجنة فحسب بل أن الله أعدها خصيصة لهم وسماها باسمهم (دار المتقين).

يقول الله تعالى: ﴿*وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَحَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾﴾

(آل عمران ١٣٣)

يقول الله تعالى: ﴿*وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَبَرٌ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتٌ عِدْنُ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾﴾

(النحل ٣٠-٣١)

■ المتقون يوم القيامة يحشرون إلى الرحمن وفداً ويزلف لهم الجنة لتقترب منهم فالذين اتقوا يساقوا إلى الجنة أما المتقين فالجنة هي التي تزلف إليهم فتقترب منهم فلا يجهدوا أنفسهم في الذهاب إليها.

يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا﴾

(مريم ٠٨٥)

يقول الله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾

(الشعراء ٠٩٠)

يقول الله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾

(ق ٠٣١)

يقول الله تعالى: ﴿وَرُحُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾

(الزخرف ٠٣٥)

يقول الله تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾

(الزخرف ٠٦٧)

والآيات تبين أن الجنة ليست فقط للمتقين بل أن الآخرة كلها بداية من النشور والحشر والقيامة والحساب للمتقين، ففي عرصات القيامة يتخاصم الأخلاء عدا المتقين يكونوا في ود وحب وسعادة فيما بينهم فقد جمعهم تقوى الله في الدنيا وحبه فدام حبهم في الآخرة لقد فصل القرآن الكريم النعيم الذي يجده المتقين في الجنة.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾

(الذاريات ٠١٥-٠١٦)

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَكِهِينَ بِمَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقْلُهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾﴾

(الطور ٠١٧-٠١٨)

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾

(النبا ٠٣١-٠٣٢)

■ لقد بين القرآن أن الله يعطي هداية القرآن الكريم للمتقين وحدهم، فكلما قرأوا آية زادتهم إيماناً وتقوى.

يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ لِيُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الْيَاسِينَ ﴿١﴾﴾

(البقرة ٠٠١-٠٠٢)

ج. الاتقي:

حق التقوى وهى منتهى التقوى وهو أن يتقى المؤمن الله عز وجل حق تقاته كما أمرنا.

يقول الله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦٦﴾﴾

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٦٧﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٦٨﴾ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦٩﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٠﴾﴾

(آل عمران ١٠١-١٠٥)

ثم نزل قول الله تعالى بالتخفيف: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾

(التغابن ٠١٦)

نلاحظ أن حق التقوى لله تقتضي جهدا متواصلا غير منقطع من المؤمن حتى يلقي الله على الإسلام ولا يفتن طوال حياته من فتن الدنيا وملذاتها حتى تبلغ الروح الحلقوم. ومن الملاحظ أن هؤلاء هم الذين لم يكتفوا بأن يكونوا من المتقين ولكنهم يتحركون بالدعوة للتقوى وللخير بين الناس يدعونهم إلى الخير فيأمرهم بما أمر الله وينهونهم عما نهى الله ، فهم الدعاة إلى الله على بصيرة، وهم المفلحون، فقد أحسنوا إتباع رسول الله فنالوا حب الله.

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلُ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٨﴾﴾

(يوسف ١٠٨)

فهذا هو طريق الأنبياء والعلماء والدعاة ورثة الأنبياء واتباعهم الذين أثبت الله لهم الحب

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾

(آل عمران ٠٣١)

ونلاحظ أن أول مسئولية لهؤلاء الدعاة والعلماء هو توحيد كلمة المسلمين وجمع شملهم وتعليمهم أخوتهم لإخوانهم المسلمين في كل مكان وجمعهم على كتاب الله وسنة رسوله وقد أثبت لهؤلاء الفلاح.

قال رسول الله ﷺ: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ) (رواه البخاري)

فهؤلاء الدعاة هم خير المتقين الصالحين المصلحين فهم نور لغيرهم ولمجتمعاتهم، وتحذرننا الآيات من الفرقة والاختلاف فهذا نذير بهلاكهم وذلهم وبعباب الله لهم يوم القيامة إذ سيضيع الدين من بين أيديهم وما أولئك بالمتقين ولا بالمؤمنين وكان الله بعد ما ذكر أعلى درجات الإيمان وهو تقوى الله حق تقاته ذكر أكبر الذنوب وهى التفرقة والتخاصم بعد أن جعلنا الله بنعمته إخوانا وجمعنا على قرآنة الكريم وحول خير رسله - صلى الله عليه وسلم.

والملاحظ أن جميع صفات من أحبه الله جاءت بصفة الجمع وليست مفردة (المحسنين/ المتقين) فهذا دليل على أن المؤمن القريب من الله يعيش في جماعة المسلمين ولا يعيش بمعزل عنهم، فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعِيشِيَّ يَرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قُلُوبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴿٢٨﴾﴾

(الكهف ٠٢٨)

صفات الأنقى:

جاء ذكر الأنقى في موضع واحد في كتاب الله عز وجل.

يقول الله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿٩﴾ إِلَّا أَتْبَعَا وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿١٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿١١﴾﴾

(الليل ٠١٧-٠٢١)

إمام المتقين هو الذي جاء بالصدق وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتلوه سيدنا أبي بكر الصديق وهو الذي صدق صلى الله عليه وسلم بكل ما جاء به عن ربه عز وجل ثم تأتي صفات الأتقى شاملة لجميع صفات المتقين.

١. ينفق ماله وكل ما يملكه فيما أمر الله وإن أحب المال كل الحب.

يقول الله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ٣٢﴾

(آل عمران ٩٢)

وقال الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ

جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ٩ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ١٠ فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَلَقَّعْنَهُمْ نَصْرَةً وَسُرُورًا ١١﴾

(الإنسان ٠٠٨-٠١١)

٢. يجتهد على نفسه ليزكيها ويصلحها كما يكثر من النفقة والصدقة التي تطهر النفس وتسمو بها.

يقول الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

١٣﴾

(التوبة ١٠٣)

٣. كل عمل يعمل من أعمال صالحة تكون لله ولله وحده يريد بها وجه ربه الأعلى والفوز برضاه فإذا أعطى

أعطى الله وإذا أحب أحب في الله.

قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ أَوْسَطَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ) (رواه أحمد)

فهذا الأتقى لا يعامل الناس بل يعامل الله في كل فعل كما كانت عائشة رضى الله عنها تضع المسك على الدرهم وعندما سئلت قالت: (علمت أن الصدقة تقع في يد الله قبل ما تقع في يد الفقير فأحببت أن تقع في يد الله على أحسن حال).

يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ١٤﴾

(التوبة ١٠٤)

ومن هنا كان أتقى الأتقياء نصبوا حياتهم وباعوها بحق لله فصارت حياتهم رحمة وعطاء وخير للإنس والحيوان والنبات ولكل شئ ولم يستبقوا منها شئ لأنفسهم، يتأسون في ذلك بالرحمة المهداة - صلى الله عليه وسلم - أتقى الأتقياء وخير المحسنين.

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٣٦﴾

(الأنعام ١٦٢)

وهكذا نكون قد وضعنا معنى التقوى ومن هم الذين اتقوا وما هي صفات المتقين ومعنى الأتقى عسى الله عز

وجل أن يرزقنا حبهم ثم يجعلنا منهم فنفوز بحبه جل وعلا. ولكن ما هو السبيل لنكون من المتقين؟

١. عبادة الله:

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦١﴾﴾
(البقرة ٠٢١)

٢. الأخذ بكتاب الله ذكرًا وعملاً وبقوة:

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾
(البقرة ٠٦٣)

٣. تطبيق القصاص لحفظ قدسية الدماء والأموال والأعراض بين الناس:

يقول الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾
(البقرة ١٧٩)

٤. الصيام:

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾
أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾
(البقرة ١٨٣-١٨٤)

البعض وصل (لعلكم تتقون أياما معدودات) وكأن الصائم يكون في تقوى من الله ما دام يشعر بالصوم فإذا انتهى الصوم أو انقضى رمضان وقفت التقوى وكان الله أمر المؤمن بالصوم في رمضان عسى أن ينقيه على الأقل في هذه الأيام المعدودات.

٥. الالتزام باتباع الصراط المستقيم دون غيره من السبل فلا طريق غير الإسلام:

يقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَلُّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾
(الأنعام ١٥٣)

الطريق المستقيم هو الإسلام:

يقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾
(الأنعام ١٢٥-١٢٦)

هو الطريق الأوحـد الموصل إلى التقوى:

يقول الله تعالى ﴿*قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيَّكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَلَا تَقْتُلُوا
أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَيْتُمْ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ
إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَلَّيْتُ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ
وَصَلَّيْتُ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ
ذَلِكُمْ وَصَلَّيْتُ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾

(الأنعام ١٥١-١٥٣)

وقد بينت الآيات عدة ملامح لهذا الصراط الذي يجب اتباعه للوصول للتقوى:

- (١) عدم الشرك بالله شيئا.
 - (٢) بر الوالدين.
 - (٣) البعد عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن.
 - (٤) عدم قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.
 - (٥) عدم قرب مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ويأخذ ماله.
 - (٦) الوفاء بالكيل والميزان بالقسط.
 - (٧) العدل في القول ولو كان أحد المتخاصمين قريب.
 - (٨) الوفاء بعهد الله.
- والآيات بينت أن المؤمن حتى يصل إلى التقوى يجب أولا أن يصل إلى أن يعقل ثم أن يتذكر ثم ينتهي بالوصول إلى التقوى.

المقسطين:

أثبت الله عز وجل حبه للمقسطين في موضعين فقط من القرآن الكريم.

يقول الله تعالى: ﴿سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلْسُحْرِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ
فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٢﴾﴾

(المائدة ٤٢)

يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَاقْتُلُوا الَّتِي
تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَنْتَهِىَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٦﴾﴾

(الحجرات ١٠٩)

معنى القسط:

المقسط هو الذي يعدل في حكمه كل العدل فلا يكون هناك جور على أبن من كفتى الميزان فلا يكون هناك ظالم ومظلوم فيذهب الظلم من حياة الخلق بفضل المقسطين.

وعكس المقسط هو القاسط أي الظالم والجائر.

فيقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾

(الجن ١٥)

ونرى خطورة الظلم أن الله قد جعله ضد الإسلام.

يقول الله تعالى: ﴿وَأَنَا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾﴾

(الجن ١٤)

فلا يكون مسلماً ظالماً أو شاهداً على الظلم وحذر الله عز وجل من الظلم والمظالم.

قال رسول الله ﷺ: (اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (رواه مسلم)

قال رسول الله ﷺ فيما يروى عن رب العزة جل وعلا أنه قال (إِنِّي حَرَّمْتُ عَلَى نَفْسِي الظُّلْمَ وَعَلَى عِبَادِي فَلَا تَظَالَمُوا) (رواه مسلم).

- من أسماء الله الحسنى اسم المقيسط أي الحاكم بالحق والعدل بين خلقه والله عز وجل قائم بالقسط ويقضى بين عباده بالقسط وأمر عباده بالقسط.
- حكى أحد الصالحين أنه مر برجل صلبه الحجاج فقال: (يا رب إن حلمك على الظالمين أضر بالمظلومين).
- ورأى في منامه أن القيامة قد قامت ودخل الجنة فرأى المظلوم في أعلى عليين وسمع صوتاً يقول: (حلمي على الظالمين جعل المظلومين في أعلى عليين).

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أُولَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا

﴿١٣٥﴾

(النساء ١٣٥)

نلاحظ أن الآيات تأمرنا أن نقوم بالقسط والعدل ولو على أنفسنا وعلي أقرب الناس إلي قلوبنا فلا يجعلنا بغضنا لأحد المتخاصمين أن نظلمهم أو أن نحيد عن الحق سواء كنا نحكم بين الناس أو نشهد عليهم، فالعدل والقسط أقرب إلى الله فهو المقيسط العدل الذي يمهل الظالم ولا يغفل عنه.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٥١﴾ مُهْطِعِينَ

مُقْبِعِينَ رُءُوسَهُمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْعِدْتُهُمْ هَوَاءً ﴿٥٢﴾

(إبراهيم ٥١-٥٢)

فيسمع الله دعوة المظلوم ويرفعها فوق سبع سموات وينادي (وعزتي وجلالي لأنصرك ولو بعد حين).

المقسط الحق هو الذي يظلم نفسه خوفاً من أن يظلم الناس شيئاً ولو قليل إذا حكم فيما اختلف فيه هو نفسه مع الناس أما إذا حكم بين الناس فلا يفرق بين كبير وصغير وبين غنى وفقير وبين قوى وعزيز أو ضعيف وبين محبوب وعدو، فالطرفان لا فرق بينهما حتى يحكم بينهما بالقسط.

ومن السبعة الذين يظلمهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله (إمام عادل) وقال العلماء أن الإمام من استخلفه الله على عشرة من الخلق فعدل فيهم وبينهم كان إماماً عادلاً فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته.

خطورة تعطل الحق والنصرة للمظلوم بين الناس خطورة لا تدانيها خطورة فالحق عز وجل يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة، فالله قد خلق السماوات والأرض بالحق فإن مالت كفة الميزان في الدنيا فكن على يقين أن يوم القيامة ستعدل إلى الحق والعدل.

فيقول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا

وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴿٥٧﴾

(الأنبياء ٥٧)

ويقول الله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٧٧﴾

(غافر ٧٧)

إذاً ينتهي كل ظلم في يوم الحساب ويعود لكل ذي حق حقه حتى يقتص من الدابة التي كانت صاحبة القرون من الدابة التي كانت بغير قرون. فالكافر لا يدخل النار حتى يوقن أن النار أولى به من الجنة وأنه لا يستحق إلا النار فلا يشعر بأدنى ظلم بعد أن حكم الله بين الخلق وذلك بالرغم مما يرى من شدة عذاب جهنم. القسط هو الذي يحمي وحدة المسلمين وهو صمام أمان أخوتهم فانه إن حدث ظلم فهؤلاء المقسطين هم حينئذ الذين ينقذون أرواح ودماء وأموال المسلمين من الذهاب في حروب وصادمات لا يعلم مداها إلا الله ولا يجنى ثمارها سوى أعداء المسلمين. فهؤلاء المقسطين يصلحوا بين الفئات المتصارعة فان بغت إحداها على الأخرى قاتلوا حتى ترضى بالحق والعدل وحينئذ يحكموا بالعدل ويقسطوا فترضى النفوس وتخمد الفتنة. لقد جعل الله لدماء وأموال وأعراض المسلمين قدسية لا تبيحها الأعداء الشرعية فكان الظلم كل انتهاك لدم أو عرض أو مال المسلم لأخيه المسلم ولو كان المسلم يظلم نفسه ويتعدى على ماله ونفسه وعرضه هو ذاته فقد حرم الله على العبد أن يظلم نفسه أو أن يظلم غيره. المقسطون هم الذين يحمون الأموال والأعراض والدماء للناس كي يعيشوا في أمن وأمان فبغيرهم تخرب البيوت وتضيع المجتمعات ويخسر الإنسان نفسه وينتشر الفساد في الأرض. لذلك كان المقسطون أعداء لكل حاكم ظالم يقتلهم ويعذبهم ليستمر في غيه دون دافع.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَيَّرَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١١ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ١٢﴾

(آل عمران ٠٢١-٠٢٢)

ولعل جمع النبيين بالذين يأمرون بالقسط في الآيات يبين قدر هؤلاء المقسطين وأهميتهم في المجتمع وبالتالي خطورة مسهم بسوء. أمر الله عز وجل كل مسلم أن يفي الكيل والميزان بالقسط فلا يظلم.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَدِّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ١٣﴾

(الأنعام ١٥٢)

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ١٤﴾

(الأعراف ٠٢٩)

يقول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ١٥﴾

(الرحمن ٠٠٩)

يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ١٦﴾

(الحديد ٠٢٥)

ولقد حذر الله من تطبيب الميزان وعدم وفاء الكيل حقه وسمى هؤلاء بالمطففين.

فقال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُنْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ١٧﴾

(الإسراء ٠٣٥)

ويوم القيامة سيضع الله الموازين القسط العادلة فلا تظلم نفس شيئا.

يقول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا
وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾

(الأنبياء ٤٧)

ومما سبق نرى أنه يجب على كل مسلم يحكم بين الناس أو يشهد بينهم أن يجتهد كل الجهد ليكون من المقسطين إلى أقصى حد وليستعن بالله وباسمه المقسط وليستشير وليستخير فلا عذر له في أن يحكم بين الناس بغير الحق. ولعظم هذه المسؤولية كان حب الله للمقسطين. والمقسط يطبق هذا العدل في بيته فيعدل بين أولاده ويعدل بين زوجاته كما كان يفعل النبي محمد – صلى الله عليه وسلم.

المجموعة الثالثة: من صفات من أحبه الله:

هذه المجموعة من المؤمنين تضم ٦ أصناف يمكن تقسيمهم إلى قسمين:

القسم الأول: المطهرين - المتطهرين - التوابين.

القسم الثاني: الصابرين - المتوكلين - الذين يقاتلون في سبيل الله صفا كأنهم بنيان مرصوص.

هذه الأصناف الست أثبت الله لهم حبه في كتابه العزيز مرة واحدة لكل منهم.

القسم الأول: صفات الطهارة:

هذا القسم يجمع صفات كلها متعلقة بالطهارة الحسية والطهارة المعنوية.

المطهرين: وهم الذين يحبون أن يتطهروا من كل نجاسة حسية ومن كل ذنب يدنس قلوبهم.
يقول الله تعالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ (١٣٨)

(التوبة ١٠٨)

والعجيب أن نرى أن الله يثبت حبه لمن أحب الطهارة فهذا يدل على عظم أهمية الطهارة في حياة الأفراد والمجتمعات ومن ذلك لا يكون المؤمن صالحا إذ عاش في ثوب غير نظيف أو في جسد غير نظيف أو في مكان غير نظيف أو بصحيفة أعمال غير نظيفة من الذنوب والمعاصي أو بقلب غير نظيف من الأمراض. فالطهارة يجب أن تعم المجتمعات المسلمة وتظهر كسمة أساسية في شخصية المجتمع. إن الطهارة في المجتمع على مستوى الأفراد والمجتمعات تدل على أن هذه المجتمعات قريبة من الله عز وجل ومن شرعه فمن أحب الطهارة فقد أحب الله وقد أحبه الله ولذلك كانت أهمية المسارعة في التوبة وعدم تسويفها فمحب الطهارة لا يتحمل أن يظل على جسده نجاسة ويتباطأ في إزالتها أو قد ألم بمعصية دنست قلبه ويتكاسل عن التوبة عنها ولكنه يسارع إلى توبة ومغفرة من الله فرارا من الله إليه فيتوب من قريب ولا يؤجلها حتى يحضره الموت كما يفعل كثير من الناس فيقول (أنا تبت الآن) فهو لاء لا يتوب الله عليهم فالنجاسة كلما تركت علت الجسد والقلب حتى يعمى القلب ويسود بالران ثم يحجب العبد عن الله فينسى الله وينساه الله بعد أن ينسيه نفسه.

يقول الله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١٤)

(المطففين ٠١٤)

استخدم القرآن لفظ الطهارة للمعنى المعنوي في حديثه عن السيدة مريم - رضى الله عنها فصار الاصطفاء مرتبط بالطهر.

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٤)

(آل عمران ٠٤٢)

كما بين القرآن أن الصدقة تطهر القلوب وتزكيها.

يقول الله تعالى:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٣)

(التوبة ١٠٣)

وقد أمر الله بتطهير المكان وبتطهير الثوب فقال لنبيه إبراهيم أن يطهر بيته الحرام للطائفين والقائمين.

فقال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(٥٢)
(الحج ٢٦)

يقول تعالى: ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۖ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝﴾

(المدثر ٥٤-٥٥)

لقد أمر الله ألا يمس كتابه العزيز إلا المطهرون الذين يحبون أن يتطهروا.

يقول الله تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ۝ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۝﴾^(٧٨)

(الواقعة ٧٨-٧٩)

التوابين والمتطهرين:

يقول الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ۝﴾^(٢٢)

(البقرة ٢٢٢)

تتحدث الآيات عن الحيض فتبين أنه إذا انقطع الدم وهو نجاسة حسية فتكون المرأة قد طهرت ولكن عليها أن تتطهر بأن تغتسل قبل ما يقربها زوجها ثم أثبت الله حبه للتوابين والمتطهرين.
وهذه الآية هي الوحيدة في القرآن الكريم التي جمعت بين صفتين أثبت الله لهما الحب مع تكرار الفعل (يحب) بغير تكرار لفظ الجلالة (الله).

وذلك إن دل على شيء فإنما يدل على صلة خفية بين الطهارة الحسية والطهارة المعنوية.
فالحيض نجاسة حسية فكان المتوقع أن تسبق صفة (المتطهرين) صفة (التوابين) إذ أن الحديث لا يتناول ذنوب ومعاصي بل يتناول نجاسة حسية.

وذلك يبين أن غسل المرأة بعد انقطاع الدم ليس طهرا جسديا فحسب ولكنه شأنه شأن كل غسل يغسل الجسد من الأوساخ والروح من الذنوب.

فليس الوضوء والغسل لطهارة الجسد فحسب بل هما لطهارة القلوب والأرواح من دنس المعاصي.

ولذلك شرع التيمم إذا انعدم الماء وكان المسح على الخف من أعلى وليس من أسفل وكان الوضوء على الوضوء نور على نور ينزل مع الماء أو مع آخر قطرة ماء كل معصية أتاها المتوضئ بيده أو لسانه أو عينيه أو قدميه.

قال رسول الله ﷺ: (مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ

مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ فُتِيحتْ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا

(شَاءَ) (رواه الترمذی)

وهكذا نفهم حكمة الجمع بين الصفتين وتقديم التوابين على المتطهرين إذ أنه لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، فطهارة القلوب من المعاصي بالتوبة أهم من طهارة الأجساد من النجاسات الحسية وفي كل خير ولذلك كان الطهور شطر الإيمان، فمن أراد أن يظل قلبه دائما نظيفا طاهرا من المعاصي والأمراض فليحرص على أن يكون جسده نظيفا طاهرا ذو رائحة طيبة.

هو اسم من أسماء الله الحسنى ومعنى التوبة هو الرجوع إلى الله والإنابة إلى الله والإنابة إليه بعد البعد عنه بسبب المعصية. وأركان هذه التوبة:

١. الندم على المعصية.
 ٢. الإقلاع عن المعصية.
 ٣. العزم على عدم الرجوع إلى المعصية كما يكره أن يقذف في النار.
 ٤. رد المظالم إلى أهلها.
- والتوبة أساسها الندم فان ندم العاصي عن معصية فليستبشر أن الله قد تاب عليه وأنه قد تاب إلى الله وقبل الله توبته،

فقال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّالِثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ١١٨﴾

(التوبة ١١٨)

ومن عصى ورجع إلى التواب قبله، فان وقع ذنب وعاد إليه رحب به فان زل واعتذر ولا يزال العبد توابا ولا يزال الرب غفارا ما لم يغرر. الله علم أن كل ابن آدم خطاء . وقد جعل خير الخطاءين التوابون الذين يتوبون إلى الله من قريب بعد كل معصية ولا يسوفونها حتى تأتي سكرات الموت بالحق وعندئذ فيقول: رب ارجعون لعلنى أعمل صالحا فيما تركت. فانه هو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وقد أمرنا الله بالتوبة إليه.

فقال الله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُضٌ مِّنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَائِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءٍ أَوْ إِخْوَانٍ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَىٰ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَىٰ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَىٰ الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٣١﴾

(النور ٣١)

والرسول - صلى الله عليه وسلم كان يستغفر الله تعالى في كل يوم مائة مرة ، وكل استغفار ينتهي بتوبة نصوح ويقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزَىٰ اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٥٨﴾

(التحريم ٥٨)

قال الله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ٢٠٣﴾

(النصر ٢٠٣)

من رحمة الله علينا أن جعل الملائكة تستغفر للذين تابوا إلى الله، فيقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٨﴾

(غافر ٥٧-٥٨)

▪ وقد أخبرنا الله عز وجل أن باب التوبة لا يغلق لا بالليل ولا بالنهار.

قال رسول الله ﷺ (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيُتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيُتُوبَ

مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا) (رواه مسلم)

والتواب هو الله الذي يقبل رجوع وإنابة العاصي وندمه مهما تكرر ذنبه فالله يتوب عليه ما دام صدق في توبته. والتواب هو الإنسان الذي يكثر الذنوب فيكثر التوبة إلى الله فيحببه الله لدوام إنابته إليه وحرصه على العودة دائما إلى صراط الله المستقيم.

يقول الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ۝﴾

(الشورى ١٣)

فإن الله هو الودود اللطيف الحليم على خلقه، فإن أخطأوا فهو غافر الذنب وقابل التوبة فهو الرؤوف الغفور الغفار الرحيم الرحمن، ولا يغفر الذنوب إلا هو فمهما كثرت الذنوب فلن تكثر على حلم الله ومهما عظمت فلن تعظم على رحمته ومهما تعددت فلن تتعدد على الله فهو الغفار الغفور الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات. يستر الخلق وهم يعصونه ويمهلهم حتى يرجعون إليه فإن رجعوا فرح بهم وغفر لهم وعفا عنهم وبدل سيئاتهم حسنات.

ولنتذكر أن أول تائب هو آدم عليه السلام فأوحى الله إليه بكلمات التوبة. ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝﴾ (الأعراف ٢٣)

يقول تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝﴾

(البقرة ٣٧)

▪ التوبة يجب أن يتبعها إصلاح إن كانت معصية متعلقة بمظالم الخلق ويجب أن يتبعها عمل صالح إن كانت معصية ظلم للنفس.

يقول تعالى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝﴾

(المائدة ٣٩)

يقول تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۝﴾

(مريم ٦٠)

يقول تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝﴾ (الفرقان ٧٠)

يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ۝﴾

(القصص ٦٧)

يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۝﴾

(الأعراف ١٥٣)

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۝﴾

(الفرقان ٧١)

▪ التوبة هي الرجوع إلى طريق الله المستقيم والاستقامة عليه واتباعه والاجتهاد في عدم الخروج عنه بمعصية جديدة تشابه المعصية الأولى أم تطابقها لذلك كان دعاء الملائكة لمن تاب واتبع سبيل الله وأعلن إسلامه كبداية جديدة مع الله

يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝﴾

(غافر ٥٧)

يقول الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝﴾

(الأحقاف ١٥)

. التوبة خير للتائب وهي دلالة على أن قلب التائب قد صاغ وطهر ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون.
يقول الله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝﴾

(التوبة ٣)

يقول الله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أُولُوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝﴾

(التوبة ٧٤)

يقول الله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ۝﴾

(التحریم ٤)

. التوبة يريد بها الله لنا ويقبلها من المسارع بها إليه.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ اللَّهَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝﴾

(النساء ١٧-١٨)

يقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا ۝﴾

(النساء ٢٧)

قال رسول الله ﷺ (مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ)

(رواه أبي داود)

وتلا قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ﴿١١٠﴾

(النساء ١١٠)

■ الاستغفار من الذنب يسبق كل توبة نصوح صادقة لله.

يقول الله تعالى: ﴿ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ

فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ ﴿٣٠﴾

(هود ٣٠)

يقول الله تعالى: ﴿ وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ ﴿٩٠﴾

(هود ٩٠)

يقول الله تعالى: ﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ

وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُجْزَىٰ اللَّهُ النَّاسَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿٨٠﴾

(التحریم ٨٠)

ومما سبق يتضح لنا أهمية أن تكون الطهارة عصب حياتنا حتى نكون من الذين يحبونها فنصبح من المطهرين

ثم نجتهد لنحافظ على طهارة أجسادنا وملابسنا وأماكن تواجدنا ولنسبغ الوضوء ولنكرره فهو نور على نور

يمحو الله به الخطايا والذنوب قبل ما يزيل النجاسة من على الأجساد.

القسم الثاني: (المتوكلين - الصابرين - الذين يقاتلون في سبيله هذا

كأنهم بنيان مرصوص)

هذا القسم الثاني من الصفات التي ذكرها الله مرة واحدة في القرآن الكريم مثبتا لكل منها حبه مكملا للقسم الذي تناول صفات الطهارة كالمطهرين والمتطهرين والتوابين مبينا أسلوب معالجة أحوال المعصية والخروج عن الصراط المستقيم ووجوب المسارعة إليها مرة أخرى وعدم التسويف وعدم التباطؤ في إزالة كل نجاسة تأتي على القلب أو على الجسد. وهذه صفات من أحبهم الله عز وجل. إلا أن الإنسان في طريق حياته وأثناء سيره في طريقه إلى الله على الصراط المستقيم يتعرض لكثير من المواقف المتباينة والمختلفة ويختلف اختيار كل مسلم عن أخيه المسلم، إلا أن الله عز وجل اختار لنا سلوكا وفكرا وفهما في كل موقف من هذه المواقف فإذا اخترنا اختيار الله لنا فزنا بحبه وقد عرض الله علينا.

ثلاث اختيارات لمن أراد حبه:

أن يكون للمسلم رسالة وهدف يسعى لتحقيقه خدمة لدين الله يقدم في سبيله ماله ونفسه ويشتري بثمانها حب الله عز وجل. هذه الرسالة هي رسالة رحمة وعطاء لجميع مجتمعات البشر في كل قطر من أقطار المعمورة فهو يبني ويجاهد بإخلاص جنبا إلى جنب مع إخوانه من المؤمنين كالبنين المرصوص يشد بعضه بعضا ويجمعهم كتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - لا يعينهم ما يصيبهم في سبيل ذلك ولا سبيل لشيطان ليفرق جمعهم أو كلمتهم أو وحدتهم.

يجاهدون جهادا بالمال والأنفس وكل شئ حتى خروج الروح و في سبيل الله فهو إخلاص تام لله هدفه الله وحده فهم يقاتلون وهم في سبيل الله أي في طريق الله وليس في طريق الدنيا أو المال أو الجاه وهم في ذلك متراصين صوفيا يقف كل منهم بجانب أخيه كما يقفون في صلاة الجماعة ووجوههم إلى القبلة وقلوبهم معلقة بذكر الله ليس بينهم فرجة يدخل منها الشيطان لينزع بينهم أو يقع بينهم العداوة والبغضاء والفرقة يشبهون في ذلك البناء المكون من قوالب من الطوب المتراص كل قالب ملتصق في القالب الذي يليه ويربطهما الأسمنت والمونة ليجمعها كالقالب الواحد.

وهذا الرباط هو رباط الحب في الله. فيشعر كل من هؤلاء المجاهدين مسئوليته التمسك بترابطه مع أخيه المؤمن وكذلك بمسئولية أن يعمل على الحفاظ على هذا التماسك وهذا الحب بين إخوانه المؤمنين الآخرين بعضهم مع البعض.

ولذلك كان أول ما فعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عندما أسس أول مجتمع إسلامي على وجه الأرض هو أنه بنى المسجد وأخى بين المهاجرين والأنصار حتى كان المؤمن يشاطر أخيه في الله ماله وبيته فألف الله بين قلوبهم وجعلهم على قلب رجل واحد. ومن السبعة الذين يظلمهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه . وكان أوثق وعرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله.

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ ﴾

(الصف ٥٠٤)

وهكذا بينت الآية أن الله يحب الذين يقدمون أرواحهم وأموالهم حتى الموت مخلصين في ذلك وهم يسيرون في طريقهم إلى الله خدمة لدينه وعزة لأهله ونصرة للمؤمنين إخوانهم المستضعفين منهم ولو وصل هذا الجهاد إلى القتال والموت دونه. وهم على ذلك متحدين مع الجماعة متماسكين متحابين في الله فيما بينهم متراصين كما يقفون

في صلاتهم وكما يرص الطوب لبناء البنيان لا يتركون فرصة للشيطان ليزغ بينهم فالكثف في الكتف والقدم في القدم والقلوب متعانقة والأرواح متألقة الله غايتهم والقرآن نورهم والنبي - صلى الله عليه وسلم - إمامهم وأسوتهم - قد باعوا كل شيء واشتروا حب الله عز وجل وثوابه.

الجهاد في سبيل الله لا يقتصر على قتال الأجساد ولكن يعم القتال الأرواح الكافرة وقتال كل هوى يضل عن سبيل الله وقتال كل طاغوت وقتال لكل شيطان مارد وقتال لكل كبر وأثره وظلم وإفساد. وساحة القتال ليست فقط ساحات المعارك العسكرية ولكن تشمل أيضا ساحات القتال كل موقع، كل جريدة، كل مكان، يعصى الله فيه ويستهزأ فيه بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وأسلحة القتال ليست فقط الدبابات والطائرات ولكن أسلحة القتال تتعدد وتتنوع تبعا لنوعية القتال وأهم هذه الأسلحة العلم والحكمة والإيمان والوحدة والفهم والعقل المستنير والمال والسلطان . . . فكل أنسان وله دوره في هذه الدنيا لخدمة دين الله وكل يعلم بابه إلى الله كما تتعدد أبواب الجنة يوم القيامة.

وليزكر المؤمن أن الله خلقه في هذه الأرض ليكون خليفة له عليها يصلح ما فسد ويبقى على ما صلح صالحا يحق الحق ويبطل الباطل وينصر المظلوم ويرحم الضعيف ويعين ذا الحاجة ويغيث الملهوف ويقضى عن المدين ويصلح ذات البين ويصل الرحم ويعطى الناس ويحرم نفسه ويؤثرهم على نفسه وينفق مما يحب ويأمر بالمعروف والبر وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغض يحكم بين الناس بكتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - وينشر نور كلام الله على مسامع وأعين الخلق في أقطار المعمورة. كل ذلك يفعله ويده بيد أخيه المؤمن فيكونوا كذلك بحق رحمة مهدها كما كان نبينا وحبيبنا محمد - صلى الله عليه وسلم - و فلنكون على استعداد دائم للجهاد في سبيل ذلك أن نقدم أرواحنا لبارئنا جل وعلا فإنما الموت مودة واحدة فلتكن في سبيل الله.

قال رسول الله ﷺ (مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغُرْ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسُهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نَفَاقٍ) (رواه مسلم)

ويقول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣١)

(العنكبوت ٥٦٩)

أولاً: المتوكلين:

عندما يقدم المؤمن على كل عمل أو أمر ذي بال يجب أن يستعين بالله فيه وعليه ويكون ذلك بأن يتبع المؤمن الخطوات الآتية كي يكون بحق متوكلا على الله وليس بمتوكلًا:

- أن يفكر في حكم العمل الذي هو قادم عليه فان كان حراما أو مكروها تركه وان كان مفروضا أو مسنونا أو مستحبا أقدم عليه وان كان مباحا استشار ثم استخار فيه استئذانا من رب العباد أن يأتيه.
- إن كان العمل الذي يقدم عليه فرضا أو مسنونا تعلم كيف أمر الله أن يفعل وكيف فعله أحب الخلق إلى الله - محمد - صلى الله عليه وسلم واختار أفضل وقت وأفضل أسلوب وأفضل صحبة لهذه الطاعة حتى تكون مقبولة عند الله. أما إذا كان مباحا فعليه أن يستشير أهل الخبرة والثقة والاختصاص ثم يصلى ركعتين من غير الفريضة ويدعو دعاء الاستخارة سائلا المولى عز وجل أن يوفقه لما فيه خير دنياه وأخراه والله يعلم وأنتم لا تعلمون.
- بعد الإعداد للعمل حتى يأتي على أفضل وجه وبعد الإعداد قدر الاستطاعة والقدرة، يعزم المؤمن أن يبدأ العمل والله وكيهه يصاحبه فيه ولذلك يبدأ الفعل بالتسمية مع اختيار اسم من أسماء الله الحسنى الذي يتناسب مع الفعل ويجدد ويخلص نية العمل أن تكون خالصة لله وحده ويدعو الله عز وجل أن يوفقه في هذا العمل ويجعله خالصا لوجه الكريم، يبتغى الأسباب المشروعة فقط ويترك النتائج لله ولاختياره جل وعلا.

الدعاء الخالص لله وابتغاء الأسباب المشروعة بكل إتقان وتفان مع ترك النتائج لله هو عين التوكل على الله. ثم أن يرضى بنتيجة العمل ما دام لم يقصر جهدا في إتقانه وتحري التوفيق فيه لأن التوفيق من الله فان كان توفيقا نسبه إلى الله وليس إلى نفسه وان كان غير ذلك فليقل (قدر الله وما شاء فعل) وليكن على يقين أن الله عز وجل قد اختار له الخير وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون. ولا يجب على المؤمن أن ينسى شكر الله على توفيقه له في كل عمل بأن يسجد لله سجدة شكر.

يقول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١٦٦ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ١٦٧ وَلَئِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ١٦٨ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ تَكُنْ فَنَّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ١٦٩﴾ **إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ١٧٠﴾**

(آل عمران ١٥٦-١٦٠)

نلاحظ أن الآيات تتحدث عن القتال في سبيل الله وكيفية الاستعداد له ثم التوكل على الله وهذا هو الموضع الوحيد في القرآن الكريم الذي يثبت الله فيه حبه للمتوكلين، فهذا التوكل الذي يحبه الله. إن كان المؤمن يعتاد التوكل على الله في كل أمر من أمور معاشه فالاستعداد للقاء الذين كفروا أولى هذه الأمور بالتوكل على الله فيها فهي أصعبها على النفس إذ أن الحياة فيها تتطير من الأجساد تحت حدة السيوف ووطيس القتال.

- بدأت الآيات تعلم المؤمنين أن لكل إنسان أجل محدد إذا جاء أجلهم لا يستأخرون منه ساعة ولا يستقدمون والقتال لا يعجل بعمر لم ينتهي والهروب من القتال لا يطيل عمرا ولكن الموت عندما يكون في قتال في سبيل الله فهو مغفرة ورحمة من الله وهو خير مما يجمع الناس في هذه الدنيا فالكل يعود إلى الله بعد موته ويحشر إليه يوم القيامة.

ثم ترشد الآيات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي كان رحيمًا ولينا بالمؤمنين رقيق القلب عليهم فأحبوه واجتمعوا حوله وهكذا يكون القائد والمعلم ورب الأسرة، ترشده الآيات إلي أن يستمر في عفوه عن جهلهم وأن يستغفر لهم وأن يشاورهم إذا عزم قتالا حتى يكون الأمر اختيارهم فإذا وافقوا واستعدوا للقتال فليتوكلوا على الله وليقدموا على هذا القتال واثقين من أن النصر من عند الله وأن الله لا غالب له وأنه لو خذلهم الله فلا أحد ينصرهم من بعده ولذلك كان التوكل لازما عليهم لله والله وحده فليس النصر لعدتهم أو لكثرتهم أو لحكمتهم أو لغير ذلك ولكن النصر عطاء لا يملكه إلا الله عز وجل يعطيه بغير أسباب ما دامت القلوب المؤمنة قد صدقت النية وأحسننت ابتغاء الأسباب وإعداد العدة ، فعلى الله وعليه فقط فليتوكل المؤمنون ولا يتأخرون في هذا التوكل فلا سبيل لهم للنصر بغير الله ولو جمعت لهم الدنيا بجيوشها.

اسم الله "الوكيل":

المتوكلون يفهمون معنى التوكل الحقيقي الذي لا هو تواكل بترك الأسباب ولا هو عبادة للأسباب ونسيان المسبب. عن عمر رضى الله قال رسول الله ﷺ: (لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَعْدُو حِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا) (رواه الترمذي) قلب المؤمن كالوعاء بقدر ما فيه من توكل بقدر ما يحتاجه من ابتغاء أسباب فيرزقه الله كما يرزق الطير التي تذهب وهى جائعة لا تدري أين هي ذاهبة وأين رزقها ولكنها

تعود وقد امتلأت بطنها وشبعت فقد أطعمها الله الرزاق ذو القوة المتين . وخير مثال لذلك السيدة مريم – عليها السلام – التي كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا فسألها أنى لك هذا فقالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب . وهنا امتلأ قلب السيدة مريم عليها السلام بالإيمان واليقين والتوكل والتسليم الكامل والصادق لله ولذلك لم تحتاج إلى الأسباب لترزق ، وهذا مقام الأنبياء والمرسلين والمقربين ولكن عندما بشرت بالغلام تعجبت أنى يكون لها ولد ولم يمسهها بشر فقل اليقين على الله والتوكل عليه والتسليم ونلاحظ هنا أن القرآن أثبت أنها أمرت أن تهز النخلة بعد ولادة المسيح – عليه السلام – لتساقط عليها رطبا كي تأكل منه وتتغذى به . وهذه إشارة إلى بعض الأسباب التي تبتغى – وليست كأسباب البشر إذ أن المرأة بعد الولادة تكون أضعف من أن تهز نخلة فتسقط الثمر والرطب – إذ أن توكلها على الله قل عن ذي قبل حين كانت ترزق بغير أسباب ولذلك كانت الحاجة لتكملة ما نقص من توكل بأسباب من أسباب الخلق فكان هز النخلة.

لذلك فالتوكل يقتضي ابتغاء الأسباب والدعاء وتسليم الأمر ونتائجه لله عز وجل ليختار ثم بعد ذلك الرضى بما اختاره الله عز وجل وعدم القلق على ما يأتي به القدر ، فالمؤمن أمره كله خير، وليس لأحد ذلك سوى المؤمن.

قال رسول الله ﷺ (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) (رواه مسلم)

فهم اسم الله الوكيل أمر هام ليتحقق التوكل بمعناه الحقيقي والكامل. فالوكيل هو الموكل إليه جميع الأمور ويقوم بتأديتها مع القدرة التامة وليس ذلك إلا الله تعالى فهو الكافي كل الكفاية لمن توكل عليه فمن توكل على الله فهو حسبه وكفى بالله وكيلًا، وهو نعم المولى ونعم الوكيل.

والله هو الذي يملك جميع مقومات الوكيل دون سواء وذلك أنه الحي الذي لا يموت والحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وهو العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم فما يكون نجوى اثنين إلا وهو ثالثهم ولا ثلاثة إلا هو رابعهم وهو على كل شئ شهيد وبكل شئ محيط وعليم فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض كما أنه جل وعلا هو الله الذي لا اله إلا هو الملك القدوس القادر المقتدر الخالق البارئ المصور هو الخالق لكل شئ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون هو الذي في السماء اله وفي الأرض اله.

والتوكل هو تفويض الأمر لله ولا يكون الوكيل وكيلا إلا إذا اجتمعت فيه خمس صفات:

١. أن يكون عليما والله بكل شئ عليم
 ٢. أن يكون قادرا والله على كل شئ مقتدرا
 ٣. أن يكون رحيفا والله وسع كل شئ رحمة وعلمًا
 ٤. أن يكون هاديا فالله هو الهادي إلى سواء السبيل
 ٥. أن يكون حيا لا يموت ولا يغفل ولا ينام والله هو الحي القيوم الذي لا يموت ولا تأخذه سنة ولا نوم.
- لقد وصف رسول الله سبعين ألف من أهل الجنة يدخلونها بغير حساب.

قال رسول الله ﷺ: (هُم الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَجْهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (رواه مسلم)

وفى صحيح البخاري عن ابن عباس رضى الله عنه قال (حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها سيدنا إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار وقالها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل.

عن أنس - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ قَالَ يُقَالُ حِينَئِذٍ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ فَتَنَّتَحَى لَهُ الشَّيَاطِينُ فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانُ آخَرُ كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ). (رواه ابى داود)

التوكل هو اعتماد القلب على الله تعالى مع عدم الاضطراب عند فقدان السبب. والله أمر المؤمنين إن كانوا مؤمنين بحق أن يتوكلوا على الله.
فقال الله تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابُ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِ غُلُبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٢٣)

(المائدة ٠٢٣)

ولذلك كان التوكل نصف الدين والإنابة النصف الآخر فالدين استعانة وعبادة، والتوكل هو الاستعانة والإنابة هي التبعيد لله.

يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (١٢٤)

(الشورى ٠١٠)

يقول الله تعالى في فاتحة الكتاب: ﴿ إِنَّا كَ نَعْبُدُ وَإِنَّا كَ نَسْتَعِينُ ﴾ (١٢٥)

(الفاتحة ٠٠٥)

ولذلك لا يجب على المؤمن أن يترك التوكل ويرتكب على علمه وعمله وعلى قدرته وينسى قدرة وعلم الله لأن ترك التوكل هو ترك الإيمان وتخصيص الله بالتوكل هو عين الإيمان. (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين).
يجب أن يمتلئ قلب المتوكل بالطمأنينة وبالاستكفاء إذا ما أسلم أمره لله وتوكل عليه فإله كاف عبده وزيادة وهو حسبه من دون الخلق جميعهم فماذا وجد من فقد الله وماذا فقد من وجد الله.

وقال الله تعالى لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم:

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (١٢٦)

(التوبة ١٢٩)

المؤمن المتوكل هو الذي يرى المسبب وقدرته قبل ما يرى الأسباب وأثرها فيرى الله فاعلا على الحقيقة لكل فعل ، بيده ملكوت كل شيء فيحسن التوكل عليه في كل وقت وفي كل حين وبينما الإنسان على يقين من أن الله كافيه وحسبه.
المتوكل يتوكل على الله عز وجل ولا يتوكل على غيره بل يسأل الله عز وجل وهو الوكيل أن يغنيه بحلاله عن حرامه وبطاعته عن معصيته ومن فضله عن سواه ، فلا يشرك بالله في التوكل ولذلك فهو يتوكل على الله وعليه وحده ولا يتعلق قلبه بالأسباب أو بالخلق أو بنفسه وقدراته ويسلم التوفيق الكلى والكامل إلى الله وحده
وقد قال الله تعالى: ﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنْتُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (٨٨)

(هود ٠٨٨)

يقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَحْكَمْتُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (٦٧)

(يوسف ٠٦٧)

والآية تبين أن الحكم لله والله وحده ولذلك كان التوكل له وله وحده ولذلك نجد تقديم (عليه) قبل توكلت ثم تقديم (عليه) قبل (فليتوكل) وهذا التقديم للتخصيص أي أن الله يأمر المؤمن أن يتوكل عليه وحده دون سواه . وليس أمر بالتوكل على الله فحسب.

بل هذا التقديم للتخصيص مكرر في كثير من آيات القرآن الكريم.

يقول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ۝٣٠﴾

(الرعد ٠٣٠)

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝١٠﴾

(الشورى ٠١٠)

يقول الله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝١٠﴾

(المزمل ٠٠٩)

يقول الله تعالى: ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِقَوْمٍ الظَّالِمِينَ ۝٨٥﴾

(يونس ٠٨٥)

يقول الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝٤﴾

(المتحنة ٠٠٤)

ولا نعلم أن أول المتوكلون هم الأنبياء والمرسلين فهم الأحب إلى الله وهم لا يستغنون عن الله فهم يحتاجون إليه بجانبهم في كل وقت وكل حين. وهؤلاء الأنبياء هم قدوة سائر المؤمنين.

يقول الله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝١٢﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْنَا وَمَا أَدْنَيْنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ۝١٣﴾

(إبراهيم ٠١١-٠١٢)

يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنبُوِّنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٤٢﴾

(النحل ٠٤١-٠٤٢)

يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ۝٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٥٩﴾

(العنكبوت ٠٥٨-٠٥٩)

الآيات السابقة جمعت معنى التوكل والصبر في آية واحدة تبين أن التوكل قبل وبعد الصبر كما توضح الآية أمر من الله بالتوكل عليه مرة مرة أمر للمؤمنين ومرة أمر للمتوكلين والأمر في كلتا الحالتين أمر بتخصيص التوكل على

الله دون سواه. وهذا يعنى أن المؤمن أمر بالتوكل على الله نظرا لإيمانه بالله وإسلامه له فكيف يكون مؤمنا بالله وحده ولا يتوكل عليه ويتوكل عليه وحده.

يقول الله تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الشورى ٠٣٦)

يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَقَوْمُ إِن كُنتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ﴾ (١٥)

(يونس ٠٨٤)

والأمر الثاني يشمل كل من أراد أن يبحث لنفسه عن وكيلا له قادرا أن يقضى له حاجة وان لم يكن مؤمنا فليعلم خير الوكيل هو الله فهو الذي يملك جميع مقومات الوكالة وكفى بالله وكيلا.

يقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (٣٣)

(النساء ١٣٢)

يقول الله تعالى ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (٥)

(الأحزاب ٠٠٣)

إن الله على كل شئ وكيل كما أنه على ما نقول ونشهد.

يقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٣)

(الأنعام ١٠٢)

يقول الله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَصَافٍ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ

مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٢)

(هود ٠١٢)

نختم حديثنا عن التوكل والمتوكلين الذين يحبهم الله عز وجل بقول الله عز وجل في ختام سورة هود.

يقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا

تَعْمَلُونَ﴾ (١٢٣)

(هود ١٢٣)

وهذه الآية توضح أن الله ملك كل الغيب ورجعت إليه كل الأمور والأوامر وقد أمرنا بالعبادة وسيكافئنا عليها، وهو الذي سيكفينا كل الأمور إذا توكلنا عليه في دنيانا ومعاشنا ما دما نخلص له العبادة ونحسن التوكل عليه ويجب ألا نغفل عن أن الله لا يغفل عن خلقه وعن أعمالهم. فلا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار، فالأمور كلها بيديه يسيورها في الخير لكل من عبده وتوكل عليه ولتكن ثقتنا بعلم الله وبقدرة الله وبحكمة الله أكثر من إيماننا بأنفسنا وقدراتنا وشهواتنا. اللهم اجعلنا من الذين يتوكلون عليك حق التوكل ونسألك حباك فأنك تحب المتوكلين.

ثانيا: الصابرين:

يعيش المؤمن في دنياه وتفاجئه هذه بما لا تحبه نفسه فتأتى الريح بما لا تستهيه الأنفس، فكل مؤمن يخطط لحياته يحب فيها زيادة المال والأولاد والثمرات والرزق ولكن يأتي القدر بالابتلاء بالنقص في كل ذلك ليعلم الله الصابرين من المؤمنين والصادقين منهم وليميز الخبيث من الطيب. فمن المؤمنين من يصبر على قضاء الله وبصبر في طاعة الله مهما يتجرع في سبيل ذلك من علقم ومرارة فيصبر في الله والله ولا تضعف قوته ولا تقل همته، ويستعين بالدعاء للملك الصبور يسأله التثبيت والمغفرة والنصر على الكافرين. هؤلاء هم الصابرون الذين يحبهم الله عز وجل ويحسن لهم ثوابي الآخرة.

يقول الله تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابِ الدُّنْيَا نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابِ الْآخِرَةِ نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيبُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾

(آل عمران ١٤٢-١٤٨)

تحدث الآيات عن تمحيص الله للذين آمنوا ليعلم الذين جاهدوا منهم والصابرين فالصبر نوع من الجهاد في سبيل الله يجاهده المؤمن في وقت الضراء والسراء وحين البأس. فأكبر أنواع الابتلاء هي التي يصبر فيها المؤمن على موت الأحباب وخيرهم - صلى الله عليه وسلم، فالمؤمن يقاتل حينئذ تقطع أوصال القلب لفراق الحبيب وفزع الموت وألم الفراق . والصابرون صبرا جميلا هم الذين لا يضعفوا أمام كل ما يصيبهم في سبيل الله ولا يستكينوا ويسألون الله الصبور أن يربط على قلوبهم ويفرغ فيها الصبر ورضا بقضاء الله تعالى فلا يفارقون الدعاء لله ليل نهار سرا وعلانية متمسكين بصراطه المستقيم، مستنصرين ربهم على عدوهم. يتضح مما سبق لنا أن طوائف المؤمنين الثلاث التي يحبها الله عز وجل ما هي إلا صفات مترابطة فالقتال في سبيل الله صفا يسبقه توكل وفيه الصبر ، والتوكل فيه قتال المؤمن للأنداد من دون الله في قلبه ولا يخلو من الصبر حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا، والصبر فيه التوكل والتسليم لله بالكلية وفيه قتال وساوس الشيطان وصرخات النفس فالجنة حفت بمكاره النفس والنار حفت بالملذات والشهوات. ويتجلى التوكل والصبر في أعلى صورهما في الجهاد في سبيل الله الذي هو ذروة سنام الإسلام. ثم جمع هذه الأصناف الثلاثة من المؤمنين في قسم واحد. اللهم اجعلنا من المتوكلين عليك حق التوكل ومن الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس صبرا جميلا لا شكوى فيه واجعلنا من الذين يقاتلون في سبيلك صفا كأنهم بنيان مرصوص، وارزقنا حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربنا إلى حبك.

اسم الله "الصبور":

الصبور هو الذي لا يستعجل في معاقبة العاصين فهو الذي لا يسرع بالفعل قبل أدائه لحكمته وعزته وعلو شأنه وهو الذي إذا قابلته بالجفا قابلتك بالإحسان والوفاء. فسبحان الله الصبور الذي يمهل العصاة ولا يعجل ولا يعاجل ولا يسارع إلي الفعل قبل أدائه فينزل الأمور بقدر معلوم ولا يعجلها عن أجلها.

يقول رسول الله ﷺ (لَيْسَ أَحَدٌ أَوْ لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى سَمْعِهِ مِنَ اللَّهِ إِنْهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا وَإِنَّهُ لَيَعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ)

(رواه البخاري)

وهذا منتهى درجات الصبر والحلم.

الصبور هو مصدر الصبر لكل إنسان سواء كان صبرا على قضاء الصبور أو كان صبرا على أذى الناس. كما أن الصبور يعلمنا ألا نتبع المشاعر الفجائية ولا نتسرع في الأحكام والأفعال ونتأني في جميع أمورنا فالأفعال

والأقوال يجب أن يسبقها ما تستحقه من تأني وتفكر وتعقل ومن اختيار للوقت المناسب والأسلوب والمكان المناسبين.

من الصبر عدم تمنى تأخير الله ما عجل أو تعجيله لما أخر أساس الصبر هو كمال الإيمان بالله وتام التوكل عليه والثقة في حكمه وقضائه ولذلك كان الصبر نصف الإيمان. الصبر هو علاج لكل ما يحدث للإنسان في حياته ويؤلمه أو تكون خلاف هواه وتخطيطه مهما كان الأمر بسيطاً وهيناً لذلك كان أبى بكر الصديق يسترجع إذا انطفأ السراج فيقول: (إنا لله وإنا إليه راجعون). فالمسلم في حاجة دائماً للصبر ليستمد منه الصبر على كل صغيرة وكبيرة ولا يصبر الصابر بنفسه إنما يصبر بالله والله وفي الله.

الصبر:

١. الصبر يكون بالتصبر والاستعانة بالصبر ولا يستطيع المؤمن أن يصبر دون أن يستعين بالله عز وجل.

يقول الله تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ١٢٨ ﴾

(الأعراف ١٢٨)

يقول الله تعالى: ﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ١٤٩ ﴾

(البقرة ١٤٩)

يقول الله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ١٥٣ ﴾

(البقرة ١٥٣)

ولقد استعان السحرة بالله عز وجل عندما آمنوا بمعجزة موسى عليه السلام بعد أن هددهم فرعون بتقطيع أوصالهم فقالوا.

يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ ١٣٦ ﴾

(الأعراف ١٣٦)

وعندما لقي جيش طالوت من صفوة المؤمنين جالوت قالوا.

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ٢٥٠ ﴾

فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ

بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ٢٥١ ﴾

(البقرة ٢٥٠-٢٥١)

فإذا أقدم المؤمن على مصيبة أو شئ يكرهه فعليه أن يستعين بالله ويسأله أن يفرغ الصبر في قلبه وأكثر شئ يكرهه الإنسان هو الموت ولذلك عندما أقبل السحرة وكذلك جيش طالوت من المؤمنين على الموت سألو الله الصبر لما سيلاقونه حتى إن بلغ مصيبة الموت فبعون الله لهم يستطيعوا الصبر حتى على الموت ما دام في سبيل الله أو في قتال لنصرة دين الله عز وجل ومن هنا كان الصبر ليكون إلا بالله ويكون لله طمعا في حبه وثوابه ويكون في منتهى عناية الله

يقول الله تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ٢٧٧ ﴾

(النحل ١٢٧)

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُنْ تَسْتَكْثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ٧ ﴾

(المدثر ٠٠٦-٠٠٧)

. يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾

(الرعد ٠٢٢)

يقول الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾

(الطور ٠٤٨)

يقول الله تعالى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةَ وَحَرِيرًا ﴿٢٢﴾﴾

(الإنسان ٠١٢)

ويقول الله تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾﴾

(المؤمنون ١١١)

يقول الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾﴾

(الفرقان ٠٧٥)

يقول الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾

(القصص ٠٥٤)

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾

(الزمر ٠١٠)

٢. الصبر خير للصابرين وهو شيمة الرسل - صلى الله عليهم وسلم وخاصة أولوا العزم منهم.

يقول الله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغَ فَعَلَ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٥﴾﴾

(الأحقاف ٠٣٥)

يقول الله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾

(الأنبياء ٠٨٥)

يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾

(النحل ١٢٦)

يقول الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَاذْنَبُوا لَهُنَّ أَهْلَهُنَّ وَعَاقِبُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَلْحَشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَن خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

(النساء ٠٢٥)

٣. الصبر نوع من أنواع التوكل على الله.

أن المؤمن بيوكل أموره كلها لله وأول هذه الأمور هو كل ما يحدث له في حياته ويكرهه والإيمان مصدر التوكل وتسليم الأمر لله أما الصبر فهو ثمرة هذا التوكل حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا ولذلك مدح القرآن الكريم الذين فهموا هذا الأمر فجمعوا هاتين الصفتين: الصبر والتوكل.

يقول الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ ۖ﴾ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾

(العنكبوت ٥٨-٥٩)

ولقد بينت الآية أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يتصفون بالصبر على قضاء الله وعلى أذى الناس وكما يتصفون بالتوكل على الله وعليه وحده ومن هنا صارت صفتا (التوكل على الله) و(الصبر لله) صفتان لازمتان في قلب كل مؤمن إذ أن كل مؤمن مبتلى ولا سبيل للمؤمن إلى الجنة بغير الصبر ولا سبيل للمؤمن إلى الصبر إلا بالتوكل أما التوكل فلا سبيل أن يصل إلى القلب بغير الإيمان.

يقول الله تعالى ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا ءَادَّبْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ

﴿١٢﴾

(إبراهيم ١٢)

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۖ﴾ (٢٥)

(فصلت ٣٥)

يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ۖ﴾ (٣٨)

(القصص ٨٠)

ومن هنا نخلص أن الصابرين من المتوكلين على الله وكذلك الشاكرين فالمتوكل يتوكل على الله في سرائه فيشكر وفي ضرائه فيصبر. فإن كان للصبر نصف الإيمان فالنصف الآخر هو الشكر ، فالمتوكل صابر شكور.

٤. الصبر في المصيبة والشكر في النعمة:

يقول الله تعالى: ﴿فَقَالُوا فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي

ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۖ﴾ (١٩)

(سبا ١٩)

يقول الله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلِلَنَّ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۖ﴾ (٣٣)

(الشورى ٣٣)

٥. الصبر المستحب هو الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه.

إن الصبر عمل من أعمال القلب وهو ثمرة من ثمرات الرضى وتسليم القلب لقضاء الله ويؤكد ذلك ما يتحرك به اللسان وقت البلاء ولذلك ليس صبرا إن لم يكن عند الصدمة الأولى وليس صبرا إن وافقه اعتراض وشكوى باللسان. لذلك وصف القرآن الكريم صبر سيدنا يعقوب عندما فقد ابنه سيدنا يوسف عليه السلام بالصبر الجميل.

يقول الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۖ﴾ (٥)

(المعارج ٥)

يقول تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَىٰ - اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (٨٣)

(يوسف ٠٨٣)

ولا يناقض الصبر الجميل بكاء المبتلى ، ولقد بكى النبي صلى الله عليه وسلم عند وفاة ابنه إبراهيم وعندما سئل عن هذه الدموع، قال: "إنما هي رحمة أودعها الله في قلوب عباده من لا يرحم لا يرحم، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا"

٦. الصبر هو مظهر من مظاهر تقوى الله وبهما يصل المؤمن إلى الإحسان.

لقد لخص يوسف عليه السلام الحكمة المستخلصة من قصته مع اخوته فقال:

قال الله تعالى: ﴿ قَالُوا أَعَزَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٩٠)

(يوسف ٠٩٠)

تبين هذه الآية أن سيدنا يوسف قد اتقى الله وصبر على كل ما أصابه من مكاره ظلم اخوته وذل العبودية حتى فرج الله عنه، وهذا كان سبيله لأن يلحق بالمحسنين الذين لا يضيع الله صبرهم إذا ما اتقوا.

قال الله تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١١٥)

(هود ١١٥)

لقد أمر الله عز وجل الصابرين أن يتبعوا صبرهم بتقوى الله في هذا الصبر فلا يشتركون به ثمنا قليلا ولا ينقضونه بقول أو بفعل وقت المصيبة أو بعدها بأن يتقوا الله في سائر أعمالهم وقت الابتلاء حتى لا يجربهم الشيطان على معصية الله وانتهاك محارمه بحجة أنهم مبتلون من الله، وهذا ما يجب أن يحذره المبتلى وقت الابتلاء فلا يقصر في طاعة ولا يقلل في نفقة ولا يجد بهذا الابتلاء لنفسه ذريعة للخوض فيما حرم الله عز وجل.

يقول الله تعالى: ﴿ إِنْ تَمَسَّسْتُمْ حَسَنَةً تَسَوْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (١٢٠)

(آل عمران ١٢٠)

يقول الله تعالى: ﴿ *لَتُبْلَوْنَ فِيْ أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (١٨٦)

(آل عمران ١٨٦)

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (١٣٢)

(الشورى ٠٤٣)

والآيات تبين أن من الصبر، الصبر على أذى الناس فلا يظن الصابر أنه هو الأضعف بصبره بل على العكس فإن الصبر على أذى الناس وتقوى الله فيهم من الأمور الصعبة على النفس البشرية وتحتاج إلى قوة إيمان وعقيدة وتوكل ويقين أن من تصبر عليهم لن ينالوا منك ولن يصيبوك بشيء فإله كافيك كيدهم.

فالصبر لا يأتي إلا بالخير لصاحبه. فمن أساء إليك فالتمس له سبعين عذرا وان لم تجد له عذرا فقل لنفسك لعل له عذرا لا تعرفه فإن مكنك الله منه واستطعت أن تنتقم لنفسك فأتق الله ولا يحرصكم بغض قوم أو حبهم ألا تعدلوا وألا تقسطوا والعفو أقرب للمؤمن من الانتقام ولقد قال الله لنبيه محمد صل الله عليه وسلم عندما رأى جسد سيدنا حمزة سيد الشهداء بعد غزوة أحد وقد مزق إربا وقال لنن مكنني الله منهم لأمثلن بسبعين منهم قال الله حينئذ له:

يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ۝ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ۝ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ۝﴾ (النحل ١٢٦-١٢٨)

٧. الصبر يجب أن يستمر حتى يأتي فرج الله.

يتساءل المبتلى إلى متى يصبر وعندما يشتد ألمه ويطول يقل صبره ويتمنى أن يجعل الله عز وجل بكشف الضر وإنهاء الابتلاء إذ صار القلب فارغا من الصبر. إذن فالصابر يجب أن يستمر في صبره بدءا من الصدمة الأولى وحتى يحكم الله وألا يستعجل.

يقول الله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ۝﴾ (يونس ١٠٩)

وليستعين المؤمن في هذه اللحظات الصعبة بالله ليفرغ عليه الصبر بالدعاء وليستعين باسم الله الصبور وليستعين بأخواته المؤمنين الصادقين فيلازمهم ولا يفارقهم طرفة عين.
يقول الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَيشِي يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۝﴾ (الكهف ٠٢٨)

فصبر المؤمن يجب أن يستمر ولا ينقطع كما فعل سيدنا يونس عندما يأس من إيمان قومه وفرغ صبره فتركهم وركب السفينة فكان عقاب الله له إذ أنه لم يصبر على الابتلاء حتى يأتي أمر الله.
يقول الله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ۝ لَوْلَا أَن تَدَارَكُهُ رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ۝﴾ (القلم ٠٤٨-٠٤٩)

وليعلم المؤمن أنه لن يغلب عسر يسران فإذا احتكمت حلقات الابتلاء فاعلم أن الفرج قد جاء.
ويقول الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝﴾ (الشرح ٠٠٥-٠٠٦)
في الآية العسر واحدا ولكن يتبعه يسران.

يقول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ۝﴾ (البقرة ٢١٤)

يقول الله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ۝﴾ (البقرة ٠٤٥)

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝﴾ (البقرة ١٥٣)

نلاحظ في الآيتين الأخيرتين أمر الله عز وجل بالاستعانة بالصبر والصلاة وإن كانت الآية الثانية ختمت بالحديث عن الصابرين والآية الأولى ختمت بالحديث عن الخاشعين في الصلاة. وهذا يوضح أن الصبر وهو عمل القلب يترجم على الجوارح بالصلاة فإذا زاد صبر المؤمن زاد خشوعه في صلاته ومداومته عليها وإحسانه فيها وإن

قل صبره قل خشوعه في صلاته بل صارت كبيرة عليه وصعبة ولا يأتيها إلا بكسل ويسهو عنها ويضيعها فلا تصلى في وقتها. كما تبين الآيات أن الاستعانة بالصلاة هي وسيلة المؤمن ليكون من الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس إذ أن إقامة هذه الصلاة تقوى صلته وإيمانه وتوكله على ربه جل وعلا مما يساعده في أن يرضى عن قضاء الله فيصبر عليه. والآية الثانية بينت وجوب مداومة المؤمن على صلاته ويجب أن يصبر على ذلك ولا يترك النفس والشيطان والشهوات والدنيا هي التي تبعده عن صلاته لربه عز وجل فذكر الله أكبر وأعظم وخير من الله ومن التجارة في كل وقت وفي كل حين. تزداد حاجة المؤمن لهذه الصلاة في وقت الابتلاء ولذلك كان أمر الله عز وجل للمؤمن أن يعبد وأن يصطبر لعبادته ولا ينقطع عن دعائه والاستعانة به جل وعلا وأن يوصى كل منا أخاه بذلك ويذكره.

يقول الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾

(العصر ٠٠١-٠٠٣)

الله عز وجل أمر الأمة أن تصبر مترابطة موحدة. نلاحظ أن الله عز وجل أثبت حبه للصابرين في موضع واحد من القرآن الكريم. فقال الله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رَئِيونَ كَثِيرٌ مَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَاوُا ۖ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ۝١٦٦﴾

(آل عمران ١٤٦)

٨. أمر الله المؤمنين بالصبر عندما يأتي الابتلاء الجماعي للأمة وحين يتحدوا ويصبروا ويبلوا بلاءا حسنا هنا فقط يثبت الله لهم الحب.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝١٥٩ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝١٦٠ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۝١٦١﴾

(البقرة ١٥٥-١٥٧)

ومن الآيات السابقة يتضح أن علامة الصابرين أنهم وقت المصيبة أي عند الصدمة الأولى يتذكرون أنهم مخلوقون خلقهم الله فملكهم فهم له وأنهم إليه يرجعون يوما يجعل الولدان شيبا فيقولون حينئذ (إنا لله وإنا إليه راجعون) وحينئذ تنزل عليهم رحمة الله وصلواته فيفرغ الله في قلوبهم الصبر وينزل عليهم الهداية. يلاحظ من أسلوب الآية أن الحديث موجه للجماعة وليس للفرد وكذلك عندما أثبت الله معييته أثبتها للصابرين مجتمعين.

فيقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۖ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلْكُوا اللَّهَ كَمِ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً ۚ يَٰٓأَذِينَ اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝١٦٤﴾

(البقرة ٢٤٩)

يقول الله تعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَلَا تَتَزَوَّجُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝١٦٥﴾ (الأنفال ٠٤٦)

ولذلك نجد أمر الله صراحة للأمة أفرادا وجماعات بالصبر والتواصي بالصبر والتصابير والترابط والتجمع في وقت الشدة بأن يكونوا يدا واحدة معتصمين بحبل الله جميعا.

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

(آل عمران ٢٠٠)

وهنا نرى جلليا ارتباط الوحدة بالصبر بالجهاد بتقوى الله للوصول إلى الفلاح كأمة مسلمة واحدة جمعها رب واحد وكتاب واحد.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾

(الأنبياء ٩٢)

ولذلك جعل الله مسئولية تثبيت المؤمنين بعضهم للبعض في وقت البلاء حق من حقوق المسلم على أخيه المسلم فيوصيه بالصبر وقت البلاء ويثبته بالذكر بالله ليخفف عنه ويصبره حتى يفوز بحب الله ولذلك شرع الله إغاثة اللهفان وعبادة المريض واتباع الجنائز لتثبيت المبتلى والمرضى وأهل الموتى في هذه الأوقات الصعبة فيكون المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

فان أحب الله العبد فإنما يحبه في جماعة فيحب جماعة الطاعة والصبر ولا سبيل للمؤمن أن يصل إلى الله عز وجل وهو في معزل عن واقع الأمة الإسلامية وبغير أن يكون جزءا منها يتألم لما يصيبها ويعمل على عزها ونصرها مهما كلفه ذلك من مال ووقت وحتى نفسه يقدمها فداء لعزة ونصرة هذه الأمة وهذا الدين.

ومن هنا يجب على المؤمن ملازمة الجماعة الصالحة الذاكرة لله بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا يريدون دنيا أو منصب أو مال ، وهذه الجماعة تشمل الرجال والنساء على حد سواء فالنساء شقائق الرجال.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ

وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ

وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِقَاتِ

(الأحزاب ٣٥)

كما يقول الله تعالى واصفا المتقين: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ

الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ

(البقرة ١٧٧)

يقول الله تعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

(الأنفال ٤٦)

وظهر تحذير الله للمؤمنين من أن يتنازعا فيما بينهم لأن ذلك سيتسبب في فرقته فان تفرقوا ضعفوا واستقوى عليهم عدوهم فنزع الله الرهبة من قلوب أعدائهم ولم يصبر لهم وزنا ولا قوة فذهبت ريحهم، وهنا يأتي أمر الصبر على كل ما يلاقه المؤمن . أن الله عز وجل معه إذا صبر وتحمل لتحمل وحدة المسلمين، ومن هنا يظهر لنا كيف أن ثواب الصبر يختلف ويتدرج بقدر ما يؤتى هذا الصبر من ثمار على مستوى الفرد وعلى مستوى المجتمع. وكلما كان لهذا الصبر أثر في نصرة الجيوش المؤمنة ونشر دين الله وحماية أمة الإسلام من الفرقة على حياة الأفراد كلما زاد ثوابه والصبر الأصعب هو الصبر على جهل الناس وعدم الانتقام حفاظا على وحدة الأمة.

ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

(الشورى ٤٣)

■ الصبر من صفات المخبتين:

جاء ذكر الله عز وجل للمخبتين في موضع واحد في القرآن الكريم في سورة الحج.

يقول الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةٍ ۖ فَلَهُمْ كِتَابٌ إِلهٌ وَاحِدٌ فَلَهُمْ أَسْلَامٌ ۖ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٥﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (الحج ٣٥-٣٦)

يلاحظ أن من صفات المخبتين الأربع أن صفتين قائمتين وصفة مشروطة وصفة مفعولة فالصفتان القائمتان في نفوس المخبتين بصفة غير منقطعة - الصبر على ما أصابهم (الصابرين) - إقامة الصلاة (المقيمي الصلاة) والصفة المشروطة في نفوس المخبتين هي عارضة وهي أنهم إذا ذكر الله وجلت قلوبهم. والصفة المفعولة فهي تنقطع في أوقات ثم تعود فهي الإنفاق من كل ما رزق الله من نعم ولعل تقديم (ومما رزقناهم) على (ينفقون) يعطى معنى القصر فهم لا يسرقون لينفقوا أو ينفقوا من مال اكتسبوه من حرام بل هؤلاء ينفقون من رزق الله لهم وتحروا الحلال فيه فالله طيب لا يقبل إلا الطيب. نلاحظ في هذه الصفات ارتباط الصبر بالصلاة وقد سبق الحديث عن الصلة الوثيقة بينهما في نفس وحياة المؤمن. نلاحظ أيضا أن ذكر الله يحرك في قلوبهم الخوف والوجل فكيف ذلك؟

يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾

(الرعد ٢٨)

فقال العلماء أن المؤمن إذا ذكر الله وقت مصيبة الدنيا اطمأن قلبه وسكن بذكر الله أما المؤمن إذا ذكر الله وقت مصيبة الدين والآخرة فإن قلبه يخاف ويوجل ويرتعد من عذاب الله ووعيده ولما جلب على نفسه من عقاب بمصيبة الله.

خاتمة عن موضوع الصبر:

يجب أن يعلم المؤمن أن الله عز وجل قد أراد بنا أشياء وأراد منا أشياء واليك تفصيل ذلك.

القسم الأول: (ما أواحه الله بنا)

ما أراده الله بنا هو قضاء الله واختبارات الله لنا التي لا خيار لنا فيها لا من قبل ولا من بعد فهو اختيار الله لنا بحكمته وبعلمه اختار الله لنا الخير وأخفى الله عنا كل ما يتعلق به إذ أن الإنسان لن يفر منه وسيصيبه لا محالة.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَّنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾

(التوبة ٥١)

ولذلك فلا علم للإنسان به ولا يسئل عنه يوم القيامة إذ أنه مسير فيها وهذه الأمور يجب أن يقبلها المؤمن كما تجئ يقول دائما لكل عارض (قدر الله وما شاء فعل). ولنحذر من قول (لو) فان (لو) مفتاح الشيطان. ولتعلم يا أخي القارئ أن ما أدرك ما كان ليخطأك وما أخطأك ما كان ليصيبك، فان الله ملائكة حفظه تحفظك ليل نهار حتى إذا جاء أمر الله المقدر تركوك فأصابك قضاء الله (يحفظونه من أمر الله) هذه الأمور التي أرادها الله بك لا تشغل بالك بها ولا تضيع وقتك فيها إذ لا قدرة لك على تغييرها ولا تسأل عنها يوم القيامة فلا تخسر حياتك في محاولة تغيير ما لن يتغير وتحريك ما لن يتحرك وزيادة ما لن يزيد وتعجيل ما لن يعجل أو تأخير ما لن يؤخر.

ومثال لذلك: (قدر الرزق المحدد لكل إنسان ووقت مجيئه/الموت والأجل/المرض المستعصي الذي لا يعلم له سبب/ الشيوخوخة/ عدد الأولاد وأجناسهم).

القسم الثاني: (ما أراحه الله منك)

هذا القسم يشتمل على ما فرضه الله عليك من أمر ونهى وتشريع فأنت فيه قادر على الطاعة وقادر على المعصية.

يقول الله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (٧)

(البلد ١٠٠)

فهو مخير كل التخيير في هذه الأمور فيحاسب عليها يوم القيامة بمثقال الذرة.

يقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)

(الزلزلة ٠٠٧-٠٠٨)

فطوبى لمن اجتهد في هذه الأمور يختار طاعة الله ويتعدى عن ما يغضب الله طمعا في ثوابه وجنته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. مثال لهذه الأمور: (إقامة الصلاة/ العدل بين الناس/ الإحسان للغير/ الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله/ المسارعة في الخيرات/ بر الوالدين/ إيتاء الزكاة/ صوم رمضان/ ذكر الله الكثير/ تحرى طلب الحلال في الرزق).

وقال رسول الله ﷺ: (لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ وَعَنْ مَالِهِ

مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا وَضَعَهُ وَعَنْ عَمَلِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ) (رواه الدامي)

مصدر كسب المال وفيما ينفقه المسلم هما من الأمور التي أرادها الله منك وأنت مخير فيهما ولكن لا يسأل عن كم المال لأن هذا الأمر من الأمور التي أرادها الله بك وأنت مسير فيها فهي قدر الرزق الذي حدده الله لك وأنت لا تملك تغييره فإله هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، وفي السماء رزقكم وما توعدون.

ومن هنا كان كم الرزق مما أراد الله بك فلا تضيق وقتك وجهك في تغييره فهو لا يتغير بل اجتهد واستعمل عقلك في كيف تتحصل على هذا المال وكيف تنفقه فهذه أمور أرادها الله منك وأنت مخير فيها تستطيع الطاعة والمعصية وستسأل عنها يوم القيامة فطوبى لمن شغل نفسه بتحري الرزق الحلال ولم يشغل وقته بكم ووقت مجيء هذا الرزق. ومن هنا يتبين لنا أن المؤمن الحق هو الذي يرضى باختيار الله له ويعلم أن ما كتبه الله إنما كتب له وليس عليه فيصبر على ما يحدث له في حياته حتى يحكم الله ولا يشغل في ذلك عقلا أو وقتا أو غير ذلك فهو يعلم أن هذه الأمور هو مسير فيها غير مخير ويوجه عقله وفكره وعلمه فيما أراد الله منه استعدادا للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين فهذا هو مجال اختياره.

فإله نسأل أن يجعلنا جميعا ممن فهموا فعلموا وتوكلوا فرضوا وصبروا فعملوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين.

مقدمة:

يقول الله تعالى في افتتاحية سورة الصف هذه السورة المدنية والمكونة من أربع عشرة آية:

﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۚ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ ۖ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ۝ ﴾

(الصف ٠٠١-٠٠٤)

ويلاحظ في هذه السورة ثلاث نداءات (يأيها الذين آمنوا)

الأولى: دعوة للمؤمن أن يفعل ما يقوله.

الثانية: دلالة على التجارة التي تنجى من عذاب أليم وتغفر الذنوب وتدخل الجنة وتأتى بالنصر، هذه هي السلعة، أما الثمن فهو الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس.

الثالثة: أن يكونوا أيضا يقاتلون لله ولدينه ولرسله.

فالنداءات تدعو كل مؤمن أن يصدق ما يدعيه من إيمان في قلبه بأن يهم لنصرة دين الله فيجاهد الكافرين بنفسه وماله راجيا ثواب الله من مغفرة الذنوب ودخول الجنة ضامنا نصر الله له.

والله تعالى يثبت حبه لمن لبي هذا النداء.

اختلاف هذا الصنف من الذين أثبت الله لهم الحب عن بقية الأصناف:

يلاحظ اختلاف هذا الصنف من غيره في النقاط الآتية:

- ١) أثبت الله في هذه الآية حبه لأصحاب فعل وليس لأصحاب صفات فالآيات الأخرى تبين أن الله يحب (المحسنين، المتقين، المقسطين . . .)
 - فهؤلاء أصحاب صفات فمثلا المحسنين تكرر بينهم الإحسان حتى صاروا أصل هذه الصفة (من المحسنين) أما هذا الصنف فالثبت لهم الحب لإتقانهم بفعل ولو لمرة (إن الله يحب الذين يقاتلون . . .)
 - وذلك يدل أن هذه الصفة هي أصعب الصفات وهي تمثل الدرجة الأعلى من الإيمان والصدق والحب لله وليس بعدها درجة، فإذا بلغها المؤمن وقاتل في سبيل الله مجاهدا بماله ونفسه ولو مرة فقد نال صفة الحب من الله تعالى.
 - ٢) أن الله يثبت الحب ليس فقط لكل مقاتل كما أثبت الحب لكل محسن ولكل تقي ولكن اشترط أن يكون هذا القتال متوفر فيه عدة شروط وهي:
 ١. أن يكون القتال في سبيل الله وليس في سبيل غيره أو لله ولغيره بل يجب أن يكون قتال في طريقه إلى الله والله وحده.
 ٢. أن يكون القتال بين صفوف المؤمنين وليس انخراطا من الجماعة وليس منفردا بل هو يقف فيه المؤمن بين إخوانه من المؤمنين المقاتلين كما يقف في الصلاة صفا واحدا تابعا للإمام وللقائد غير سابقه ولا متأخرا عنه بل تابعا له ولكلمته ولحركته لا يشعر بأي فضل له على إخوانه الذين يقاتلون بجانبه.
 ٣. أن يكون المؤمنون في قتالهم متكاتفين كالجدار المكون من اللبنة المرصوفة كل لبنة بجانب الأخرى مرصوفة بنظام وإتقان ودقة كل يقوم بدوره الذي يكمل دور أخيه لا تنازع ولا فرق بينهما بل التكامل والحب ليعلو البناء قويا أمام أعداء الله ورسوله.
- فالمؤمنون الذين يقاتلون في مشارق الأرض ومغاربها يكونون جدارا واحدا إذ أنه برغم اختلاف الأزمنة والأمكنة والأجناس والألسنة إلا أنهم جميعا أبناء أمة واحدة لها قضية واحدة تجاهد في سبيلها

لا تتغير ولن تتغير على مر الزمان . . . وهو الصراع بين الإيمان والكفر وبين الخير والشر.
فإذا توافرت في القتال هذه الشروط صار المقاتلون من الذين يحبهم الله عز وجل ويحفظهم وينصرهم
نصر عزيز مقتدر وان قلت أعدادهم وعتادهم وان عظمت قدرات وأسلحة وأعداد أعدائهم كما روى
لنا القرآن الكريم في قصة طالوت وجالوت.

يقول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامُنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾

(البقرة ٢٤٩-٢٥١)

٣) لعل هذه القصة القرآنية خير مرشد لكل مؤمن عن حقيقة ومفهوم القتال في سبيل الله.

وبتدبر هذه الآيات نتعلم ما يلي: -

١. من قاتل من المؤمنين لاسترداد داره التي أخرج منها عنوة بغير حق فهو في سبيل الله ، فمن قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون عرضه فهو شهيد ومن مات دون نفسه فهو شهيد ومن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله.
٢. أهم ترتيبات القتال وأولها هي اختيار القائد الذي له السمع والطاعة، هذا الاختيار يجب ألا يعتمد على كثرة المال ولكن على بسطة العلم وقوة الجسم والقوة الجسدية والقوة العقلية هما أهم صفتان يجب أن يتصف بهما القائد.

بعد اختيار القائد يأتي اختبار المقاتلين فيختارهم القائد بعد ما يختبرهم ويختبر صبرهم وصدقهم ، فمن نجح منهم اختبرهم في عقيدتهم وحسن توكلهم وثقتهم بربهم وعدم اغترارهم بقوة العدو الظاهرة ، فيبقى مع القائد الذين يظنون أنهم ملاقوا الله المتوكلون على الله الواقفون من نصره على الرغم من قلة عددهم وعتادهم فאלله مع الصابرين.

يقول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾

(البقرة ٢٤٩)

الاستعانة بالله وقت لقاء العدو والدعاء له طالبين النصر والتثبيت.

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامُنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ ﴾

﴿ ٢٥٠ ﴾

(البقرة ٢٥٠)

فكيف يهزم جمع معتصمون الله معهم وان اجتمع الإنس والجن ضدهم بالعدد والعتاد فالله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. هؤلاء المقاتلون معتصمين بقوة الله وبحفظ الله متوكلين صابرين لا يخافون إلا الله فهو القوى وما دونه ضعيف وهو العزيز وما دونه ذليل.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٦﴾

(الروم ٠٤٧)

الأسلحة النووية والأسلحة البيولوجية والأسلحة الذرية وأسلحة الدمار الشامل والقنابل النووية كل هذا العتاد قد يخيف العقول والقلوب التي خلت من معرفة الله ولم يعرف الإيمان لها طريق أما قلوب المؤمنين المتوكلين الصادقين العامرة بمعرفة الله ربا والها وخالقا لكل ما في السماوات والأرض لا رب سواه لهذه القلوب لا تخشى إلا الله ولا تخاف هذه الأسلحة مهما تطورت وكثرت . فالله عز وجل لم يأمر المؤمن المقاتل إلا أن يعد ما استطاع من قوة ومن رباط الخيل ولا يعنيه عتاد عدوه . والله تكفل بالقاء الرعب في قلوب الكافرين بكل قليل أعده المؤمن المقاتل في سبيل الله حتى يخشون المؤمنين أكثر من خشيتهم لله لجهلهم وضلالهم.

يقول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ ﴿٦٠﴾

(الأنفال ٠٦٠)

﴿ حب الله للجماعة ليس للفرادى :

جاء اشتراط الله على المقاتلين الذين أثبت الله لهم الحب ثلاثة شروط:

١. في سبيل الله (الإخلاص) .

٢. صفا (الوحدة).

٣. كأنهم بنيان مرصوص (التكامل والأخوة).

فهذه الشروط أكثر لزوما لبقية الصفات الثمانية التي أثبت الله لهم الحب في كتابه كالمحسنين والمتقين والمقسطين والتوابين والمتطهرين والمطهرين والمتوكلين والصابرين فالمحسنون يجب أن يكون إحسانهم في سبيل الله، يحسنون مع إخوانهم متماسكي الأيدي متكاملين متحابين في الله.

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٢٥﴾

(المائدة ٠٢٢)

يقول الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ

(آل عمران ١٠٣)

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ﴿١٣﴾

يقول الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ ﴿٢٨﴾

(الكهف ٠٢٨)

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾

(المائدة ٥٤)

كلمة (قوم) تؤكد حتمية معنى الجماعة التي تبدأ بأخوة المؤمنين اثنين ولذلك كان أول فعل للرسول صلى الله عليه وسلم - عندما وصل إلى المدينة وبدأ في تكوين أول مجتمع إسلامي أن آخى بين المهاجرين والأنصار فكانت هذه المؤاخاة هي نواة المجتمع الإسلامي.

المؤاخاة في الله هي أول الخطوات للفوز بحب الله:

- المؤاخاة في الله التي بدأها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المدينة ليكون المجتمع الإسلامي الأول والجماعة التي يحبها الله عز وجل كانت مؤاخاة أساسها أن المؤمنين أخوة في رباط أقوى من رباط الدم وهو رباط الدين وهو الارتباط بالله عز وجل والرسول - صلى الله عليه وسلم - أبو المؤمنين وأزواجه أمهاتهم - فهذه هي أسرة المؤمنين أب وأمها وأخوة هذه الأخوة في الله هي المونة التي تربط بين اللبانات المرصوصة في بنيان الكيان الإسلامي فيشد بعضه بعضا ويقول رسول الله ﷺ (تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَآلِئِمَى) (رواه البخاري)

ويقول: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْأُنْثَىٰ يَشُدُّ بِعُضُوِّهَا وَيُصَبِّغُ بِأَصَابِعِهَا) (رواه البخاري)

هذه الأخوة لا يبتغى فيها الأخ مقابل لأخوته أو لعطائه إنما هي أخوة أساسها الحب في الله وأساسها العطاء دون مقابل أو حساب وغايتها الفوز بحب الله.

- من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: رجلان تحاببا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه.

قال رسول الله ﷺ (إِنَّ أَوْسَطَ غُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ) (رواه أحمد)

علمنا الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن المؤمن إن أحب أخاه فليخبره ويقول له: (إني أحبك في الله) وليرد عليه أخوه داعيا له (فليحبك من أحببتني فيه) فإذا بالملك يؤمن على دعائه لأخيه بظهر الغيب بالفوز بحب الله فيقول الملك (أمين) ويقولون (ولك مثله) فينزل الله حبه عليهما على المحب وعلى المحبوب فأحبهما الله عز وجل لحب كل منهما لأخيه في الله ليس لمال أو سلطان أو مصلحة. ومن هنا كان حب المؤمنين في الله استدرار لحب الله للمؤمن، فمن أراد أن يفوز بحب الله فليحب إخوانه من المؤمنين في الله وليخبرهم فانه عز وجل يحب كل قلب محب لغيره حبا صافيا صادقا لله. هكذا كانت المؤاخاة في الله والحب في الله أولى الخطوات للفوز بحب الله عز وجل.

يعلمنا الرسول - صلى الله عليه وسلم - كيف نتحابب.

قال رسول الله ﷺ: (أَوَّلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ) (رواه مسلم)

إفشاء السلام سنة عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لمن عرفت ولمن لم تعرف ثواب ذلك ثلاثون حسنة والبادئ بالسلام أفضل وأخير من مستقبل السلام.

رد السلام فرض عين فيقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨١﴾﴾

(النساء ٨١)

فيجب أن ننشر السلام بيننا فهو في حقيقته دعاء للمؤمنين بعضهم البعض وهو مدعاة لنشر الحب بينهم فلا يدعو المؤمن بالخير إلا لمن أحب كما أنه يقرب قلبي الغنى والفقير والصغير والكبير والحاكم والمحكوم والقوى والضعيف وهو قتل لكل كبر قد يتسلل لقلب المؤمن لكثرة مال أو جاه أو غيره فالناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى التي أخفاها الله في قلوب خلقه فلا يطلع عليها سوى الله. إلقاء السلام بين المؤمنين دلالة سلامة صدر كل منهم لأخيه وهو إعلان بالعفو والمحبة وبالخير وبالإيمان لكل مستقبل للسلام وهكذا تشتد كل لبنة مع أختها فيعلو البنيان المرصوص قويا لا فرجة فيه، لا سبيل للشيطان أن يدخل فيه فيرسل فيه من سمومه.

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخُمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُضِدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾

(المائدة ٩١)

ومن هنا كانت أهمية إفشاء السلام ودعاء المسلم لأخيه المسلم وكيفينا قول النبي - محمد صلى الله عليه وسلم - لعمر عندما قال له (لا تنسانا في دعائك) والرسول هو الأعلى ولم يمنعه ذلك أن يسأل عمر الدعاء ليعلمنا هذه السنة التي تربط قلوب المؤمنين برباط الحب فيذكر كل منا أخاه ومشاكله وآلامه وأمانيه فيجعل له نصيبا في دعائه لله راجيا له الخير - من ذلك يتعلم المؤمن أن يهتم بأمور إخوانه المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها. ويقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم:

(من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) وأن يكون معهم لين الجانب (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين).

خلاصة صفات من أحبه الله

نخلص مما سبق إلى حتمية توجيه جهود الساعين للفوز بحب الله إلى اختيار كل منهم أخ ليحبه في الله ثم إلى الاجتهاد في ربط وتجميع المؤمنين على قلب رجل واحد على حب الله المتين وصراته المستقيم صفا مرصوصا يشد بعضه بعضا يكون الإمام فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والدليل فيه هو القرآن الكريم فتتحرك الجماعة في كل عمل صالح يرضاه الله مخلصين له لا يبتغون إلا وجهه الكريم يتواصوا فيما بينهم بالحق وبالصبر يحب كل أخاه في الله ، يجاهدون بأمورهم وأنفسهم ويقاثلون لتكون كلمة الله ودين الله هو الأعلى هم يقاتلون وهم على ثقة من نصره لا يخافون عدوهم وان عظم عدده وعتاده يشعرون بالعزة على الرغم من قلة عددهم وعتادهم فقد قروا باعتصامهم وبتوكلهم على القوى وعلى الوكيل. هؤلاء الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه يحسنون إلى غيرهم (المحسنون) ويتقون ربهم (المتقون) ويقسطون ولو مع عدوهم (المقسطون) يحبون الطهر على الطهر إذ هو نور على نور (المطهرين) فإذا جاءت النجاسات على أجسادهم أو على ثوبهم أو في مكانهم سارعوا متطهرين (المتطهرين) وإذا وقعوا في الذنب بجهالة يتوبون من قريب بغير تسويف أو إصرار (التوابين) فإذا جاءهم البلاء من الله كان صبرهم على قضاء الله فلا يريدون تعجيل ما أخر أو تأخير ما عجل أو تغيير ما اختار لهم وإذا كان إيذاء الناس وظلمهم كان منهم الصبر والمغفرة وان ذلك لمن عزم الأمور (الصابرون) يجتهدون في حياتهم لكل نفع وخير لأمتهم ولدينهم ولأسرهم ولجيرانهم يسلمون أمورهم لبارئهم واثقين من معييته فيتوكلون على الحي الذي لا يموت (المتوكلون). فإذا انتهكت أعراسهم أو سلبت أموالهم أو انتقص دينهم أو اغتصبت أرضهم ونادى المنادى (يا خيل الله اركبي) خرجوا من فرشهم حملوا أرواحهم وأموالهم على أكفهم ولحقوا بالركب المبارك يقاتلون في سبيل الله صفا كأنهم بنيان مرصوص يشد بعضه بعضا فإما بالنصر وإما الشهادة.

هؤلاء هم الذين أحبههم الله وجميعهم متخذ من رسول الله أسوة فالرسول - صلى الله عليه وسلم - هو أحب الخلق إلى الله عز وجل.

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾

(آل عمران ٣١)

لذلك كان اتباع أحب الخلق إلى الله وطاعته وإحياء سنته واقتفاء آثاره هو سبيل المحب لله إلى الفوز بحب الله ولا سبيل سواه اتباعا لكل قول وفعل وتقرير ومن مقتضيات هذا الاتباع هو الدعوة إلى الله على بصيرة.

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧﴾﴾

(يوسف ١٠٨)

فاتباع النبي - صلى الله عليه وسلم- الذين يسعون للفوز بحب الله يدعون الناس إلى رب الناس على بصيرة وعلى علم وبحكمة وبالموعظة الحسنة فهم يسعون لأن يكونوا رحمة مهداه كما كان النبي - صلى الله عليه وسلم- وأول مظاهر هذه الرحمة أن يكونوا سببا في هداية غيرهم فالهداية والدلالة على الخير أفضل رحمة ترحم بها الناس وهكذا رحم الله الناس. بأن أرسل إليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم.

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾

(الأنبياء ١٠٧)

♦ من الذين لا يحبهم الله عز وجل:

حتى تكتمل معرفتنا بالله عز وجل وبعد تعرفنا على القوم الذين يحبهم فمن الأهم ذكر أصناف الأقوام والأفراد التي أثبت الله عدم حبهم في كتابه العزيز وهم على ثلاثة أصناف:

١. أقوام كرر ذكر عدم حبهم ثلاث مرات في القرآن الكريم وهم أربعة أصناف:

- الكافرين
- الظالمين
- المعتدين

- من كان مختالا فخورا

٢. أقوام كرر ذكر عدم حبهم مرتان في القرآن الكريم وهم صنفان:

- المترفين
- الخائنين

٣. أقوام ذكر الله عدم حبهم مرة واحدة في القرآن الكريم وهم ثلاثة أصناف:

- المستكبرين
- الفرحين
- المفسدين

لذلك يجب أن يتخلى المؤمن عن جميع هذه الصفات ويسعى ليتحلى بجميع الصفات التي أثبت الله لها الحب وهكذا يفوز العبد المؤمن بحب الله عز وجل. نسأل الله عز وجل أن يبلغنا وأحبابنا وإخواننا غاية الغايات وهي الفوز بحب الله عز وجل فيجعلنا من أهل هذه الصفات مجتمعين أمة واحدة متحابية في الله انه سبحانه وتعالى سميع قريب مجيب الدعوات.

نصيحة خالصة

إن كنت صادقاً في رغبتك الفوز بحب الله فاذكر أن الفوز بهذا الحب يكون بالدعاء وابتغاء الأسباب. لقد لا حظنا أن الله كرر فعل الحب لأصناف المؤمنين ١٧ مرة في القرآن بعدد ركعات الصلوات الخمس في اليوم والليلة ولذلك أنصحك أن تدعو الله في سجودك في كل ركعة، أن تكون من جميع الطوائف التي أثبت الله لهم الحب في كتابه العزيز .

نسأل الله العلي العظيم أن يجعلنا من الذين عرفوه فذكروه فأحبهم فأحبوه، ولا تجعلنا من الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم فنسيهم فغضب عليهم وأضلهم وأثبت لهم عدم حبه لهم في قرآنه العظيم، إنه سبحانه وتعالى سميع قريب مجيب الدعوات.

للحديث بقية.